

أَبُو تَكَا مَر

شَاعِرُ الْخَلِيفَةِ مُحَمَّدِ الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ

دراسة تحليلية

تأليف
عُصَمَاءُ فَرْوُخ

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة
عضو المجمع العلمي العربي بدمشق
عضو جمعية البحوث الإسلامية في يومباي

بيروت

١٣٨٤ هـ

١٩٦٤ م

أبوتكامل

شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله

دراسة تحليلية



تأليف
عسمر فروخ

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة
عضو المجمع العلمي العربي بدمشق
عضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي

بيروت

١٣٨٤ هـ

١٩٦٤ م

٦٤/٥/٣٠٠٠/١

١١١٥	١١١٥
١١١٥	١١١٥
١١١٥	١١١٥

جميع الحقوق محفوظة

المحرّم ١٣٨٤
أيار (مايو) ١٩٦٤



له عرمة في الراهب معرب
من الارض او سوف الى كل معرب

سحي في حلول الحادب مسري
كأن له صعا على كل مسري

فهرست الكتاب

- ٩-٢٠ : ادب : أو الانتاج الوجداني الجيد
- ٢١- : أبو تمام
- ٢١- : في دمشق -
- جاسم - في جاسم - مولده - في حمص للمرة الاولى - الرحيل الى مصر - أبو تمام في المسجد - الرجوع الى الشام فالعراق - في خراسان - في العراق وبلاد الروم - وفاته - صفاته وأخلاقه - آله
- ٢١-٣٦ : بيئة أبي تمام
- ٣٨ : ١ - بيئة الخاصة
- ٣٨ : احتكاكه الاول بالشعراء - مصر بعيدة عن فساد بغداد - ممن استقى أبو تمام علمه - أثر مذهبه فيه - مقامه عند المملوحين - حياته الخاصة - العنصر الشخصي -
- ٣٨-٤٦ : ٢ - العناصر المساعدة
- ٤٦ : الثقافة اليونانية - الزندقة والشعبية - الاحداث والفتوح : العلويون - بآبك الحرمي - فتح عمورية - مازيار - حرق الافشين
- ٤٦-٥٢ : الخصائص الادبية في شعره
- ٥٣ : ١ - خصائصه المعنوية
- ٥٣ : شغفه بالاغراب - قوي الفكر غواص على المعاني - تفاوت شعره - التشبيه والاستعارة - كثرة اختراعه - اعتداده بشعره - مطالعته وتخلصه وخواتيمه - مصادر معانيه - العروبة والاسلام في شعره
- ٥٣-٧٦

الصناعة في شعره - الجناس والطباق - شعره وأسلوبه -

مذهب أبي تمام - عمود الشعر والمذهب الشامي - تاريخ

المذهب الشامي - موجز خصائص المذهب الشامي - نظمه

٧٧ - ٩٧ - التصريح والتوشيح - التوشيح

٩٨

المتعصبون له والمتعصبون عليه

المتحاملون عليه - أنصاره وخصومه المتأخرون - دفاع

٩٨ - ١٠٢ - أبي الفرج - مهاجاته للشعراء

١٠٣

آثاره وأثره

ديوان الحماسة - سائر مجاميعه الشعرية - مقلدو أبي تمام -

١٠٣ - ١١١ - ديوانه والشروح عليه

١١٢

فنون أبي تمام وأغراضه

المدح - ممدوحو أبي تمام - الفخر - الرثاء - رثاء آل

حميد الطوسي - العتاب - الوعيد والهجاء - الوصف -

وصف القلم - الغزل والنسيب - نموذج من غزله -

١١٢ - ١٤٤ - الحكمة - الزهد

١٤٥

مختارات من شعره

١٤٥

مديح عبد الله بن طاهر

١٥٣

رثاء محمد بن حميد الطوسي

١٥٧

مديح أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري

١٦٦

مديح أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي

١٧٣

فتح عمورية

الفهرست الأبجدي لأعلام الاشخاص

الأدب

أو الانتاج الوجداني الجيد

ما الإنتاج الوجداني الجيد ؟

على هذا السؤال يدور علم النقد . وعلم النقد نفسه يقوم على علم البلاغة ؛ والغاية من علم البلاغة أن تبيّن الخصائص النفسية في الإنتاج الوجداني من النثر والشعر . وتبيّن هذه الخصائص هو الذي يمكننا من الوقوف على حسنة القطعة الأدبية وسيئاتها . وبهذه الحسنات والسيئات المجموعة من القطع الأدبية المفروضة نستطيع أن نتميز بين شيئين :

-- بين القطع التي تستحق أن تضاف إلى مجموع النتاج الوجداني المروى عن العرب منذ أقدم الأزمنة التي اتصلت بها الرواية ؛ وبين القطع التي لا تبلغ في الجودة ، بحسب المقاييس التي في أيدينا ، إلى أن تدخل في تراثنا الأدبي .

ثم إذا نحن راجعنا البصر في خصائص القطع الأدبية التي حكمنا بأنها من الإنتاج الوجداني الجيد وجعلناها جزءاً من تراثنا الأدبي استطعنا أن نفرّق بعض هذه القطع على بعض .

والمواقع أنه ليس في النتاج الأدبي قطع جيّدة وقطع رديئة . إن التراث الأدبي يتألف من قطع جيّدة فقط . وليست القطع الرديئة من الأدب أصلاً . ولكن متى تُعدّ القطعة جيّدة ؟ وما أقلّ عددٍ من الخصائص فطلبه حتى نعدّ القطعة المفروضة أدباً ؟

نحن في زمن تكثر التأليف فيه في كل مكان وفي كل فن من فنون المعرفة الإنسانية . والإنتاج الأدبي . في كل مكان . أكثر فيضاً من سائر فنون المعرفة (من مثل الرياضيات والفلك والكيمياء والموسيقى وعلم الآثار) . والسبب في ذلك واضح . هو أن العلوم الرياضية والطبيعية وما يجري مجراها علوم موضوعية ذات قواعد ثابتة . مربوطة ببراهينها . فليس من الممكنة في كل إنسان أن يهجم على التأليف فيها . إن المؤلف في هذه العلوم يعرف من تلقاء نفسه أين يقع الخطأ في ما ألف أو جمع . أما في العلوم الإنسانية (في الأدب والاجتماع والفن الوصفي) فالمقدار على الأحكام النسبية بالإضافة إلى المكان والزمان وإلى ثقافة المؤلف والقارئ . وهذه الأحكام تختلف عادة بين زمان وزمان . وبين مكان ومكان . ثم بين شخص وشخص في المكان الواحد والزمان الواحد . إن المؤلف يستطيع أن يجادل بالألفاظ المركبة والحجج الشخصية عن إنتاجه الرديء في ما يسميه هو أدباً أكثر مما يستطيع أن يدافع عن عمله الرديء في العلوم الرياضية والطبيعية .

• • •

والمألوف في التعريفات أنها مقبولة على أنها « كل » غير خاضع للتجزئة . نحن لا نستطيع أن نقول في الهندسة مثلاً : « إن هذا المربع مستطيل قليلاً » ، ذلك لأن الشكل الرباعي الأضلاع إذا لم يستوف شرط التربيع كاملاً فإنه لا يسمى مربعاً أصلاً . وكذلك نحن لا نسمي الشكل الهندسي دائرة (أو محيطاً للدائرة على الأصح) إلا إذا كان خطاً دائراً متصلاً تبعد جميع النقاط فيه عن نقطة داخلية واحدة مفروضة بُعداً واحداً . فإذا اضطرب هذا الخط أو انتثر في نقطة واحدة بطل أن يكون محيطاً للدائرة وعاد خطاً منحنياً فقط .

على أننا في العلوم الإنسانية لا نفعل ذلك عادة . إننا نقبل ، فيما بيننا ، أمثال هذه الحمل : فلان أديب من الطبقة الثانية ؛ فلان سياسي قدير ولكنه قليل الإخلاص ؛ فلان رسام ولكنه لا يحسن مزج ألوانه ! لقد كان علينا ألا نقبل أديباً من الدرجة الثانية ، وألا نعترف بسياسي قليل الإخلاص ، وألا

نَقِيرَ لِرَسَامٍ لَا يَحْسُنُ مَزْجَ الْأَلْوَانِ . وَلَكِنْ بِمَا أَنَّ الْبَشَرَ عَلَى دَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ مِنْ الْفَهْمِ وَمِنْ الْإِخْتِبَارِ وَمِنْ التَّحْقِيفِ . فَانْهَمَ يَقِيسُونَ الْخُودَةَ فِي الْفُنُونِ الْإِنْسَانِيَةِ بِالْإِسْتِعْدَادِ النَّسَبِيِّ الَّذِي فِي نَفْسِهِمْ ثُمَّ يَقْبَلُونَ مِنْ تِلْكَ الْمَحَاوِلَاتِ الْإِنْسَانِيَةِ مَا يَزِيدُ فِي مَسْتَوَى الْخُودَةِ عَمَّا يَسْتَطِيعُونَ هُمْ أَنْ يَصْلُوا إِلَى مِثْلِهِ . فَالْتَّسْمِيَّاتُ الَّتِي يَخْلَعُهَا هَؤُلَاءِ عَلَى الْمَحَاوِلِينَ لِلْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَةِ (مِنْ أَمْثَالِ : أَدِيبٍ أَوْ شَاعِرٍ . إِخْمَا خَطَّاطٍ أَوْ رَسَامٍ . مُؤَرِّخٍ أَوْ عَالِمٍ اجْتِمَاعِيٍّ . سِيَاسِيٍّ أَوْ اقْتِصَادِيٍّ) إِنَّمَا هِيَ تَسْمِيَّاتٌ بِالنَّسَبِ وَالْإِضَافَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ هُمْ وَإِلَى مَا يَحْسُنُونَ مِنْ فُنُونِ الْمَعْرِفَةِ وَمَا لَا يَحْسُنُونَ . وَلَيْسَتْ هِيَ تَسْمِيَّاتٌ ذَاتِيَّةٌ فِي تِلْكَ الْفُنُونِ نَفْسَهَا .

أَمَّا الْأَحْكَامُ الْهَنْدَسِيَّةُ فَانْهَا مُقْيِسَةٌ بِقَوَاعِدَ بَدِهيَّةٍ أَوْ قَابِلَةٌ لِلْبَرْهَانِ فِي الْأَشْكَالِ الْهَنْدَسِيَّةِ نَفْسَهَا . هَذِهِ الْقَوَاعِدُ جُمِعَتْ فِي أَيَّامِ أَقْلِيدِسَ . مِنْذَ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ قَرْنًا ، وَلَا تَزَالُ إِلَى الْيَوْمِ لَمْ تَبْدَلْ وَلَمْ يَخْطُرْ فِي بَالِ أَحَدٍ أَنْ يَبْدُلَهَا (فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْهَنْدَسِيَّةِ الْإِقْلِيدِيَّةِ) . أَمَّا الَّذِي تَبْدَلُ مِنْهَا فَعَلَا (كَجَوَازِ التَّقَاةِ الْمُتَوَازِيَّاتِ فِي الْإِلَاهِيَّةِ) فَقَدْ بَطُلَ أَنْ يَكُونَ مِنْ هَنْدَسَةِ أَقْلِيدِسَ ثُمَّ أَصْبَحَ نَابِعًا لِفَنِّ قَائِمٍ بِذَاتِهِ (هُوَ النَّظَرِيَّةُ النَّسَبِيَّةُ) .

• • •

سَيَقُولُ آخَرُونَ مِنَ النَّاسِ : « اُنْكَ . يَا فُلَانُ ، تَرِيدُ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى الشَّعْرِ عَلَى أَنَّهُ ذُو قَوَاعِدٍ كَقَوَاعِدِ الرِّيَاضِيَّاتِ وَالطَّبِيعِيَّاتِ ! » يَجِبُ أَوَّلًا أَنْ نَصَحِّحَ هَؤُلَاءِ النَّاسِ جَمَلَتَهُمُ الَّتِي سَاقُوا فِيهَا اعْتِرَاضَهُمْ : إِنْ الَّذِي أُرِيدُهُ هُوَ أَنْ يَكُونَ لِلشَّعْرِ فِي نِطَاقِهِ هُوَ قَوَاعِدُ كَقَوَاعِدِ الْهَنْدَسَةِ فِي نِطَاقِ الْهَنْدَسَةِ . وَكَقَوَاعِدِ الْكِيمِيَاءِ فِي نِطَاقِ الْكِيمِيَاءِ . وَكَقَوَاعِدِ النَّسِيجِ فِي نِطَاقِ صِنَاعَةِ النَّسِيجِ .

إِنْ الْإِجَادَةُ الْمَقْدَرَةُ بِأَصُولٍ ثَابِتَةٍ مِنَ الْعِلْمِ هِيَ السَّبِيلُ لِلْحَكْمِ عَلَى الْإِنْتِاجِ الْوُجْدَانِيِّ : هَذِهِ الْإِجَادَةُ فِي نِظَمِ الشَّعْرِ هِيَ الَّتِي تَجْعَلُ مِنْ صَاحِبِ ذَلِكَ الْإِنْتِاجِ شَاعِرًا . فَإِذَا لَمْ تَتَوَقَّرْ لَهُ الْإِجَادَةُ الصَّحِيحَةُ الْمَقْيَدَةُ بِالْأَصُولِ الْعِلْمِيَّةِ فَهُوَ بَعْدُ نَازِمٌ فَقَطْ .

نرجع الى حديث النقد الأدبي .

ان القطعة المفروضة في الإنتاج الوجداني تكون من التراث الأدبي :

- ١ - إذا كانت ألفاظها ملائمة لمعانيها المقصودة . سهلة المخارج من أجزاء القلم . عذبة الوقع في الأذن . مألوفة عند جمهور المثقفين .
- ٢ - إذا كانت تراكيبتها صحيحة منطبقة على القواعد المقبولة في اللغة المروية من حياة الأمة في النطاق الوجداني والمدى الاجتماعي .

٣ - إذا كانت تعالج غرضاً من الأغراض الملائمة لحياة الأمة . ثم كان ذلك الغرض . في زمن إنتاج القطعة الأدبية المفروضة . ملائماً أيضاً لعاطفة صاحب تلك القطعة ومداخلاً بجانب من جوانب تفكيره . في هذه الحال يصبح صاحب تلك القطعة . في قطعه تلك . مثلاً لعبقرية قومه ومصوراً لحياتهم في إطار أدبي يؤثر في النفس الإنسانية خاصة وعامة .

- ٤ - إذا كان فيها صناعة فنية من النجوى إلى أوجه البلاغة المختلفة حتى يضيف ذلك عليها عنصراً من الخيال يحسم حقيقتها في الأذهان ويصل بالأثر المطلوب من إنتاجها إلى أفهام الكثرة المطلقة من قوم صاحبها - على صور حقيقية أو متخيلة - وذلك على الرغم من اختلاف درجات الاستعداد الشخصي في أولئك القوم ومن اختلاف درجات الثقيف التي هم عليها . ان الصور البلاغية في القطعة الوجدانية هي التي تدخل تلك القطعة في إطار التراث الأدبي .
- ٥ - إذا كان فيها نفاذٌ بصيرة : وكانت الآراء التي فيها توافق الواقع وتسائر الاختبار الإنساني في تطوره الخاص (في قوم صاحبها) أو في تطوره العام (في معظم الأقوام) .

٦ - أن يكون فيها شعور يسمو على شعور سائر الناس في ناحية واحدة من النواحي على الأقل ؛ حينئذ تستطيع عين صاحبها أن تكتشف في الموضوع المادتي الذي تصفه ، كما يستطيع فكر صاحبها أن يلمح في الموضوع المجرد الذي يعالجه . ما لا يستطيع غيره أن يكتشفه أو أن يلمحه بنفسه . بهذا ينفرد صاحب القطعة الوجدانية عن كثيرين من أنداده ويصبح خليقاً باسم أديب .

٧ - أن يكون فيها وعي "لصناعة الآلية فلا يفارق صاحبها الأصول التي يسير عليها أهل تلك الصناعة . وكذلك يجب أن يكون فيها استواء في العمل الفني فلا يكون فيها تفاوت أو اختلاف في مراتب الجودة ، أو أن يكون فيها اضطراب يخرج بها عن حد الجودة .

٨ - أن يكون صاحبها ملماً بالفنون المتعلقة بفنه المخصوص . ان الشاعر مثلاً « ليس مزخرفاً جملاً بالكلمات » ، ولكنه صاحب صناعة يتناول أغراضها من طريق الحياة ، فعلى الشاعر أن يكون ملماً بجوانب الأغراض التي يتناولها في شعره . ليس من الضرورة أن يكون الشاعر عاملاً بالفلك والتاريخ ، ولكن عليه إذا تناول غرضاً من التلك أو التاريخ ، أو إذا هو سس ذلك الغرض سساً ، أن يكون ملماً بذلك الغرض على الأقل فلا يأتي به على غير وجهه فيفسد الصورة الشعرية التي يريد أن يحملها إلى أذهان الناس أو يُعمّقها على أفهامهم .

٩ - أن يكون فيها رسالة يشعر الأديب أنه يؤديها على وجه من الوجوه المحمودة ، ذلك لأن لكل عمل - في نطاق عالم الإنسان وفي نطاق عالم الطبيعة الجاهدة أيضاً - غاية تجعل الإنسان يدرك في نفسه على الأقل أنه قد أصبح بعد عمله هذا أفضل مما كان من قبل . والمقاييس التي تُقوّم هذه الرسالة مأخوذة من حياة المجموع الصغير الذي يعيش فيه الأديب ثم من حياة المجموع الكبير الذي يعيش فيه قوم ذلك الأديب .

١٠ - أن يكون فيها أسلوب خاص هو الأسلوب الذي يتميز به صاحبها في تاريخ التراث الأدبي . إذا كان ناظم الشعر يطبع ما ينظمه على أساليب غيره ثم لا يخرج بعد ذلك بأسلوب خاص به تُعرف به أشعاره عند تطبيق أصول النقد . فليس خليقاً أن يقال له شاعر ، لأنه يكون عندئذ صورة لشاعر آخر هو أحق منه بهذا الاسم .

وهنا يعترض النفر الآخرون من الناس مرة ثانية فيقولون :
ولكن . ما مقام العنصر الإنساني والطابع الشخصي في الأدب ؟

وأنا هنا أيضاً أحب أن أصحح الحملة التي سبق فيها الاعتراض الثاني :
أنهم يتقصّدون أن يقولوا : ما قيمة الاختبار الفردي في الأدب ؟ إن هذا
الاختبار الفردي لا قيمة له أبداً ما لم يندرج في جانب من جوانبه على الأقل في
القاعدة الثالثة من القواعد العشر السابقة .

حينما نقول : « غابة » . فإننا نعني شجراً كثيراً من نوع واحد نباتاً نباتاً
طبيعياً أو نباتاً صناعياً قديماً . فإذا رأينا رجلاً قد زرع في حديقة بيته شجرة أو
عشر شجرات أو أقل من ذلك أو أكثر ، فإننا لا نسمي تلك الشجرات
« غابة » !

الرجل الذي نظم قصيدة واحدة لا نسميه شاعراً . والمقطوعة الطويلة التي
يرد فيها بيت جيد أو بيتان جيدان لا نسميها قصيدة . حتى الجُمْلُ التي تأتي
عفواً على أحد أوزان الشعر . فإننا لا نسميها أبياتاً .

وكذلك حينما نخطر لرجل صورة غامضة ثم يعبر عنها تعبيراً غامضاً (إذ
لا يمكن أن يكون التعبير عن الصورة الغامضة إلا تعبيراً غامضاً) أو تعبيراً
بدعي هو أنه يفهمه ، ولكن لا يفهمه أحد سواه ، حتى أولئك الذين رزقوا
حظاً من الفهم والعلم : فإننا لا نستطيع أن نعد هذا التعبير من الأدب بحجة أن
صاحبه قد توهم أنه بتعبيره الغامض عن الصورة الغامضة في ذهنه ينتج أدباً .
إن هذا الكلام يقودنا إلى سؤال واضح :

ما موقف النقد العربي من قسم من الإنتاج الوجداني الحديث الذي يسميه
أصحابه شعراً ؟

يجب أن أبدأ جوابي هنا بملاحظتين :

(أ) في الشعر العربي منذ الجاهلية قوم ادّعوا الشعر ولم يقرّ لهم أحد بذلك
(كما أن نقرأ من الناس ، منذ أيام اليونان الإغريق ، قد ادّعوا أنهم كانوا
علماء في الكيمياء ، وأنهم كانوا قادرين على أن يحولوا المعادن الخسيسة
كالرصاص والنحاس إلى معادن شريفة كالفضة والذهب ، ولكننا نحن لم نقرّ
لهم بذلك . فلا دعواهم المعرفة بصناعة الكيمياء ولا ورود ذكرهم في كتب

العلم والتاريخ كان مبرراً لأن يجعل منهم علماء كيماويين . فهولاء الذين يطبعون الكلام على شكل الشعر لن يُسمَّوا شعراء كما لم يُسمَّ أولئك الذين ادَّعوا علم الكيمياء كيمائين !

(ب) في عالم الطبيعة أمثلةٌ أو نماذجٌ للموجودات ؛ وأعيان الموجودات تتكرر في عالم الطبيعة على تلك الأمثلة لا يفارق كل نوع مثاله المخصوص به في العادة . غير أنه قد يطروء طارئٌ على نوع من الموجودات فيُخرجُ (ذلك الطارئ) من أحد أصول ذلك النوع فرعاً أسمى من أصله . من هذا الجنس العباقرة . وفي أحوال كثيرة بطروء الطارئ فيُخرجُ فرعٌ أدنى في سلّم التطور الطبيعي من أصله فيكون في العالم أولئك المشوهون . وسواء أكان التشويه ظاهراً أو غير ظاهر — وهو مظهر لقاعدة طبيعية ليس للإنسان يد فيها — فإن آثاره تكون دائماً ظاهرة . هذه الآثار الجديدة والغريبة على كل حال تتمثلُ أمام عيون الناس . وكلما كان الإنسان أقرب في التشويه الباطن في نفسه إلى تلك الصورة الشوهاء ، اتسقت تلك الصورة الشوهاء مع نفسه . وإلا فكيف نفسر عمل الرجل الذي يمر بصورة من ريشة روفائيل أو بتمثال من إزميل ميكالانجيلو فلا يُلقي إلى أحدهما بالآثم هو يدفع ألوفاً ومئات الألوف ثمن قطعة من النسيج عليها خطوط ولطخات من ألوان متنافرة ليعلقها في مكان من بيته قريب من عينيه . لا ريب في أن النتاج المشوه في الفن والصناعة وفي النثر والشعر نتيجة لتشويه في نفس صاحبه (وأحب من القارئ أن يحمل كلمة التشويه في هذا الفصل من الكتاب على الدلالة على اختلاف أحد الفروع عن الصورة المخصصة بأصله لا على المعنى الذي يحمل تجريحاً) .

لما قال مسلم بن الوليد في وصف الخمر :

سَلْتُ فَسَلَّتْ ثُمَّ سَلَّ سَلِيلُهَا فَأَتَى سَلِيلُ سَلِيلِهَا مَسْلُولاً ،

قال له زميله وصديقه أبو نواس : « والله ، لو وقفت عارياً في الأسواق ترجمُ الناس بالحجارة لكان ذلك أحسن لك من هذا ! »
وكل الناس تمر بهم غفلات من التشويه ، كما اتفق لمسلم بن الوليد .

وقد وقع في مثل ذلك أيضاً أحمد شوقي لما قال في ملوك مصر من الفراعنة :

وتاج من فرائده ابن سيني . ومن خرزاته خرفو ومينا !

ولم يفتن إلى أن لفظة « خرزاته » قبيحة . على الرغم من أنها وردت في الشعر الجاهلي في قول القائل « خرزات ملوك » .

غير أن هذا التشويه اليسير العارض يُوجب النقد على اللفظة والبيت ولا يوجب الحكم على الشاعر .

ولكننا أحياناً نجد مثل هذا التشويه في بعض الإنتاج الوجداني وكُنداً ومُتكَأ لا يكاد صاحبه يتخلص منه (من التشويه) ، فحينئذ ننتقل من النقد على اللفظة والبيت إلى الحكم على الشاعر . ومن الإنصاف أن نقول إن أصحاب هذا الجنس من القول يحبون أن يعبروا عن آرائهم وعن الصور التي في أذهانهم رمزاً . إلا أن الرمز نفسه . وهو الاستعارة البعيدة المتطرفة . يحسن في الجملة بعد الجملة أو في البيت بعد البيت ، ثم في القطعة بعد القطعة أو في القصيدة بعد القصيدة . وأما أن تكون القصيدة مرصوفة بالرمز (أو الاستعارات البعيدة المتطرفة) فأمر خارج عن سنة العرب وعن منهاج العقل جملة . وأحب أن أذكر هنا أن كلمة « مشوه » ليست اختراعاً لي . ولكنهم في اللغة الألمانية يطلقون على طريقة الرسم التي تخالف السنة المألوفة في الرسم (التي لا تحاول النقل عن الطبيعة ولا تحسن الطبيعة ، بل تكتفي بأن يلقي الراسم على النسيج الصورة كما تراءى له في خياله المروج) اسم « الفن المشوه » Entartete Kuenst ، ويذكرون (أو كانوا يذكرون في أيام الحكم النازي) أن هذه الطريقة من صنع اليهود حتى يشوه اليهود أذواق الشعوب في الفن كما شوهوها في السياسة والاقتصاد .

كنت مرة في المكتبة فوقفت أمام قسم الدواوين ثم تناولت منها بضعة دواوين تسمي حديثة وقلبت صفحات بعضها تقليباً يسيراً ، من غير أن أقصد التفتيش والتفتيش ، وأكتفي من كل ما قرأت بالكلام التالي (ولا أحسبه أكثر الأقوال تطرفاً واعوجاجاً) :

نبأ عن شعة أمرعت
في الثنايا نبأ نضر
نبأ عن ميسة الأرض في
سوفها والله يفتكر .

• • •

لا ضرورة إلى ذكر صاحب هذا الكلام لأن المقصود هنا « ما قيل » لا
« من قال » . قد أعْمِلُ أنا فكري ، أو تعمل أنت فكرك ، في استجلاء
المعنى الذي قصده صاحب هذا الكلام ثم نصل إلى ما قصد أو إلى قريب مما
قصد . ولكن من احترام العقل أن نوفره لمهام غير هذا الكد في ما لا طائل
تحت ولا جدوى منه ولا فائدة فيه ولا معول عليه ولا نفع معه ثم لا سبيل إليه .

• • •

ونخص الآن أبا تمام بكلمة ، ما دامت هذه الملاحظات ستكون مقدمة في
دراسة حياته ولشعره .

أبو تمام شاعر على المذهب الشامي مغرم بالتصنيع (تكلف أوجه البلاغة)
وقل أن أخلى بيتاً (تركه بلا وجه من أوجه البلاغة) ، ثم هو كان يغوص على
المعنى البعيد ويسوقه أحياناً في اللفظ العسير ثم يُثقله بالتكلف اللفظي . غير أن أبا
تمام كان جاداً في ما يفعل . وهو لم يفارق في ذلك مألوف العرب . وكثيراً ما
كنت أنا أستغرب اللفظة في شعره فأرجع إلى القاموس فأرى أنه قد استعمل
تلك اللفظة في المعنى الذي هو لها في وضعها اللغوي في أيامه أو قبل أيامه . ومع
ذلك فإن النقاد قد حملوا عليه من أجل هذا المتطرف القليل حملات كثيرة
وتحاملوا عليه ثم حملوا عليه من اللوم فوق ما يحتمله ذنبه في ذلك . وبعد فإن
لأبي تمام كثيراً مألوفاً أحسن فيه إلى جانب ذلك القليل المتطرف الذي أساء فيه .
من أجل هذا لا نرى المسلك إلى ديوان أبي تمام أيضاً سهلاً ، ولا النظر فيه
هيناً . اننا نحتاج في تفهّم شعر أبي تمام عادة إلى دورة عقلية لا تستقر على معنى

من معاني أبي تمام الخاصة قبل أن تستعرض ما تستوعبه من اللغة والاجتماع والفلسفة والأدب . ثم لا يفي ذلك بما تريد فترجع أدراجك لتستأنف النظر في الاستنباط والتخريج ، فإذا أنت فعلت ذلك كله كنت أمام شعر أبي تمام حبيب بن أوس كما قال ابن الرومي في وحيد المغنية :

فَهِيَ الْعِشْرُ مَا يَزَالُ مَتَى اسْتَعُ رِضَ عُمَلَى غَرَاباً وَيَزِيدُ !

ويلاحظ القارئ أنني قد تبسّطت في شرح الأبيات ، سواءً منها تلك التي هي من باب الاستشهاد في أثناء الدراسة وتلك التي جمعت في المختارات ، وذلك ، فيما رأيت ، لسببين :

السبب الأول : أن هذا الكتاب سيقع بين أيدي كثيرة ، كما هي الحال في شأن كل كتاب . فإذا كان الأدباء والمعتنون باللغة والأدب سيجدون فيه عدداً من الشروح هم في غنى عنها ، فإن هذه الشروح ستكون مفيدة جداً للناشئين في الأدب وللذين هم على عتبة الدراسة فيه .

السبب الثاني : أن شعر أبي تمام في ذاته يحتاج إلى عدد من الشروح : الكلمات التي تحتاج إلى الشروح في شعر أبي تمام كثيرة ، والتراكيب والمدارك وأوجه البلاغة والاشارات التاريخية كلّ هذه تحتاج في ديوان أبي تمام إلى شروح ونحتاج أحياناً إلى تبسّط في الشرح .

ومع أن الأبيات المستشهد بها في ثنايا الدراسة ، مع اعتبار المكرّر منها أو التي ليست لأبي تمام أيضاً ، لا تنقص عن ثلاثمائة بيت ، فإني قد ألحقت بهذه الدراسة خمس قصائد تامة تقرب أبيانها من مائتين وخمسين بيتاً .

ولقد حرصت على أن تكون هذه القصائد المختارة تامة لأنها في الدرجة الأولى قصائد لأبي تمام مشهورة جداً ، إن لم تكن أشهر قصائد أبي تمام كلها . ثم إن أبا تمام يتصرف في أثناء القصيدة تصرفاً مختلفاً : فلا يستطيع الدارس أن يستجلي خصائصه تامة في القصيدة إلا إذا كانت تلك القصيدة أمامه تامة . لقد كان من الضروري ، على هذا الأساس ، أن يكون أمامنا ديوان أبي تمام كاملاً (كما يحسن أن نفعل ذلك في دراسة كل شاعر آخر) ، ولكن لا بد في كلّ

دراسة من الاختيار والتخير ، ثم ان القارىء يستطيع ، إذا أراد ذلك أو إذا احتاج إليه ، أن يرجع بنفسه إلى الديوان فيبلغ ما شاء من أمنيته .

وبعد ، ان شعر أبي تمام في الحقيقة مُتعة للعقول المثقفة بمعانيه وبصناعته اللغوية . وأنا لا أنكر الطريق الوعر الذي يُجهدُ القراء فيه أنفسهم إذا أرادوا أن يتنزهوا في هذا الفردوس الغريب . ثم أن ما نراه اليوم من هذا الأدب الخفيف الذي يُدفع إلى الأسواق في الأغلفة الملونة يقتضي أن يُوازن بدراسات لشعراء من نمط أبي تمام . لقد قيل منذ زمن بعيد : أن السكر مادة حلوة لذيدة في الفم وفيها أيضاً شيء من الغذاء ، ولكنه لا يكفي لحفظ الحياة .

ان الأدب الإنشائي الآماع قد يفيد في استجلاب التعاس قبل وقت النوم الطبيعي عند نفر من الذين اضطربت طبيعة النوم فيهم ، وقد يدغدغ خيال الذين يحبون أن يحيوا على مائدة خيالهم وعلى الانفعال في أعصابهم أو بتحديث أنفسهم بالأمانات التي لا يستطيعون أن يحققوها في حياتهم العادية ، ولكنه لا يصلح للذين استوت فيهم الطبيعة الإنسانية وملكوا أعصابهم في يقظتهم ومنامهم وروّضوا خيالهم على الاحتكاك بحقائق الحياة . ان الذين يريدون أن يدخنوا لفافة من الأدب حتى يُغرقوا همومهم الكبيرة عندهم هم ، والتي لا قيمة لها في حقيقتها هي ، لن يصبروا على قراءة هذا الكتاب لأنهم لا يستطيعون الصبر على شعر أبي تمام وعلى الشعر الذي هو من تجرّ شعر أبي تمام . يكفي هؤلاء — إذا كانوا يصرون على موقفهم من الأدب ومما هو الأدب — أن يكتفي أحدهم ببضعة أبيات من الأبيات المشهورة لعمر بن أبي ربيعة أو لأبي نواس وألا يجاوزوا هذه الأبيات إلى غيرها أيضاً . يجب نحن أن نذكر أن الكفاح هو قانون الحياة ، وأن « الأجر على قدر المشقة » أساس صحيح لمواجهة الحياة . ان الذي يعرف خمسمائة كلمة من لغة قومه لا يستطيع أن يدرك من حقيقة أدبهم وجماله ما يدركه الذي يعرف عشرين ألفاً . والذي لا يعرف إلا لغة واحدة لا يستطيع أن يدرك الحقيقة والجمال في عقليات الأقوام المختلفين كالذي يعرف لغتين أو ثلاث لغات .

ان العقل لا يعرف المذاهب الاشتراكية المألوفة عند الذين لا يعرفون حقيقة الاشتراكية . نحن نستطيع أن نوزع على المحرومين ، وعلى غير المحرومين أيضاً . 'خبزاً ولباساً وأراضي وبطاقات لحضور الحفلات التمثيلية ولركوب الطائرة . ولكننا لا نستطيع - مع الأسف - أن نوزع تذوقاً أدبياً وإدراكاً عقلياً وثقافة فنية على الناس ، ولا نحن مستطيعون أن ننقل ما نملكه أحياناً من هذه إلى أولادنا كما ينقل الأغنياء أموالهم وأملأهم وأمجادهم الدنيوية إلى وارثيهم . لا سبيل لك إلى فهم الهندسة إلا إذا درست الهندسة كما يجب أن تُدرس الهندسة ، وكذلك لا تستطيع فهم الشعر إلا إذا درست الشعر كما ينبغي أن يُدرس الشعر . ان الطبيب قد يضع لك الدواء في غلاف من السكر : إن عمل السكر في غلاف الدواء أن يقنعك بأخذ الدواء ؛ وأما الذي يشفيك فهو الدواء نفسه . أما إذا كنت تستطيع أن تأخذ الدواء المرّ بلا غلاف من السكر فاعلم عندئذ أنك لست مريضاً ، لأن المريض هو الذي لا يمكن أن يبرأ من مرضه .

أريد أن أقف هنا عن ضرب الأمثلة وأن أتقدم معك إلى دراسة أبي تمام على الأسلوب المألوف في الدراسات الأدبية التي ترمي إلى كشف جانب من الحياة الإنسانية أو تثبيت حقيقة من الحقائق الفكرية . وأنا على مثل اليقين أن في الفائدة الحقيقية متعة حقيقية أيضاً .

أبوتكمام

جاسم

كان على يمين الطريق الأعظم الذي كان يمتد بين دمشق وطبرية بلدة صغيرة تدعى جاسم . هذه البلدة كانت تبعد عن دمشق ثمانية فراسخ ، كما ذكر ياقوت^١ . وهي من كور حوران في كورة الجولان أو الجيدور ، والجولان والجيدور كورة واحدة . وزاد المقدسي في التفصيل فقال^٢ : « وتأخذ من دمشق إلى الكسوة بريدين ، ثم إلى جاسم مرحلة ، ثم إلى فيق مثلها ، ثم إلى طبرية بريداً »^٣ .

ويبدو أن جاسم هذه هي التي كانت تقع على الدرجة الأربعين من خطوط الطول وعلى نحو الدرجة ٣٦ والدقيقة ٤٠ من خطوط العرض . على أن هذه تبعد عن دمشق مسافة تختلف عما قدره ياقوت كثيراً^٤ . ثم اننا لا ندري ما قصد الأصفهاني بقوله^٥ عن أبي تمام : « إن مولده ومنشأه بناحية منبج بقرية

(١) ياقوت ٢ : ٨

(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ليدن ١٨٧٧) ، ص ١٩٠ .

(٣) هذه مسافات تعرف بالتقريب (راجع تاج العروس ٢ : ٢٧٢ ، ٢٩٨) .

(٤) انظر موقع جاسم على الخارطة في :

Al - Muqaddasi, Blanches VIIa et VII b (pp. 160 - 161).

تقع جاسم على نحو ٣٢ كيلومتراً من فيق ، وعلى نحو ٧٥ كيلومتراً جنوب دمشق ، وعلى نحو ٣٥ كيلومتراً شمال أذرعات .

(٥) الاغانى ١٥ : ٩٦ (بولاق)

يقال لها جاسم^١ . أعلّ هنالك غير منبج التي تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة حلب : أم أنّ هنالك غير جاسم التي تقع في حوران ، إلى الجنوب الشرقي من دمشق ؟ أو لعلّ الأصغريّ وهيم^٢ فأراد أن يجعل مولد أبي تمام قريباً من مولد تلميذه البحري ، والبحري كان مولده في منبج^٣ .

وكان أهل أبي تمام ينزلون بجاسم وبعيجاء : وعيجاء أيضاً من قرى حوران^٤ .

في جاسم

كان رأس الأسرة التي خرج منها أبو تمام رجلاً نصرانياً اسمه تدوس العطار^٥ . ولهذا الاسم قراءات مختلفة : تدوس ، تدرس ، ندوس الخ ؛ لعلّ أقربها إلى الصواب تدّوس (ثاذوس) المجزوءة من ثيودوسيوس اليونانية في الأغلب^٦ . وهكذا يبدو أن تدّوس هذا كان من الجالية الرومية (اليونانية ، البيزنطية) التي كانت في الشام (سورية) قبل الفتح الإسلامي : أو أنه جاء إلى الشام بعد ذلك .

وينكر نجيب محمد البهيتي^٧ أن يكون أبو تمام يوناني الأصل ثم يرى أنّه عربي صريح . أما نصرانية أبي تمام فلا يستغربها البهيتي في أول الأمر ، لأنّ أبا تمام — فيما يرى البهيتي — نشأ في طيء ، وطيء عنده « هذه القبيلة الوثنية النصرانية اليهودية ، المسلمة ذات الاتصال الوثيق بالفرس والروم في الجاهلية

(١) ياقوت ٣ : ٧٥٠ .

(٢) ياقوت ، تحت عيجاء (طبعة مصر ١٩٥٠ : ٢٤٥)

(٣) أخبار أبي تمام ٢٤٦ ؛ وفيات ١ : ٣٣٤ .

(٤) كما قرأها مرغوليوس (Enc. Isl. I 109) ؛ أو ثديوس ، كما قرأها رتر (Enc. Isl. new

ed. I 153) ثم راجع GAL I 83 — ونحن اليوم نقول « قسطة » مجزوءة من قسطنطين ،

وثيود مجزوءة من ثيودوسيوس . وفي القاموس (٢ : ٢٢١) : سدوس (بضم السين

وفتحها) رجل طائي .

(٥) أبو تمام الطائي ، الصفحة (و)

والإسلام^١ . بعدئذ يصرّ البهيتي على نسبة أبي تمام إلى طيء دماً وولادة ، ويرى أن نصرانية أبيه لا تتعارض مع طائيته ، وهو يعتذر عن ذلك بقوله^٢ : « فقد رأينا من قبل كيف كانت النصرانية في طيء وكيف بقيت فيهم بعد الإسلام » . وأخيراً ، بعد أن يجادل البهيتي في عشر صفحات كبيرة عن نصرانية أبي تمام وطائيته يعود فينكر أن يكون أبو تمام أو والده نصرانيين ويقول^٣ : « ودعك من نصرانية أبيه ، فما كانت إلا من افتراء خصوم أبي تمام » .

إن البهيتي ، في ذلك كله ، قد بذل جهداً مُضيقاً : لقد أراد أن يغمس قبيلة بأسرها في النصرانية وفي الحضارة اليونانية ، قبل الإسلام وبعده ، ليزيد شخصاً واحداً في العرب^٤ وبعد فإنه نقض بعد صفحات ما كان قد غزله . ثم إنه لم يفعل أكثر مما كان الأب لويس شيخو اليسوعي قد حاول فعله قبل نصف قرن من الزمن^٥ .

مولده

ولد أبو تمام حبيب بن ثدوس العطار في الثلث الأخير من القرن الثاني للهجرة . وقد روى الأنباري^٦ عن تمام ابن الشاعر^٧ أن ذلك كان سنة ١٨٨ هـ ؛ وعدّ ابن خلكان^٨ غير عام ١٨٨ اعوام ١٧٢ ، ١٩٠ ، ١٩٢ هـ .

أما ابن عساكر فاعتمد^٩ السنة ١٨٨ وشك في السنة ١٩٠ ؛ والتاريخ الأول أحسن انتظاماً في ترجمة أبي تمام ، وأكثر اتساقاً مع حوادث حياته .

(١) أبو تمام الطائي ٢٨ .

(٢) مثله ٢٩ .

(٣) مثله ٦٢ .

(٤) شعراء النصرانية بعد الإسلام ٢٥٦-٢٥٩ .

(٥) نزعة الالباء ٣١٤ ، ٣٢٥ .

(٦) وفيات ١٥٢ : ١ ؛ مطبعة الوطن ١ : ٢١٧ .

(٧) تهذيب التاريخ الكبير ٤ : ١٨ ، ٢٦ . راجع في مولد أبي تمام أيضاً أخبار أبي تمام

٢٧٢ ؛ هبة الأيام ٩ ؛ ياقوت ٢ : ٨ ؛ أعيان الشيعة ١٩ : ٤ ؛ الخ .

في دمشق

ثم بدا لشدوس العطار — لسبب من الاسباب — ان يترك جاسم وينتقل الى دمشق . فلما نزلها افتتح حانوت خمر — صنعة كانت محصورة في غير المسلمين وغير العرب — وارسل ابنه حبيباً يشتغل عند حائك (وفي رواية قزّاز — بائع قز وهو الحرير) .

نشأ حبيب وشب في دمشق ؛ ورأى فيها قوماً يحثون عليه . فلما بلغ سنّاً تقرب من سن الرشد ، وبدأت مواهبه بالظهور اعتنق الاسلام واصبح شديد الحماسة في الدفاع عنه . واشد حماسة في مهاجمة اعدائه . ويكفي ان تلقي نظرة واحدة على قصائده في مدح الخلفاء لتعلم ان اسلامه كان وطيداً متيناً ، وانه لم يعتنق الاسلام حباً في اجتذاب الدنيا اليه^١ . ويلوح لنا أنه اسلم وحده وبقي اهله على دينهم ، كما يلاحظ في قوله^٢ :

نأيت ، فلا مالا حويت ، ولم أقيم^٣ فأمّتع ، اذ فُجّعت بالمال والاهل^٤ .
بخلت على عيرضي بما فيه صوته رجاء اجتناء الجود من شجر البخل .
عصيت شبا حزمي لطاعة جيرة دعني الى ان افتح القفل بالقفل^٥ .

ويلفت من نظرنا ورود كتاب عليه بنعي أحد اهله ، وكان ذلك الكتاب

(١) أمراء الشعر ١٤٤ .

(٢) ديوان خ ٤٢١ .

(٣) كان من الاحزم ان أبقى مع أهلي ، ولكنني فارقتهم (سافرت الى مصر) وأنا اطمع بئيل الغنى من أيد بخيلة .

(٤) عصيت شبا (حد) حزمي (أي : تخليت عن إرادتي في متابعة السفر) لطاعة جيرة (تنفيذاً لرغبة أهلي) الى أن افتح القفل (أتغلب على الصعاب وأنال الغنى) بالقفل (بالرجوع الى بلدي) . — ورد التعبير « افتح القفل بالقفل » بضم القافين في شرح الخياط (ديوان خ ٤٢١) ، وشرح شاهين عطية (بيروت ١٨٨٩ ، ص ٣٧٧) وعند البهيجي (أبو تمام الطائي ٨٩) ، ولم أجد لذلك وجهاً فاخترت أن أجعل القفل الاول بالضم بمعنى الاداة من الحديد يخلق بها الباب (كناية عن الصعاب وانسداد باب الرزق) وأن أجعل الثانية بالفتح من قفل قفلا وقفولا بمعنى رجع .

موشحاً بالسواد^١ . ثم ان ابا تمام غير اسم والده فجعله « اوساً »^٢ ، فما يدرينا اذا كان قد غير اسمه هو ايضاً ؟

في حمص للمرة الأولى

وكان لا بد لأبي تمام من التخرج في فنه ، فذهب الى حمص حيث بدأ حياته الشعرية في مدح اسرة عتبة بن ابي عبدالكريم الطائي ، وكان عبدالكريم شاعراً ففضى ابوتمام أيام تخرجه في جانبه . وكان في حمص ايضاً شاعر أبعد شهرة من عبدالكريم الطائي هو عبدالسلام بن رغبان المعروف بديك الجن الحمصي^٣ ، فأخذ عنه وتأثر به الى حد بعيد .

احتذى ابوتمام شعر ديك الجن فاكسب منه الصنعة اللفظية وسار بها شوطاً بعيداً حتى نسبت اليه ، وحتى قال النقاد : ان ديك الجن يتبع مذهب ابي تمام^٤ ، بدلاً من قوخم : ان ابا تمام يقتضي مذهب ديك الجن .

ولعل ابا تمام اكتسب من ديك الجن شيئاً آخر هو مذهبه العلوي ، لأن عبدالسلام كان يتشيع تشيعاً حسناً ، ولكنه لم يتأثر بشعوبيته^٥ ، وأخذ عنه ايضاً الإجابة في الرثاء^٦ .

وفي حمص ايضاً انتسب أبو تمام — في الأغلب — الى طيء بالولاء ، فقليل « ابو تمام الطائي » ، فان غير العربي إذا أسلم — كما هو معروف في التاريخ — انتسب بالولاء الى قبيلة عربية ، أو بيت عربي ، أو أسرة عربية . ولقد كان ابو تمام مقيماً في حمص مكرماً لدى الطائيين بني عبدالكريم يأخذ من جودهم ومن أدبهم فكان من أجل ذلك خائفاً أن يسيط بهم ولاءه ، ويؤثرهم على من

(١) ديوان ١٤٣ ، ديوان ص ١ : ٣٩٣ .

(٢) اخبار أبي تمام ٢٤٦ .

(٣) غ ١٢ : ١٤٢-١٤٩ (بولاق) ؛ طبعة دار الكتب ١٤ : ٥١-٦٨ .

(٤) مثله ١٢ : ١٤٢ ، سطر ٦ .

(٥) مثله ، راجع ١٢ : ١٤٢ ، سطر ٣ .

(٦) العمدة ٢ : ١١٩ .

موشحاً بالسواد^١ . ثم ان ابا تمام غير اسم والده فجعله « اوساً »^٢ ، فما يدرينا اذا كان قد غير اسمه هو ايضاً ؟

في حمص للمرة الأولى

وكان لا بد لأبي تمام من التخرج في فنه ، فذهب الى حمص حيث بدأ حياته الشعرية في مدح اسرة عتبة بن ابي عبدالكريم الطائي ، وكان عبدالكريم شاعراً ففضى ابوتمام أيام تخرجه في جانبه . وكان في حمص ايضاً شاعر أبعد شهرة من عبدالكريم الطائي هو عبدالسلام بن رغبان المعروف بديك الجن الحمصي^٣ ، فأخذ عنه وتأثر به الى حد بعيد .

احتذى ابوتمام شعر ديك الجن فاكسب منه الصنعة اللفظية وسار بها شوطاً بعيداً حتى نسبت اليه ، وحتى قال النقاد : ان ديك الجن يتبع مذهب ابي تمام^٤ ، بدلاً من قوخم : ان ابا تمام يقتضي مذهب ديك الجن .

ولعل ابا تمام اكتسب من ديك الجن شيئاً آخر هو مذهبه العلوي ، لأن عبدالسلام كان يتشيع تشيعاً حسناً ، ولكنه لم يتأثر بشعوبيته^٥ ، وأخذ عنه ايضاً الإجابة في الرثاء^٦ .

وفي حمص ايضاً انتسب أبو تمام — في الأغلب — الى طيء بالولاء ، فقليل « ابو تمام الطائي » ، فان غير العربي إذا أسلم — كما هو معروف في التاريخ — انتسب بالولاء الى قبيلة عربية ، أو بيت عربي ، أو أسرة عربية . ولقد كان ابو تمام مقيماً في حمص مكرماً لدى الطائيين بني عبدالكريم يأخذ من جودهم ومن أدبهم فكان من أجل ذلك خائفاً أن يسيط بهم ولاءه ، ويؤثرهم على من

(١) ديوان ١٤٣ ، ديوان ص ١ : ٣٩٣ .

(٢) اخبار أبي تمام ٢٤٦ .

(٣) غ ١٢ : ١٤٢-١٤٩ (بولاق) ؛ طبعة دار الكتب ١٤ : ٥١-٦٨ .

(٤) مثله ١٢ : ١٤٢ ، سطر ٦ .

(٥) مثله ، راجع ١٢ : ١٤٢ ، سطر ٣ .

(٦) العمدة ٢ : ١١٩ .

تلفيت الأنظار . ثم ان العمل الذي أخذ يقوم به في مصر لا يدل على أنه قصدها كشاعر ؛ فقد كان يومذاك أحدهم يسقي الماء في المسجد الجامع^١ ليكسب معاشه ؛ أما كان باستطاعته أن يفعل ذلك في دمشق أو حمص ، أو في بلد أقرب من مصر ؟

يلوح لي أن أبا تمام أراد أن يبتعد عن أهله فقد أسلم وحده ، دون أهله ؛ فلم تكن حياته من أجل ذلك هادئة في دمشق ، وهو لم يكن في حمص بعيداً عن دمشق كثيراً ، فشد الرحال إلى مصر .

أبو تمام في المسجد

كانت المساجد في صدر الإسلام وما تلاه إلى زمن قريب مراكز للعلم فانتبه أبو تمام فرصة وجوده بالمسجد الجامع ، يسقي الماء ، ليزداد علماً ؛ كان يلزم حلقات الأدب خاصة ، فإذا طلب أحد شربة ماء سقاه ثم رجع إلى مكانه الأول يستمع إلى إبلاء الأديب أو مناقشة أصحابه . ولعل ذلك كان في السنوات الأولى من القرن الهجري الثالث ؛ وعمره يومذاك نحو عشرين عاماً . أما بيته :

وان الذي أخذاني الشيبَ لكتي رأيتُ ، ولم تكمل لي السبع والعشر ؛

فلا يمكن أن يعني أكثر من أن شيبه بدأ قبل السابعة عشرة من عمره ؛ وليس فيه دليل على أنه قال القصيدة التي منها هذا البيت يوم بلغ هذه السن . وبعد أن سقى أبو تمام الماء في جامع مصر ، واستقى العلم وفنون القريض ، ترك السقاية واتصل برجل حضرته^٢ يدعي عياش بن لهيعة^٣ وأخذ بمدحه . ولكن عياشاً لم يزد على أن كان يعد أبا تمام ويمنيه ثم يعطله . ولا أرى وجهاً لرواية الصولي^٤ : قال أبو تمام : أول شعر قلته :

(١) مسجد عمرو بن العاص في القسطنطينية (نزعة الالباء ٢١٣) .

(٢) حضر موت : مقاطعة في جنوبي جزيرة العرب ؛ وطيء أيضاً من حرب الجنوب .

(٣) هكذا يضيفها ابن خلكان ٢ : ٢٤٣ .

(٤) اخبار أبي تمام ١٢١ .

تقي جمتحاني . لست طوع مؤتبي ، وليس جنبي ، إن عدلت ، بمصحي^١ !
ومدحت به عياش بن لميعة فأعطاني خمسة آلاف درهم . « ان هذه الرواية
لا تتسق مع عتاب أبي تمام لعياش منذ اتصاله به ولا مع هجائه له في آخر
الأمر . ومع ذلك فان نفراً ردوا هذه الرواية وقبلوا أن يكون عياش قد أجاز
أبا تمام عليها^٢ .

وما كاد العام الأول يمر على المدحة الأولى في عياش بن لميعة حتى ضاق
أبو تمام ذرعاً بعياش وقال يعاتبه^٣ :

— الفطر والأضحى قد انسلخا . ولي أمل ببابك صائم لم يفطر .
حوّل . ولم ينتج كذاك . وإنما تتوقع الحبل لتسعة أشهر^٤ .
ولما لم يجد أبو تمام من عياش سوى مظل على مظل أخذ يهجو هجاءً مرأً ،
ويعرض بأصله ويصممه^٥ بأنه ليس من العرب . ثم هجاه أيضاً بعد موته^٥ .
وأصبحت إقامة أبي تمام الآن في مصر ضئكاً ، لضيق ذات يده ولضيق
مذاهبه في بلد نشبت فيه العصبيات (الفتن) :

بمصر : وأي مأربة بمصر وقد شعبت أكابرها شعوب^٦ !
وذلك في الأعم الأغلب بين عامي ٢١٠ و ٢١١ هـ (٨٢٦ م) وما بعدهما .

(١) ديوان خ ٢٣-٢٥ . - تقي : اتقي ، احذري . جنبي : الذي أحمله في جنبي (قلبي) .
— اذا لم يأتني وأردت أنا ان أسمع منك وأطيع لك فان قلبي لا يوافقني على ما أريد منه .

(٢) راجع مثلاً أبو تمام الطائي للبهيتي ٨١ .

(٣) ديوان خ ٣٩٥-٣٩٧ ؛ راجع أعيان الشيعة ١٩ : ٣٩٦-٤٠٣ .

(٤) الفطر عيد ينتهي به صيام رمضان ، والأضحى عيد يقع بعد سبعة يوماً من عيد الفطر — أما
مزل عياش فكان بالاسكندرية (راجع الديوان خ ص ٥٠٣ البيت الثالث ؛ وص ٣٢٣
البيت الثالث عشر) .

(٥) ديوان خ ٥٠٦ ، أعيان الشيعة ١٩ : ٤٠١ .

(٥) ديوان خ ٤٩٥-٤٩٦ .

(٦) خ ٤٧٣ ، اي مات أكابرها .

(٧) الطبري ٣ : ١٠٨٦ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٤-١٠٩٩ .

وكان أهل أبي تمام قد حرصوا على أن يرجع إليهم ابنهم . وأخذت نفس أبي تمام أيضاً تنازعه إلى الرجوع . غير أن كبر نفسه كان يأبى عليه أن يرجع وهو لما يزل فقيراً . وكيف يمكن أن يرجع من رحلة له فقيراً وهو الذي يقول :

ما أب من أب لم يظفر بحاجته ، ولم يغيب طالب بالنسج لم يخيب^١ :

غير أن الشاعر يعود إلى نفسه فيذكر حنان أمه وتشوقها إليه فيودّ أن يطيعها في رغبته ، ولكنه يرى استحالة ذلك ملء عينيه ، فيقول^٢ :

وكم عدوية من سبي عمرو ذا حسب إذا انتبت حبيب ؛
لها من طيء أم حصان^٣ نجية معشر ، وأب نجيب .
تمنى أن يعود لها حبيب منى شططاً ، وأين لها حبيب ؛

ثم يبدو حنينه أيضاً إلى دمشق وأصحابه فيها ؛ ويذكر ما مر عليه في مصر بعد خمسة أعوام وشهرين كانت كلها أسى وضنكاً ، ثم تعرض هو في أثنائها لهجر أهله وأسفهم ، ثم لبذل ماء وجهه ؛ وبعد هذا كله أب بالحبيبة^٤ .

نأيت فلا مالا حويت ؛ ولم أقم^٥ فأمتنع ؛ إذ فجعت بالمال والأهل .
بخلت على عرضي بما فيه صوته^٦ رجاء اجتناء الجود من شجر البخل .
عصيت شبا حزمي لطاعة جيرة دعني إل أن أفتح القفل بالقفل
وأبسط من وجهي الذي لو بذلته إلى الأرض ، من نعلي ، لما نقتب نعلي .
وكان ورأي ، من صريمة طيء^٧ ومعن ووهب ، عن أمامي ما يسلي .

فلم يك ، ما جرعت نفسي ، من الأسي ؛

ولم يك . ما جرعت قومي . من الشكل .

(١) في نهاية الارب للنويري ٣ : ٩٥ ما أب من أب ...

(٢) ديوان خ ٤٧٢ .

(٣) ديوان خ ٤٢١-٢٢٢ ؛ راجع فوق ، ص ٢٤ .

(٤) ديوان خ ٤٢٢ .

في هذه الأثناء كان أبو تمام قد هاجى نقرأ من الشعراء في مصر وهاجوه .
من هؤلاء شاعر اسمه يوسف السراج كان يحمل على أبي تمام لغموض
شعره^١ .

ولم يطل مقام أبي تمام بعد ذلك في مصر كثيراً ، بل تركها آيماً إلى الشام ،
وهو لا يزال شديد التأثير بالمذهب العلوي . ولعل أبا تمام ظل في مصر إلى سنة
٢١٤ هـ (٨٢٩ م) لأنه أدرك فيها مقتل عمير بن الوليد الباذغيسي الخراساني
عامل مصر الذي قتل في ربيع الأول سنة ٢١٤ هـ في أثناء فتنة داخلية ؛ وقد
رثاه وحضر للتغزية به^٢ .

الرجوع الى الشام (سورية) فالعراق

رجع أبو تمام إلى الشام ، ولعله لم يصل إليها قبل ٢١٥ - ٢١٦ هـ (٨٣٠ م) ،
فسعى ليتصل بالمأمون ، وكان المأمون يومذاك يتجول في الشام بعد أن خرج
إلى حروب الروم وانتصر مراراً^٣ ، فلما دخل أبو تمام عليه مدحه^٤ ولكن لم
يظفر منه بما يؤمل ولا بأدنى مما كان يؤمل ؛ بل بدر من الخليفة نحو الشاعر ما
صرفه عن بغداد مرة واحدة . ان المأمون كان قد انقلب على آل علي ، فأوغر
صدره أن يرى أبا تمام مدحهم ويعرض بني العباس^٥ .

طاف أبو تمام الآن في ما بين النهرين ، وفي أرمينية ، وفي شمال سورية ؛
ولكنه قضى معظم أوقاته في الموصل .

-
- (١) ديوان خ ٤٨٩ ، ٤٩١ ؛ الوساطة ١٨ - ١٩ ؛ أبو تمام الطائي ٨٥ - ٨٧ .
(٢) الديوان خ ص ٣٥٩ ، ٣٦١ ، ٢٨٩ - ٢٩٠ ؛ خصوصاً ص ٣٦١ ص ٣ والطبري
١١٠١:٣ .
(٣) غزا المأمون أرض الروم عدة مرات بين ٢١٥ و ٢١٧ هـ (الطبري ١١٠٣:٣ ، ١١٠٤ ،
١١٠٩) .
(٤) لعل أبا تمام لم يأت المأمون في دمشق ؛ أما القصيدة التي مدحه بها فهي : د من ألم بها فقال سلام
- ديوان خ ٢٧٩ ؛ وفي أياتها أنها أول ما قاله الشاعر بعد رجوعه من مصر .
(٥) ديوان خ ١٦٦ - ١٦٦ .

بعد موت المأمون في سنة ٢١٨ هـ (٨٣٣ م) أمين أبو تمام وكشّرت قصائده وبرز نجمه . فلما سمع به المعتصم حمّله إليه فقصي أبو تمام عنده مدة لم يجد في أثناءها لديه ما يضارع طموحه فتركه وولّى وجهه شطر خراسان ليمدح واليها عبد الله بن طاهر بن الحسين ، وقد اشتدت الفتن فيها من أثر بابك الحارمي . وتوجّه أبو تمام من العراق نحو نيسابور . وفي طريقه مر بقومس ونزل فيها عند صديق له هو عبد الله الدامغاني^١ . ثم إن أبا تمام انتهر فرصة إقامته بنيسابور ، مع عبد الله بن طاهر ، فانصل بالقائد أبي دلف العجّلي^٢ ، وبالقائد جندر بن كاوس الأفشين^٣ ، وبالقائد أبي سعيد محمد بن يوسف الشغري^٤ ، وسوى هؤلاء كجعفر بن دينار الطائي . وقد بقي أبو تمام في خراسان إلى أواخر سنة ٢٢٢ هـ حينما تركها عبد الله بن طاهر قادماً إلى سامرا^٥ ومعه الثائر بابك الحارمي فوصل إليها في صفر من سنة ٢٢٣ هـ ، وقد صحّب عبد الله بن طاهر في مقدمه على سامرا أبو تمام والقائد الأفشين . وفي سامرا أدخل المعتصم الشعراء على الأفشين ليمدحوه ، فمدحه أبو تمام بقصيدته^٦ :

بذلّ الجِلادُ البذلّ فهو دفينٌ ؛ ما إن به إلا الوحوشُ قطينٌ^٦ .

(١) ياقوت ٢٠٣: ٤ .

(٢) وفي رواية خيلدر (شرح التبريزي ٧٢: ٢) .

(٣) سامرا مدينة على أربعين كيلومتراً شمال بغداد بناها المعتصم وجعلها معسكراً لجنده الأتراك ثم اتخذها عاصمة .

(٤) انظر تحت ، قصة بابك ، ص ٥٠ .

(٥) دهوان خ ٣٢٦ - ٣٢٨ .

(٦) بذر : غلب ، تغلب على . الجِلاد : القتال ، الحرب . البذلّ (بالذال المعجمة وبالذال المهملة أيضاً) : مغرب بت : الصنم ، وهو هنا مكان فيه صنم كبير لبوذا كان في جبل هال منيع ، وكان بابك الحارمي قد اتخذهُ معقلاً (راجع القاموس ١: ٢٦٧ ، ٣٥٠) . - يقول أبو تمام : تغلب العرب بالجِلاد (بالحرب) على جبل البذر وهدموه حتى صار مدفوناً تحت أنقاضه ، ولم يبق به قطين (ساكن) إلا الوحوش (أي أصبح مهجوراً) .

في العراق وبلاد الروم (آسية الصغرى)

في منتصف سنة ٢٢٣ هـ (قبيل منتصف ٨٣٨ م) تجهز المعتصم لمحاربة الروم متجهاً نحو عمورية . وكان معه الأفشين وأبو تمام . وبعد الاستيلاء على عمورية وإحراقها (رمضان ٢٢٣ هـ - آب ٨٣٨) عاد المعتصم إلى سامرا فأنشده أبو تمام قصيدته السائرة على وجه الدهر : « السيف أصدق أنباء من الكتب » . وذلك في مطلع سنة ٢٢٤ هـ أو في آخر سنة ٢٢٣ .

هنا يعترضنا أمران أولهما زمن ذهاب أبي تمام إلى الحج ، فإن أبا تمام يقول في ديوانه انه حج مع أبي سعيد النخعي^١ : ونعلم من موضع آخر في الديوان أن أبا سعيد حج حجة يغلب على الظن أنها كانت بين ٢٢٣ و ٢٣٠ . وهي على الأغلب في عام ٢٣٠ هـ . ثم نحن لا نلح في إذا كانت حجة أبي سعيد هذه هي التي حج في عامها أبو تمام ، أم تلك غيرها ، فيكون الشاعر إذن قد حج مرتين .

والأمر الآخر زمن تأليف « ديوان الخماسة » : وجل ما نعلمه « أن الثلج اعترضه في همدان بفارس في أثناء ذهابه إلى مديح عبدالله بن طاهر » ، وقيل بل في أثناء رجوعه . فاشتغل بتأليف هذا الكتاب ريثما ينوب الثلج ويستطيع الشاعر أن يتابع سيره . وعلى كل حال ذلك كان في أواخر سني أبي تمام أيضاً . وفي هذه الأثناء كان الشاعر قد نال حظوة عند المعتصم وعند أمراء البلاد ورجال الدولة : كأحمد بن أبي دؤاد ومحمد بن عبد الملك الزيات وجعفر الحياط القائد وغيرهم .

• • •

لم يألف أبو تمام الاستقرار في بلد من البلدان مدة طويلة . فما أن هداً قليلاً في سامرا ، بعد فتح عمورية ، حتى عاد سيرته من التطفوف بين سني

(١) راجعها في المختارات .

(٢) ديوان خ ٤٢٣ - ٤٢٤ .

(٣) ديوان خ ٢٩٣ .

٢٢٥ و ٢٢٩ للهجرة (٨٤٠ - ٨٤٤ م) . زار أبو تمام في تلك الأثناء حوران وحمص ، ثم عاد إلى سامرا في سنة ٢٢٦ هـ ليمدح المعتصم بعد إحراق الأفشين سنة ٢٢٦ أيضاً ^١ . وفي هذه الحقيبة اتصل أبو تمام بأبي المغيث موسى بن ابراهيم الرافقي ، والي دمشق من قبل الخليفة المعتصم ^٢ . ويتساءل محسن الأمين ^٣ عما إذا كان أبو تمام قد حضر بنفسه إلى دمشق أو أنه أرسل إلى أبي المغيث قصيدته ^٤ :

أَقْشِيبَ رَبِّعِهِمْ ، أَرَاكَ دَرِيْسًا وَقِرَى ضَبُوفِكَ لَوْعَةً وَرَسِيْسًا*

من الموصل . « ومكث أبو تمام مدة ينتظر معروف أبي المغيث موسى بن ابراهيم فلم يدرك منه رسولا ولم يَبْلُغْ مأمولا » ^٥ ، فأخذ يمدحه مرة وبعاتيه أخرى . بعدئذ هجاه ولكن عاد فمدحه ^٦ .

وفي هذا الدور أيضاً - فيما يبدو - اتصل أبو تمام بمالك بن طوق النخعيّ يوم كان مالك يقاتل الثائرين على الخلافة في بادية الفرات البحرّيّ (الفُرات الأعلى) . ويبدو لنا أيضاً أن أبا تمام ظل متصلاً بمالك بن طوق إلى ما بعد عزله عن الجزيرة ، جزيرة ابن عمر ^٨ .

وكذلك يبدو أن أبا تمام لَقِيَ البحرّيّ في هذا الدور . كان أبو تمام يومذاك شاعراً ملء السمع والبصر مشهوراً ، وكان البحرّي لا يزال حديث السن

(١) ذاجع ديوان خ ١٥١ - ١٥٥ .

(٢) أمراء دمشق في الاسلام ٨٩ ، راجع ١٢٦ .

(٣) أعيان الشيعة ١٩ : ٣٨٨ .

(٤) ديوان خ ١٧٥ - ١٧٨ .

(٥) يا مسكنهم الحديد ، أراك قد أصبحت دريساً (مدروساً ، خراباً) وأرى أن قرى ضبوفك (حظ زائريك ، ضيانتهم) لوعة (حرقه في القلب وألم من حب أو غم أو مرض) ورسيسا (حصى من لوعة الحب) = كانت ديارهم عامرة زاهرة فامحت وأصبحت تحزن من يراها .

(٦) هبة الايام ١٦٧ .

(٧) أعيان الشيعة ١٩ : ٣٧٨ - ٣٩٦ .

(٨) أعيان الشيعة ١٩ : ٣٧٨ ، ٣٨٣ .

مغموراً^١ . وكان اللقاء اتفاقاً في حمص عند القائد أبي سعيد محمد بن يوسف .
الثغري في حديث طويل هو أكثر اتصالاً بالبحري وشاعريته منه بأبي تمام^٢
ولعل ذلك كان في بعض شهور سنة ٢٢٦ هـ (٨٤١ م) .

وبعد عام أو بعض عام رأينا أبا تمام من جديد في سامرا يعزّي الواثق بأبيه
المعتصم ويهنته بالخلافة بقصيدته الميمية^٣ :

لما للدموع تروم كل مرام^٤ ، والحفن تاكل هجعة وتمام !
ويبدو أن أبا تمام حجّ بعد ذلك ثم بقي نحو عامين في العراق . إلا أن كثرة
تطوافه في الأرض ، إلى جانب انغماسه في الشراب ، والملذات أيضاً ، كانا قد
تهكّا جسمه — قبل أن تتقدّم به السن كثيراً — فأثر أن يُخلد إلى شيء من
الراحة بعيداً عن مشاغل الدنيا وعن إرهاق النفس بالمدايح . في ذلك الحين تولّى
بريد الموصل :

كان بين أبي تمام وبين الحسن بن وهب صداقة وثيقة وإخاء خالص . رقي
الحسن بن وهب في المناصب وظلت الصداقة والمنازمة والأحماض^٥ بينهما على
حالها . ولما سمّ أبو تمام تكاليف الحياة رغب إلى صديقه في أن يعينه على اعتزال
الكفاح في الحياة . فعرض الحسن بن وهب على أبي تمام أن يؤكّيه منصّباً
فاختار أبو تمام أن يتولّى بريد الموصل^٦ ، لأنه كان قد قضى في الموصل زمناً

(١) هناك خلاف على لقاء أبي تمام بالبحري لأول مرة ، وخلاف على ما كان في هذا اللقاء وما

أعقب ذلك اللقاء (راجع غ ١٨ : ١٦٩ ؛ وفيات ٢ : ١٣١ ؛ مطبعة الوطن ٣ : ٩٧

— ٩٨ ؛ أخبار البحري ٥٦ : ٦٢٠ — ٦٥) .

(٢) راجع أخبار أبي تمام ١٠٥ ؛ هبة الأيام ١٣ وما بعدها ؛ أخبار البحري ٦٣ — ٦٤ ؛

أعيان الشيعة ١٩ : ٤٢٧ وما بعدها .

(٣) ديوان غ ٢٧٥ — ٢٧٩ .

(٤) ما للدموع تهي غزيرة ، في كل جهة (وفي كل حين) .

(٥) الأحماض : المزاج بألفاظ مكشوفة . راجع أخبار أبي تمام ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢١٠ ، ٢٦٩ .

(٦) أخبار أبي تمام ٢٧٢ . — كان البريد لنقل الرسائل والأشياء والأشخاص مما يتعلق بأعمال
الدولة ، كما كان رجال البريد (الموظفون في ديوان البريد) ينقلون أخبار البلاد والناس
إلى الخليفة .

أيام تخفيبه من المأمون. وكانت ولاية أبي تمام على بريد الموصل ولاية شرف يستجم فيها أبو تمام ويتقيض منها راتباً ، مع العلم بأن أعمال هذا المنصب في الأصل كثيرة متعبة . غير أن أبا تمام لم يمكث في هذا المنصب أكثر من عامين اثنين ، من أوائل سنة ٢٢٩ هـ (أواخر عام ٨٤٣ م) إلى وفاته^١ .

وفاته

اختلف الرواة في سنة وفاة أبي تمام^٢ ، كما اختلفوا في سنة مولده ، اختلافاً كبيراً بين سنة ٢٢٨ و سنة ٢٣٢ للهجرة . ويبدو أن أبا تمام قد توفي - في أوثق الأقوال وأحسنها اتساقاً مع حوادث حياته - في المحرم من سنة ٢٣٢ (أيلول ٨٤٦) ، وهو يثول في بريد الموصل^٣ ، وعمره نحو ثلاث وأربعين سنة . ودفن أبو تمام في الموصل^٤ خارج الميدان على حافة الخندق ؛ وتقول العامة : هذا قبر تمام الشاعر* . وقد بنى أبو نهشل بن حميد الطوسي قبة عليه^٥ . أما اليوم فإن رفاتة في حديقة البلدية في ضريح ضخم^٦ . ورثى أبا تمام نفر كثيرون منهم ديك الجن أستاذة والبحري تلميذه ، ومنهم صديقه وممدوحاه محمد بن عبد الملك الزيات والحسن بن وهب ، وصديقه الشاعر علي بن الجهم وسواهم^٧ .

- (١) راجع أخبار أبي تمام ٢٧٢ - ٢٧٣ ؛ ياقوت ٨: ٢ ؛ راجع ٤٢٠: ١ ؛ وفيات ١: ٢٣٧ ؛ مطبعة الوطن ١: ٢١٧، ٢١٦ ؛ هبة الايام ٥٣-٦٣ ؛ أعيان الشيعة ١٩: ٣٥٧-٣٦٧ .
- (٢) أخبار أبي تمام ٢٧٢-٢٧٣ ؛ تاريخ بغداد... أخبار البحري (ص ٦٦) سنة ٢٣١ هـ ؛ وفيات (وستنفلد) رقم ١٤٦ ؛ مطبعة الوطن ١: ٢١٧ ؛ ياقوت ٨: ٢ ؛ هبة الايام ٤٩ ؛ أعيان الشيعة ١٩: ٣ ؛ راجع ١٢ .
- (٣) ياقوت ١: ٤٢٠، ٨: ٢ ؛ أعيان الشيعة ١٩: ٣ ؛ راجع ٣٦٢ الخ .
- (٤) ياقوت ١: ٤٢٠ ؛
- (٥) وفيات ١: ١٥٣، ٣٣٩ ؛ مطبعة الوطن ١: ٢١٧، السطر ٢١ .
- (٦) هبة الايام ٤٩ ؛ وفيات ١: ٣٣٩ .
- (٧) هبة الايام ٤٩ ، حاشية ٥ .
- (٨) البصيرة ١: ٤٣ ؛ أخبار أبي تمام ٢٧٥ - ٢٧٩ ؛ وفيات (آخر الترجمة)

صفاته وأخلاقه الخاصة

ليس لدينا ما يدل على صفات أبي تمام سوى قول ابن خلكان^١ : « كان أسمر طويلاً فصيح الكلام فيه نعمة بسيطة » . وقد نقلها عنه كثيرون ، وإلا جملة للأنباري : « وكان موصوفاً بالظرف وحسن الأخلاق وكرم النفس » . ثم ليس في ديوانه ما يناقض هذه الأحكام .

من أجل هذه التمتعة البسيرة اشترى له أبو سعيد الثغري غلاماً أديباً فصيحاً اسمه الفتح بثلاثمائة دينار ليلقي له قصائده . ولكننا نعلم أنه كثيراً ما كان يلقي قصائده بنفسه . وقيل إنما كان إنشاده قبيحاً^٢ وزاد ابن رشيق فقال « وكان في حبيب حبة شديدة إذا تكلم ... » فقال فيه محمد بن بكار الموصلي^٣ .

يا نبي الله في الشعر ويا عيسى بن مريم ،

أنت من أشعر خلق الله ما لم تتكلم !

أما أخلاقه فكانت أخلاق شاعر عباسي ، غير أنه لم يكن متهاكاً ، بل كان يأتي مائدته في سر^٤ .

آله

كان أبو تمام مُرَزَّغاً : مات نفر من أهله ، من أخوة وأولاد له ، في حياته . وقد مات نفر من هؤلاء في عام واحد^٥ :

تتابع في عام بني^٦ وإخوتي ، فأصبحت إن لم يُخْلِفِ الله مُفْرَداً .

أما أبواه فلا نجد إشارة إليهما في ديوانه إلا أن تكون الرسالة التي جاءت

(١) رقيات الاعيان ١ : ٢٣٩ .

(٢) الاغانى ١٨ : ٤٧٠ .

(٣) الممددة ١ : ٧٠ ، ١٨٤ - مخله مضبوطة في اخبار أبي تمام بضم الميم وفتح الحاء وتشديد

اللام المفتوحة (ص ٤٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٧٢) .

(٤) راجع اعيان الشيعة ١٩ : ١٩ وما بعدها ففيها اشارات كثيرة وشواهد على اخلاقه الشخصية .

(٥) ديوان خ ٣٦٣ .

(٦) ان لم يخلف الله : ان لم يرزقني ولداً من جديد .

إليه موشحة بالسواد نعيّاً لأحدهما^١. وكذلك نعرفُ أخاً له كان اسمه تسهماً^٢. ثم ان هنالك في ديوانه^٣ مرثية عنوانها « وقال في أخ له وحضر وفاته » تدل على أن الشاعر قالها في أخ له من النسب لا من الصداقة . ولكن ليس فيها ما يدل على أن هذا الأخ المرثي كان تسهماً أو أخاً ثانياً له .

وتزوج أبو تمام امرأة توفيت وشيكاً صغيرة السن فرثاها^٤. وكذلك كانت له جارية ، بمعنى الزوج لا بمعنى الولد ، ماتت في حياته أيضاً^٥. وكان لأبي تمام أولاد لا نعلم من أي الزوجتين هم .

توفي لأبي تمام ابن اسمه محمد رثاه رثاءً يدل على أنه لم يكن له آنذاك ولد غيره^٦. وهنالك في الديوان مرثية تعد واحداً وعشرين بيتاً في ابن له يكنىه أبا عليّ ويذكر أنه كان يوم توفي وحيداً له وأنه قد بلغ مبلغ الشباب . ومطلع هذه المرثية^٧ :

كان الذي خيفتُ أن يكونا	أنا إلى الله راجعونا .
أسمى المرجى أبو عليّ	موسداً في الثرى يمينا ،
حين انتهى واستوى شبابا	وحقق الرأي والظنونا .

ويبدو أن ابنه المرثي بهذه القطعة هو غير ابنه المرثي بالقطعة السابقة . يذكر الشاعر أن ابنه المسمى أبا عليّ توفي بعد مرض ، بينما هو لم يتكلم عن المرض في المرثية الأولى بل تكلم عن شماتة الناس به . ثم ان لأبي تمام ابناً آخر اسمه تمام عاش بعده مدة^٨ ، وهو الذي يتكئ به شاعرنا .

(١) ديوان خ ١٤٣ = شرح التبريزي ٢ : ٦٩ .

(٢) ديوان خ ٣٤٣ ، البيت الثالث . حبة الأيام ١٢٢ . اخبار البحتري ١٤٦ .

(٣) راجع ديوان خ ٣٩٢ .

(٤) ديوان خ ٣٥٦ .

(٥) ديوان خ ٣٨٨ - ٣٨٩ .

(٦) ديوان خ ٣٦٣ .

(٧) ديوان خ ٣٩١ - ٣٩٢ .

(٨) اخبار أبي تمام ٢٦١ ، ٢٧٣ .

بيئة أبي تمام

لا أقصد بوصف بيئة أبي تمام دراسة أحوال الامبراطورية العربية في القرن الثالث الهجري (والقرن التاسع الميلادي) . ان تلك الأحوال كانت تمثل مدنية العالم بأسره والتاريخ بعصوره . ولو أني تعرضت لبيئة أبي تمام بمثل هذا التفصيل^١ لاضطرت إلى أن أجزيء بأشياء عامة لا جدوى تحتها لمن يتناول هذا الكتاب — وقد لا يكون لها صلة وثيقة أو غير وثيقة بأبي تمام وشعره . على أنني سأخذ في هذا الفصل تلك العناصر والعوامل التي كان لها أثر بين في حياة أبي تمام وصلة ظاهرة بشعره .

١ — بيئة الخاصة

احتكاكه الأول بالشعراء

لما ظهرت مواهب أبي تمام — وكان قد رحل من دمشق إلى حمص — كان أكثر اختلاطه بآل أبي عبد الكريم الطائي ، وبعد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن ، كما مر بنا . ثم إن شبان حمص وشعراءها لم يبلغوا من الخلاعة والفتك ما بلغ إليه أبو نواس وعصابته ببغداد وضواحيها : لقد كان الرأي السائد في حمص مناهضة أمثال هؤلاء المنتهكين الذين كانوا يفسقون في سمر . وكثيراً ما

(١) لما أصدرت الطبعة الأولى من دراسة أبي نواس (بيروت ١٣٥١ - ١٩٣٢) أخذت علي محمد

محمود شاكر في مجلة المقتطف (مصر ، فبراير - شباط ١٩٣٣ ، ص ٢٤٠ س) أنني

أوجزت جداً في الكلام على بيئة أبي نواس .

كان هؤلاء الخلقاء لا ينجون من قبضة رجال الشرطة إلا بعد لأي^١ .
وكان 'مجان' حمص يرتادون الميماس^٢ ليشربوا الخمر أو ليفسقوا، ولكن ذلك كان حياة خاصة لهم لم يجهروا بها ، ولم يتهتكوا تهتك بشار وأبي نواس ومطيع بن أبياس^٣ في بغداد . وكذلك كان زعيم شعراء الشام وأستاذ أبي تمام، ديك الجن الحمصي ، كثير التأثم من الجهر بما كان يغلب على طبعه أحياناً من حب القصص ، ثم هو فوق ذلك أعلى شديداً التقوى . وهكذا لم يقع أبو تمام في بيثة مستهتره كما اتفق لأبي نواس .

وهناك أيضاً ملاحظة تصدق على كل زمن ، هي أن الداخل حديثاً في دين يكون أشد نمسكاً بفروضه وشعائره من أصحاب الدين أنفسهم . وأبو تمام رغب في الإسلام - تاركاً بلاده وأهله - فكان حرياً باجتناب كل ما يحمل منه على غير الإخلاص .

مصر بعيدة عن فساد بغداد

وانتقل أبو تمام إلى مسجد مصر يسقي الماء فيه لمعاشه ، فكان يلزم المسجد منذ الفجر إلى ما بعد العشاء في الأغلب - مدة قد تبلغ أحياناً ست عشرة ساعة أو أقل قليلاً - . من أجل ذلك كانت فرص اختلاطه بالعالم الخارجي نادرة فلم تتح له فرص يقتدي فيها بغير رجال الدين وأعلام الأدب . كان أبو تمام يلزم هذا المسجد واقفاً أمام حلقه تدريس ، فإذا طلب أحدهم شربة ماء سقاه ثم رجع إلى مكانه الأول يجلس الرأي بعد الرأي والرواية بعد الرواية . ولا ريب في أن مصر كانت في ذلك غير بغداد : كانت بعيدة عن فجور

(١) راجع شيئاً من أخبار ديك الجن في الأغاني ١٢: ١٣٦ (طبعة دار الكتب ١٤: ٥١-٦٨) .

(٢) الميماس منزلة في حمص كثير الأشجار يتدفق فيه نهر الماسي فيكسبه جمالاً ؛ وكان الميماس منزلاً لحمص ولا يزال ، ولكنه اليوم لمن يقصده . وقد بنى اليوم فيه بناء حديث يجذب فترا من

المتزهين ولكن ضيق شيئاً من الجمال الطبيعي لذلك المنزه .

(٣) راجع راجع مثلاً أخبار أبي نواس لابن منظور .

الروم والفرس والمجوس وعن حاناتهم السرية ؛ أو هي لم تكن في ذلك كما كانت بغداد ، ولم يكن فيها من يطلب الدُّعابة حتى في المسجد ، أمثال عصاية أبي نواس الذين كانوا يُنهون الدرس بحملة 'مجنونة على الأستاذ' .

من استقى أبو تمام علمه ؟

كان أبو تمام رجلاً 'حُبِّبَ إليه الأدب عامة والشعر خاصة' ، فكان يستفيد مما يمر به من ذلك . فهو في هذا الباب 'عصامي' وقر أوقاته على الاستفادة ثم لم يترك له اجتهاده متسعاً للتهور .

لا نستطيع ، مما لدينا من أخبار أبي تمام ، أن نعرف شيوخ أبي تمام ؛ ولكن الصولي^١ ذكر جماعة روى أبو تمام عنهم ، منهم العطار بن هرون ، وكرامة بن أبان ، وأبو عبد الرحمن يحيى بن اسماعيل الأموي ، وسلامة بن جابر النهدي ، ومحمد بن خالد الشيباني ، وقلاية الحرّمي ، ومالك بن دلتهم وعمر بن هاشم السروي^٢ . وذكر محسن الأمين هذه الأسماء وزاد عليها صهيب بن أبي صهباء الشاعر^٣ . قد يكون هؤلاء شيوخاً لأبي تمام تلقى العلم والأدب عليهم وتخرج على أيديهم ، وقد يكونون شيوخاً اتفق أن سمع أبو تمام منهم حديثاً بعد حديث وكتب عنهم إملاء بعد إملاء .

'كان أبو تمام حافظاً للقرآن ، عارفاً بالحديث وعلوم العربية ؛ كثير الاطلاع على التاريخ : ما عمّ منه وما خصّ ، حسن المشاركة في علم الكلام وفنون الفلسفة . أما في الأدب والنقد وفروع البلاغة فكان — مما يبدو لنا في ديوانه — إماماً كبيراً' .

الزمذهبه فيه

وكان مما اكتسبه أبو تمام في حمص مذهبه العلوي . ونحن نعلم أن أتباع

(١) أخبار أبي تمام ٢٤٩ - ٢٥٨ .

(٢) أعيان الشيعة ١٩ : ٤٨٥ . في أبي تمام الطائي (ص ٧٣) : صهيب بن أبي الصهبان (أو

الصهباء) الشاعر (أيضاً) .

المذهب العلوي أشد الناس محافظة على الفرائض والتوافل وأبعدهم في الحماسة الدينية حتى ليكونون أحياناً مفرطين فيما يظنونهم التقوى . فهذا ، إذن ، عامل آخر يحجز أبا تمام عن ارتداد اللهو علناً ؛ وهذا شيء نعرفه من حياته .

وأبو تمام لم يكن متشيعاً^(١) يُعجب بآل البيت ويأسى لما نزل بهم من المصائب فقط ، بل كان شيعياً يعتقد إمامتهم ويذهب في إثبات الإمامة لعلی مذهبهم . وشعره في ذلك كله ظاهر الدلالة . ولقد جمع محسن الأمين^(٢) طرفاً صالحاً من شعر أبي تمام الدآل على شيعته . أما أبرز قصائده في هذا الباب فهي^(٣) :

أظبية^(٤) ، حيث استتمت الكُتُب العُفُرُ ،

رَوَيْدَكَ لا يفتالكِ اللومُ والرجرُ !

التي قالها في مطلع حياته قبل أن تقبل عليه الدنيا ، وحينما كان في مصر في الأغلب . وقد جاء في هذه القصيدة :

أفاعيل أدناها الحيانة والغدر ^(٥) .	فعلتم بأبناء النبي ورهطه
بداهية دهاية ليس لها قدر ^(٦) .	- ومن قبله أخلفتم لوصيه
فلا مثله أخ ولا مثله صهر ^(٧) .	أخوه - إذا أعد الفخار - وصهره ؛
كما شد من موسى بهارونه الأزر ^(٨) .	وشد به أزر النبي محمد

(١) راجع الفرق بين « متشيع » و « شيعي » ، ابن الرومي للمؤلف (الطبعة النافذة) ص ٩ - ١٠ .

(٢) أعيان الشيعة ١٩ : ٥٣٠ - ٥٤٣ .

(٣) ديوان خ ١٦٦ - ١٦٦ .

(٤) حيث تقالت (تتابعت) التلال السمراء اللون .

(٥) رهط الرجل : جماعته . أفاعيل جمع أفعولة : عمل الشر والخداع .

(٦) وصيه ، يقصد أبو تمام علي بن أبي طالب . يرى الشيعة أن الرسول كان قد أوصى لعلي بالخلافة بعده . الداهية الدهاية : المصيبة العظيمة . ليس لها قدر : ليس لها (لعظمها) مقياس تقاس به .

(٧) أخوه (لما آخى الرسول بين المهاجرين والانصار أخى بينه وبين علي) . صهره : زوج ابنته (فاطمة) .

(٨) الأزر (في الأصل) : الظهر . شد به أزر النبي : جعل له سنداً ومعيناً . كما شد من موسى -

ويوم الغدير استوضح الحق أهله
أقام رسول الله يدعوهم بها
بمدة بضبعيه ويعلم أنه
أحجة رب العالمين ووارثه
ولو لم يخلف وارثاً لعزركم
بفيحاء لا فيها حجاب ولا ستر^١.
ليقرّبهم عرف وينّاهم نكر^٢.
ولي ومولاكم؛ فهل لكم خبر^٣؟
نبي، ألا عهد وفّي ولا إصرأ^٤
أمر تبيين الشك ساحة من تعرفو^٥.

= بهاروفه الازر: كما جعل هرون معيماً لموسى (راجع القرآن الكريم سورة طه ، ٢٠: ٣١ :
« هرون أخي، اشدد به أزري وأشركه في أمري »).

وفي غزوة تبوك (٥٩) اصطحب الرسول كبار الصحابة وخلف علياً مكانه على المدينة .
وظن علي أن فعل الرسول كن تفضيلاً للصحابة عليه، فقال له الرسول : ألا ترضى أن تكون
مني بمنزلة هرون من موسى ؟ (تخلفني في الناس كما خلف هرون موسى في بني إسرائيل لما
صعد موسى لميقات ربه) .

(١) يوم غدير خم (يضم الخاء) . خم غيضة فيها غدير على يسار الطريق من المدينة الى مكة . في
الثامن عشر من شهر ذي الحجة من سنة ١١ خطب الرسول بعد حجة الوداع في من كان معه
من الحجاج قبل أن يتفرقوا ، ثم أخذ بيد علي ورفعها .. وقال : « فمن كنت مولاه فهذا
علي مولاه . ألهم وال من ولاء وعاد من عاداء » الخ . كما يروي الشيعة . وهم يرون أن
هذه الولاية تقوم مقام الوصية له في بالخلافة (راجع منتخبات اسماعيلية ، دمشق ١٣٧٨ هـ -
١٩٥٨ م ، ص ٢١٦ - ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٣٠ ؛ وذخائر العقبى من مناقب ذوي القربى
تأليف الخافظ محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري) القاهرة ١٣٥٦ هـ (ص ٦٧) .
استوضح الحق أهله : بأن الحق للذين يحبون الحق . بفيحاء : في أرض منبسطة مكشوفة (علناً)

(٢) ليقرّبهم عرف : ليشاح لهم أن يعرفوا . وينّاهم نكر : ليباعد عنهم الجهل .

(٣) بمد بضبعيه : يرفع (الرسول صل الله عليه وسلم) عضد (يد) علي بن أبي طالب ليشهد
الناس على أنه مول المسامين . خبر : علم (راجع مقدمة ابن خلدون ، بيروت ١٩٥٦
ص ٣٤٢ وما بعده) .

(٤) إصر : قرابة . - يا حجة الله على عباده ووارث نبيه (يقصد علي بن أبي طالب) ،
ألا يقر (هؤلاء الذين فعلوا بأبناء علي ما فعلوا من الأمور المذكورة في أبيات تصيق هذا
البيت) بعهد أخذ عليهم أو بقرابة يبرقونها لعل بالرسول) .

(٥) لو لم يكن للرسول وارث لثألكم أمور مميّة تلحق من قصصيه (لو ترك الرسول المسلمين
بلا وصية لكان ذلك عاراً عليهم) .

جعلتُ هَوَايَ القَاطِمِيَّينَ زُلْفَةً^١ إلى خالقي ما دُمْتُ أو دَامَ لي عُمرٌ.^٢
وَكُوفِي دِينِي ، عَلَى أَنْ مَنصِبِي شَامٌ^٣ وَنَجْرِي أَيْةٌ ذُكِرَ النَجْرُ^٤.

مقامه عند الممدوحين

رجع أبو تمام من مصر فأقام عند ممدوحين — في الشام وبغداد وخراسان — وكاهنهم من الخلفاء والأمراء ورجال الدولة الذين قاموا على أنقاض حاشية الأمين الفاسقة في زعمهم . أفطن أن الذين ينقمون من الأمين أنه اتخذ شاعراً فاسقاً كأبي نواس — وهم إنما أثاروا عليه هذه التهمة حتى خلعوه وحاربوه ثم قتلوه ليشتبوا دولتهم — يتساهلون في أمر دينهم وسلوكهم ليسرّموها بما رُمي به الذين جاءوا قبلهم ؟ كان هذا أيضاً يصد الشاعر عند عبثه إذا اشتهاه .

حياته الخاصة

ولكن هذا كله لم يكن ليمنع الشاعر من إطلاق عواطفه فيما حوله في شيء من الخمر والتسر . فلقد أحب بعض الجوارى ، وكثيراً من الغلمان ، ويظهر أن عواطفه أحياناً كانت تغلب على مبادئه فيسرف في شرب الخمر وإنفاق المال ، وفي اتباع أهواء النفس حتى يُسِفَ إلى ما انحط إليه أبو نواس ؛ لولا أنه متكم قليلاً ، وإن أبا نواس منهتك مستهتر^٥ .

العنصر الشخصي

كان أبو تمام من الشعراء الذين شعروا بقيمتهم الذاتية شعوراً حقيقياً . لقد روي عن جميع الشعراء أنهم فاخروا أقرانهم ، وأشاروا إلى مقدرتهم في أثناء مناقضات متباينة المرامي ؛ ولكن أبا تمام كان أول من أخذ بالنظر إلى نفسه ثم إلى

(١) زلفة: تقرباً إلى الله .

(٢) وكوفي ديني : اتخذت دين أهل الكوفة (التشييع لعلي وآله) ، مع أن منصبه (مكافئ ،

سكني) ونجري (أصلي ، نسبي) شام (من أهل الشام ، أموي) أية ذكر النجر : مهما

كان أصلي ، عربي أو رومي (؟) .

(٣) راجع الاغاني ٢١ : ٣٤ .

شعره مؤكداً صفاتهما العالية. انه لا يكفي أن ينشرهما، بل يتخذ منهما موضوعاً يتابعه في أماكن كثيرة من قصائده. تراه يقول من مديحة في عياش ابن كلبية: شجى في حُلوق الحادثات مُشرق^١ به عزمه، في الترهات، مُغرب^٢ كأن له ديناً على كل مشرق من الأرض، أو ثاراً لدى كل مغرب — وان نُكبتُ بجِدِّ في حزونته سهاته، فكأنني منه في لعب، مُقصرًا خطراتِ الهم في بدني علماً بأنني ما قصرت في الطلب^٣. وغيرها مما تجده أيضاً في قصيدته: أهن عوادي يوسف وصواحيبه^٤.

وقد أجمل الأستاذ المقدسي* ذلك فأشار إلى « صبره على المشاق لبلوغ المني، وشدة إعجابه بنفسه... فاذا قرأت ديوانه رأيته مضعماً بما يدل على أنه نشأ مغامراً في سبيل المال والجاه. وقد زادته كثرة أسفاره عزماً ومضاء... » فلا عجب إن كان أبو تمام: إذن، واثقاً بنفسه إلى حد الغرور أحياناً، يفرض ما يقوله على الناس فرضاً، ويعتقد آماله قبل أن تقع. ولا تحملن ذلك منه على العفو أو العبث فقد جاء به في أعظم مواقفه جيداً، لنصغ الى أبي تمام يقول (ديوان خ ٧):

ولقد رجوتُ، فهل لديك بحاجة، وعلمت أنك لا تُخيب رجائي،
إني امتدحتك لا لفائدة، ولا همي جزاءُ مدائمي بجزاء
لكن أروم به احتياطك، إنه فيما لديك لبغيتي وغنائي.
فهو يقول: أنا لا أمدحك طمعاً بالجائزة، ولا « تملقاً » كما يفعل الشعراء:
ولكن لأريك عظمة شعري^٥... ثم انظر قوله « أنا (من) عرفت »، أو قوله

(١) راجع أيضاً الاغانى ٢١: ٢٤.

(٢) الترهات: القفار. ديوان خ ٢٥.

(٣) خ ٤٧١.

(٤) ديوان خ ٤٣، راجعها في « المختارات ».

(٥) امرأ الشعر ١٧٧ - ١٧٨.

(٦) ديوان من، ص ٥٤ وحاشية ٧؛ خ، ص ٧.

ولئنني لأرجو عاجلاً أن تردني مواهبه بجرأ تُرجتي مواهي .
وسنرى في مكان آخر أن « آراءه لم تشبهه » ، وأنه « فاق فطنة الفيلسوف »^١
وقد انتقل هذا الروح إلى شعره أيضاً ففخّر به وفضّله ، وقارنه بصلة
المملوح ، ثم قرن نفسه بالمملوح :

سأجهد حتى أبلغ الشعر شأوه .
فإن أنا لم بحمدهك عني صاغراً
— قالبني من أمهات تِلاديه ،
— ما خالده لي دون أبوب ، ولا
خذها مثقفة القوافي ، ربها
خذاء تملأ كل أذن حكمة
كالطعنة السجلاء من يسد ثائر
كالدر والمرجان ألف نظمه
وإنلر أن ترى له مدحة لم يفتخر فيها بنفسه وشعره^٢ :

- (١) ديوان خ ٤٢ ، ٨٤ ، ٤٠٤ .
(٢) خ ١١٩ .
(٣) خ ٩٥ .
(٤) خ ٨٤ = هذا بيت من قصيدته يعتذر أبو تمام بها إلى قاضي الدولة أحمد بن أبي دؤاد ،
ويستشفع بخاله بن يزيد الشيباني فيقول : مثلي في الاعتذار إليك مثليز يدين المهلب لما استجار من
الوليد بابوب بن سليمان بن عبد الملك ، وبعد العزيز بن الوليد فشغفما له . وما خاله الذي
يشفع له بأقل منها ، وما أذت بأقل من الوليد بن عبد الملك — راجع امرأه الشعر ص ١٧٩
(راجع ديوان شرح التبريزي ١ : ٤٠٠ .
(٥) خذاء : قارصة .
(٦) الاخنود : الشق في الأرض . الضربة الاخنود : الضربة بالسيف تحدث جرحاً واسعاً .
(٧) الشذر : قطع من الذهب أو الفضة توضع بين اللؤلؤة واللؤلؤة في العقد .
الكعاب : الفتاة إذا برز قههاها . الرود : اللينة ، الناحية .
(٨) ص ١٧٩ - ١٨٠ .

وما كنت ذا فقر إلى صلب ماله : وما كان حفص بالفقر إلى حمدي .
ولكن رأى شكري قِلادةً سودد^١ فصاغ لها سلكاً بهياً من الرّفد ؛
فما فاتني ما عنده من حباه ، ولا فاته من فاخر الشعر ما عندي^٢ .
- بقوافٍ هن البواقي على الدهر ، ولكن أثمانهن مواض^٣ .
ثم لا يذهبن بك الظن إلى أنه يدعي ذلك ويتظاهر به ، فقد رُكِّب ذلك في
نفسه ؛ روى الأصفهاني^٤ أن أبا تمام أنشد عبدالله بن طاهر قصيدته « أهن
عوادي يوسف وصواحيه ؟ » فثر عليه ألف دينار ، فلم يمسّ منها شيئاً بل
تركها للغلمان يلتقطونها حتى وجد عليه ابن طاهر ، وقطعه زماناً . ثم قلب
ديوانه حتى تصل إلى هذه الأبيات فتحسب أبا تمام إنما يتكلم عن نفسه لا عن
الممدوح :

ماذا ترى فيمن رآك لمدحه^٥ أهلاً ، وصارت في يدك مصائرُه ؟
قد كابرَ الأيام حتى كذّبت عنه^٦ ، ولكن القضاء يكابره .
لا تنسَ من لم ينسَ مدحك ، والني تحت الدجى يزعمن أنك ذاكره .
بكّر^٧ ، فقد بكّرت إليك بمِدْحَةٍ غررُ القصائد ؛ خيرُ أمرٍ باكره .
لا شيءَ أحسنُ من ثنائي سائراً ، وتذاك في أفق البلاد يسايره^٨ !

٢ - العناصر المساعدة

دخل أبو تمام بغداد بعد وفاة المأمون ، وقد لبست من الثقافة الأجنبية ثوباً

(١) ديوان خ ١٢٢ - ١٢٣ .

(٢) ديوان خ ١٨٨ .

(٣) الاغاني ١٥ : ٩٩ (بولاق) .

(٤) كذبت عنه : أنشئت عنه وجبت ، ومعنى البيت ان الشاعر غالب الأيام فقهرها ؛ ولكن

قضاء الله هو الذي يغالبه الآن .

(٥) ديوان خ ١٥٦ .

قشياً بفضل سعيه لنقل كتب الإغريق خاصة . ويحسن هنا أن نقول : إن أبا تمام جاء بعد رده من الزمن فرأى الكتب منتشرة ، والثقافة شائعة في الناس . بدأ الخلفاء بالنقل منذ أيام المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ) ، ولكن الثقافات المتضمنة في الكتب المنقولة اقتضت وقتاً حتى انتشرت بين الناس .

أما الجوالي اليونانية والفارسية والهندية ، سواء منها التي اعتنقت الإسلام - قديماً أو حديثاً - أو التي بقيت على أديان آبائها ، فإنها كانت كتباً حية في المجتمعات وحلقات الأدب والعلم والحدس . وإذا كان بشار بن برد وأبو نواس وأبو العتاهية ومعاصروهم قد رأوا هذه الحركة في أولها ، وتعرفوا إليها في طفولتها فإن أبا تمام قد شهد عنفوانها وعاش في لبائها .

الثقافة اليونانية

هزم النفوذ الفارسي في معركتين : الأولى يوم فتك الرشيد بالبرامكة وأتباعهم ومواليهم وصنائعهم ، ففضى على نفوذ الفرس في الحكم ، وقلص ظلهم الوارف عن قصر الخلد ، والثانية يوم ترك المأمون مرو وأتى إلى مدينة السلام ، ثم ما عثم فيها أن أعلن ترك الحضرة والرجوع إلى السواد : شعار بني العباس ، ففضى على أمل الفرس المستتر وراء النظرية العلوية في الخلافة ، غير أن ذلك لم يتعرض للثقافة الأدبية بشيء .

إلى جانب هذه الثقافة الأدبية الفارسية ازدهرت ثقافة علمية إغريقية . فبينما كنت ترى الناس يستمعون إلى الغناء الفارسي أو المنقول عن الفارسية ، أو تراهم يصغون إلى قصاص الخرافات الفارسية أو يتفقهون بالأدب الفارسي والكياسة الفارسية ، اللذين استخرجهما ابن المقفع وأمثاله ، كنت تراهم يتجادلون في الفلسفة اليونانية ويتناقشون في كتب الإغريق العلمية . وكان للهند أيضاً ثقافة رياضية في بلاد الإسلام كلها . غير أن العرب لم يستفيدوا من أدب اليونان الفني .

وكان أظهر هذه الثقافات في شعر أبي تمام الثقافة اليونانية ، ولا عجب فقد

كانت الزي الشائع بعد المأمون كما أن الثقافة الفارسية كانت الزي في عصر هرون الرشيد . ولعل هذه الثقافة كانت أقرب إلى عقلية أبي تمام ، ربما لصلة نسبه بالروم ، وهو لم يتحرر من بيئته اليونانية إلا يوم أسلم دون أفراد أسرة على ما رأينا .

ثم توفي المأمون وترك وراءه نزعة من الحرية العقلية لم يعرفها الإسلام من قبل ولا عرفها من بعد : لقد تناولت هذه النزعة الدين بأوسع مظاهرها وفي أقدس مظاهره كالقول بخلق القرآن ، وجدال أهل الكتاب بلا قيد ولا رقيب ، ثم التفكير في ما حفظه الدين من الروايات . وحسبك في هذا المقام أن تعرف أن هذه كانت من قبله كفرأ أو أقرب شيء إلى الكفر . ولا ريب في أن أبا تمام احتك بهذه أيضاً — وهو الشاعر العالم — واستفاد منها حتى ظهر بعض أثرها في حياته وشعره .

الزندقة والشعوبية

اتهم حبيب بن أوس بالزندقة ككثيرين غيره : والزندقة يومذاك تهمة سياسية أو دعوى على رجل اتهم بما لا يمس الدين في أساسه . فيكفي أن يكون الإنسان متهمكاً في قوله دون عمله حتى يرمي بالزندقة . وقد يكون ملحدأ كافراً فلا يسمونه إلا زنديقأ . من أجل ذلك ترى أن هذه الكلمة مطاطة باستطاعتك أن تجمع فيها الأضداد والقُرْآناء . وقد اتُهم أبو تمام بها ، قيل لأنه لم يصل الظهر في يوم بارد .

أما الشعوبية فلم تظهر في شعر صاحبنا ولا في حياته ؛ ليس ذلك فقط بل أنه هجا من اتهموا بها وبالزندقة هجاء مرأ . فلا عجب إذا بحثنا فيها عند الكلام على هؤلاء .

الاحداث والفتوح

لم يمثل الناحية القومية الدينية بمعناها الواسع حتى ذلك الوقت شاعر كما

مثلها أبو تمام . ثم جرى كثيرون على أثره وحاولوا أن يلحقوا به ، ولم يبلغه ويتقدم عليه غير شوقي .

كان فخر الجاهلي بقبيلته فحسب لا يعدو بضعة آباء خوفاً من أن يلتقي بجد قبيلة الشاعر الذي يفاخره ؛ وجاء العصر الأموي فكانت النقائص التي نسميها نحن هجاء سياسياً ، فخرأ محدوداً وشتائم كثيرة لا تعدو أيضاً قبيلة واحدة ، أو أسرة واحدة . أما أبو تمام فيقد مدح الخليفة ، وهو ليس إلا مبرطونية عربية إسلامية ؛ ومدح رجال الخليفة - وأكثرهم عرب - إذا كانت سيرتهم وأعمالهم في رضى الخليفة ، كما سرى عند الكلام على فنون أبي تمام . ولقد أجاد الشاعر في جميع هذه القصائد إجادة عظيمة ، وخلق منها في ديوانه فاحية بارزة تنجلي فيها نفسه الكبيرة سيفاً مسلولاً على أعداء الخليفة الداخلين والخارجيين ، ومنطقاً فصيحاً ، وشعراً فخماً . ولننجز الآن الكلام على خمسة من هذه الأحداث .

أ - العلويون

يظهر عطف أبي تمام على العلويين جلياً في عدد من قصائده لميله اليهم : كان يعتقد بحقهم في الخلافة ويأبى لما أصاب رجالهم على يد العباسيين ، وكان المأمون قد مال إلى العلويين ثم انقلب عليهم .

خرج محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالطالقان من خراسان . وبعد معارك متعددة انهزم فنجأ إلى نسا ، فأخذه عامل نسا وأرسله إلى عبدالله بن طاهر أمير خراسان . وأرسله عبدالله بن طاهر إلى المعتصم فوافق وصوله إلى سامرا في ربيع الأول من سنة ٢١٩ هـ (آذار ٨٣٤ م) فحبسه المعتصم ، ولكن محمداً احتال في ليلة الفطر (آخر رمضان ٢١٩ = ٥ تشرين الأول ٨٣٤) ، وقد اشتغل الناس بأمر العبد ، للهرب . ولم يعرف أحد مكانه بعد ذلك .

(١) راجع قصيدته : أغنية حيث استفتت الكشب خ ١٦١ - ١٦٦ ، (فوق ١ ص ٤١-١٢) .

(٢) تاريخ الكامل ٣١٢:٦ .

ب - بابك الحرمي

الحرمية «دين الفرح» ، ويعمل أتباعها على الأخذ بالملذات وعلى «الإباحية» فيزوّج الرجل أمه أو أخته أو ابنته ؛ ويؤمنون بتناسخ الأرواح . ولهم ناحية ثانية في مذهبهم هي كره العرب وكره دينهم ، والعمل على ردّ المزدكية - دين الفرس الشعبي - ؛ على أن هذه الحركة لم تقوَ إلا بعد اتصالها ببابك^١ في حديث بطول . فلما قويت قام بابك بحارب المسلمين معتصماً بجبال البتّة منذ أيام المأمون . وقبل أن يتوفى المأمون أخذ في وصيته على أخيه المعتصم عهداً لزاماً بأن يتغلب على بابك ولو أنفق كل ثمين . ولقد صدع المعتصم بذلك فلم يغز الروم ، ولم يوجه جيشاً إلا إلى حرب بابك حتى انتصر عليه^٢ .

أثارت هذه الحادثة حمية أبي تمام الدينية وخلدها في قصائد كثيرة من عيون قصائده في شعر يتدفق حماسة وبلاغة ، ثم قدم الأفشين ببابك الحرمي على سامرا سنة ٢٢٣ هـ فقتل بابك فيها وصلب .

ج - فتح عمورية

كان الروم قد انتهزوا فرصة اشتغال المسلمين بحروب بابك فجعلوا يغيرون على البلاد الإسلامية ؛ ويؤوون اليهم بعض الثائرين على سلطة بغداد . وقبيل أسر بابك أغار ثيوفيلوس^٣ ، ويسميه العرب : توفيل بن ميخائيل ، على

(١) بابك في الفارسية تصغير باب ؛ والباب بالفارسية : الاب ، الحليل . وبابك تطلق على المرب ، والمعلم . وهو اسم لك أيضاً . (Steingass, Persian - English Dictionary, London, p. 135.

(٢) طالت حركة بابك عشرين سنة وروي أنه قتل في اثنتائها ٢٥٥,٥٠٠ انسان ثم تغلب الافشين على بابك واستخلص من في يديه من المملكات واولاد دمن . وقد كافأ المعتصم الافشين بعشرين مليون درهماً (نحو نصف مليون ليرة ذهبية) . . وادخل عليه الشراء بمدحونه و امر لهم بصلات أيضاً ، وذلك في ١٥ ربيع الاول سنة ٢٢٣ فقال فيه ابو تمام قصيدته : و به الجلال البه فهدفين ، الطبري (مصر) ١٠ : ٢٢٣ ؛ خ ٢٢٦ - ٢٢٨ ؛ تاريخ الكامل ٦ : ١٣٥ ١٨٢ ، ١٨٩ ، ١٩٣ . والفهرست ٤٨٠ - ٤٨٢ .

(٣) Cf. Finlay, Hist. of Byz. Emp. ch. III. Sect. ii

زَيْطَرَة^١ : مولدِ امّ المعتصم ، وقيل بل مولد المعتصم ؛ وخربها ثم أوقع بأهلها .
في هذه الاثناء اتصل بالمعتصم ان امرأة هاشمية صرخت ، وقد هاجمها العلوج :
« وأعتصماه » . فصرخ وهو على سريرهِ : « لَيْتَكَ » . ونهض من ساعته .
واستعد اعظم استعداد (٨٢٢٣) .

لقد خرب توفيل مدينة لها ذكرى في قلب المعتصم ، فلراد المعتصم ان يقابله
بمثل عمله ؛ فسأل عن اعظم مدينة عند الروم ، فقيل هي عمورية^٢ . ولعل
لذلك سبباً آخر هو ان عمورية بلد الدولة الحاكمة ومولدها وإليها تنسب . ففتح
عمورية ، اذن ، كان مغامرة شعرية جميلة فوق ما انطوت عليه من الاهمية
التاريخية التي حملت الروم ذلاً تلمسه في قصيدة فتح الفتوح^٣ .

د - مازيار

كان مازيار هذا قد اظهر الخلاف على امير خراسان عبد الله بن طاهر ؛
وفي عام ٢٢٤ هـ خرج عليه بطرستان وامتنع عن ارسال الخراج . لكسن
عبدالله تمكن بوساطة احد عماله من ان يقبض على مازيار ويرسله الى سامرا ،
فيقتله المعتصم عام ٢٢٥ هـ .

هـ - حرق الافشين

لما ظهرت حركة بابك أرسل الافشين لقتاله ؛ ولكن الافشين جعل يطاول
بابك ، فاثارت هذه المطاولة شكاً حوله ، وظنّها الكثيرون محاباة للثائر وعطفاً
عليه . ثم تتابعت سلسلة من الأدلة جعلت الافشين متهماً لدى الخليفة : منها
ارساله الأموال الى اشروسنة (بين نهر سيحون وبلدة سمرقند) سراً ، قيل
لتأييد الدعوة الى الدين المجوسي وردّه ؛ وقد ثبت ان أهالي اشروسنة كانوا يبدأون

(١) زېطرة Zapeira بلدة بين ملطية وسيباط والحديث ، فتحها المعتصم سنة ٢٢٢ هـ (ياقوت

٢ : ٩١٤) .

(٢) « الصيغ أصدق أنباء من الكتب .. »

كتبهم الى الافشين بهذا العنوان : « الى اله الآلهة ... » ؛ وانه كان لدى الافشين كتاب في الديانة القديمة مُحْتَمَى بالذهب والجواهر ؛ وانه كان يكتب اتباعه ويكاتبونه متربصين بالعرب الدوائر . وزاد في النعمة على الافشين سعيه بعبد الله ابن طاهر وطمعه بإمارة خراسان مكانه .

كل هذه البيانات تجمعت لتدين الافشين فلم يرَ المعتصم بدأً من قتله ؛ ولكن السياسة اضطرتة الى تجاهل امره حتى ينجلي الموقف في خراسان ؛ فتركه اميراً عاماً للجند في المشرق ، ولكن جعل على بعض اقسام الجند قادة يطمئن الى ولائهم : منهم ابو سعيد محمد بن يوسف الثغري ، وابو دُلُف العجلي ، يساعدهما عبد الله بن طاهر والي خراسان .

وتغلب المسلمون على بابك ولم يقتل المعتصمُ الافشين ، لحرصه على الاستفادة من مواهبه العسكرية في حرب الروم ايضاً بعد ان عزم على مهاجمة عمورية . فلما فتحت عمورية وغلبت الروم ؛ ولما خضد الخليفة شوكة الثائرين في المشرق ومكنه الله من اعناقهم ، لم يبق للمعتصم في الافشين مأربة فقتله وصلبه ، ثم احرقه . فأضاف ابوتمام الى قلائده الخالدة قيادة جديدة ، وانشد المعتصم مِدْحَةَ جديدة يبدأها بيسط تهم الافشين ، وينهيها بطلبه الى الخليفة ان يعقد لابنه الواثق ولاية العهد ؛ وذلك عام ٢٢٥ هـ :

الحقّ أبلجُ ، والسيوفُ عوّارٍ ؛
فحذّارٍ من أسدِ العرين حذّارٍ !

(١) ابن الاثير ٢١٠: ٦ ، خ ١٥١ - ١٥٥ .

(٢) ابلج : ظاهر ، واضح ؛ عوار (ج عارية) مجردة .

الخصائص الأدبية في شعره

ان الأمم تختلف في أساليب تفكيرها ، فعلم ذلك مما فراه عندها من بناء جُمَلها ونراكيب كلامها وأنواع مجازها واستعاراتها وكتاباتها - كل أمة حسب بيئتها وتطورها وثقافتها . وكذلك أفراد الأمة الواحدة فانهم يختلفون أيضاً في طرائق تفكيرهم ، قوة وضعفاً أو بُعد غورٍ وقرب مُتناول ، كل حسب بيئته واستعداده الطبيعي والفكري وحسب ثقافته .

١ - خصائصه المعنوية

لم تبرز هذه الظاهرة في شاعر عربي يروّزها في أبي تمام ؛ حتى قال النقاد عن شعره إنه معقّد ؛ وعن معانيه أنها مقترقة مأخوذة بعنف . على أننا لو انعمنا النظر لوجدناه يفكر بطريقة صحيحة ، ولكنها بعيدة عن مألوف الرجل العادي . ان أبا تمام مثقف حافظ ، مطلع على الحركات الفكرية التي كانت في أيامه ؛ وهذه عناصر كلها تتضافر على صبغ تفكيره بصبغة تظهره غريباً في نظر القارئ العادي ، وليس هو على الحقيقة كذلك . ثم أي فضل لشاعر - او لأي رجل آخر - اذا كان يحرك لسانه بما انتجته قرائح الناس ؟

ولقد صدق ابن رشيّق حين قال ١ : « وانما سمي الشاعر شاعراً لانه يشعر بما لم يشعر به غيره ؛ فاذا لم يكن عنده توليد معنى ، ولا اختراعه ... او صرف

(١) السدة ١ : ٩٦ .

معنى عن وجه الى وجه آخر كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة ؛ ولم يكن له الا فضل الوزن ، وليس بفضل عندي ، مع التقصير ... » ثم قال : « وانما السبق والشرف في المعنى ^١ ا » .

والبلك هنا مثالين من تقصير الناس في فهم معاني أبي تمام .

خطأ الآمدي ^٢ أبا تمام في قوله ^٣ : «

فلويت بالمعروف أعناق المني ، وتحطمت بالإنجاز ظهر الموعد .

فزعم استعارة الظهر للموعد قبيحة ، والمعنى المستخلص من حطم الظهر رديئاً ؛ ولا أرى إلا أن أبا تمام تخيل أن ينجز الإنسان وعداً قبل أن يقطعه ثم يستغني عن الوعد مرة واحدة ، فيعطي المعتفين حالاً ، فلا يجري الوعد على لسانه . وكل ما في نقمة النقاد منه أنه نظر إلى المعنى من حيث لم يتعود الناس أن ينظروا إليه من قبل ، ودليلنا على ذلك قول أبي تمام نفسه ^٤ :

برى الوعد أخزى العار ، إن هو لم تكن مواهبه تأتي مقدمة السوعد .
وخطأه الآمدي أيضاً في قوله ^٥ :

يَقِظُ ، وهو أكثرُ الناس إغصاءً على نائلٍ له مسروقٍ .

وكل ما في الأمر أن الآمدي لم يتعود أيضاً أن يرى النائل (العطاء) مسروقاً . إن ما يكون مسروقاً ، في رأيه ، هو المال المغصوب ؛ أما ما يعطيه الرجل فلا يمكن أن يكون مسروقاً . ولا ريب عندي أبداً في أن أبا تمام قصد أن الشاعر يأخذ الممدوح بالشعر الجميل حتى يسلبه مالا ما كان ليُعْطِيَه إياه لولا

(١) السدة ١: ٧٤ ، الطر ٥ - ٦ .

(٢) الموازنة ٩٥ .

(٣) دهبان خ ١١٣ .

(٤) انظر شرح الاسود ١: ٢٦٥ ، امراء الشعر ١٥٥ .

(٥) دهبان خ ١٣٠ .

(٦) الموازنة ٩٩ .

(٧) دهبان خ ٢٢٠ ، سر الفصاحة ٢٥٠ .

هذا الشعر .

وعلى كل فلنذكر أن الآمدي - جد متحامل على أبي تمام ، جد مُحَابٍ
للبحري .

شغف أبي تمام بالإغراب

قال الآمدي في كتابه « الموازنة بين أبي تمام والبحتري » ، على لسان صاحب
أبي تمام : « إنما أعرض عن شعر أبي تمام من لم يفهمه لدقة معانيه وقصور
فهمه (هو) ، وفهمه العلماء والنقاد في علم الشعر »^١ . وكان مثال ذلك ما
جرى يوم قصد أبو تمام عبدالله بن طاهر ومعه قصيدة يمدحه بها مطلعها :
أهنّ عوادي يوسف وصواحيبه^٢ . فلما عرضها على كاتبين لعبدالله بن طاهر
قالا له : « لم تقول ، يا أبا تمام ، ما لا يفهم »^٣ ، فأجابهما فوراً : « لم لا
تفهمان ما يقال ؟ » . فكان هذا مما استحسن من جوابه^٤ . ثم انهما سرّاً بأبيات
منها سروراً حملهما على رفعها إلى عبدالله بن طاهر .

وكان في الآمدي تحامل على أبي تمام ، ومع ذلك فاننا نجد يقول :
« لا يدفعون أبا تمام عن لطيف المعاني ودقيقها والاغراب فيها
إلا الاستنباط لها » . ولكنه يقول أيضاً : « وأبو تمام يتبهرج شعره عند التفتيش
والبحث ، ولا تصحّ معانيه على التفسير والشرح »^٥ .

ولا ريب في أن أبا تمام كان يوغل في طلب معانيه . ولقد أنصف كتاب
أمراء الشعراء في نقل رأي ابن رشيق^٦ : « وأما حبيب (أبو تمام) فيذهب
لى حزنونة اللفظ وما يملأ الأسماع منه مع التصنيع المحكم طوعاً أو كرهاً ،

(١) الموازنة ٩ .

(٢) راجع حبة الايام ٢٦ وما بعدها ، ١٣٤ .

(٣) الموازنة ١٧٠-١٧١ .

(٤) الموازنة ١٥ .

(٥) ص ١٩٣-١٩٤ (الطبعة الثانية ١٩٠) .

(٦) السدة ١: ١٠٩ .

يأتي للأشياء من بعد . ويأخذها بقوة » ...

« ويراد بذلك هيامه بالغريب من المعاني التي يحتاج في تفهمها إلى تأمل ومشقة . تراه يغطي مقاصده بشيء من الإبهام . فإذا كشفته بان لك جمال خلاب يستهويلك ويزيدك ترحباً بها . ومن هنا (تنشأ) هذه الصعوبة التي يعاينها من بطالع ديوانه ، فانه قد يقف حائراً أمام طالاسه وغموض معانيه ، حتى إذا راضت له بالدروس والتفكير رأى فيها ما يلذذ من صور جميلة ومعانٍ رشيقة ^١ . كل شعر يبدأ نهضة فهو غامض : كذلك الشعر الجاهلي الأول ، فشعر امرئ القيس أكثر غموضاً من شعر زهير للزمن الذي بينهما ، وشعر الطيرماتح أشد تعقداً من شعر جرير ! وكذلك شعر مسلم بن الوليد أحياناً ، وشعر ابن الفارض : وكذلك أيضاً شعر شكبير والروائيين الإفرنسيين الأول وشعر غوته سيد شعراء ألمانيا . ولعل أشعار فيرجيل ودانتي لا تخرج على حدود المبدأ الذي نتخذه .

أفتعجب بعدئذ ، إذا رأينا غموضاً في بعض شعر أبي تمام وهو الذي أوجد طريقة الشاميين ، وكان أول من حلّى الشعر العربي بالصناعة اللفظية المقصودة ؟ فمن إغراب أبي تمام ، إذن ، قوله :

— وقد كانت الأرماح ابصرن قلبه	فأرمدها ستر القضاء الممدد ^٢ .
— رقيق حواشي الحليم ، لو ان خلّفه	بكفك ما ماريت في أنه برّد ^٣ .
— قد كان عذرة مغرب فافتضتها	بالسيف فحل المشرق الأفشين ^٤ .

(١) امرء الشعر ١٩٤ (الطبعة الثانية ١٦٠ - ١٦١) .

(٢) خ ١٠٢ - يتخيل الشاعر هنا ان لرماح عيوناً ابصرت المقتل (من بابك الحرمي) ولكن قضاء الله الذي لم يكن قد حان بعد مد بين عيون الرماح وبين قلب بابك سترأ امرضها فاضلت المقتل (ونجا بابك) .

(٣) خ ١٢١ - يخبرنا ابوتمام ان الممدوح (محمد بن الهيثم) لبن العريكة طيب النفس ، حتى لو ان اخلاقه تجس باليد لما شك انسان في أنها ثوب من الحرير رقيق . راجع سر الفصاحة ٢٤٩ .

(٤) خ ٣٢٦ - ما زالت مدينة ألب (مقل بابك) بكر محصنة بعيدة المنال حتى استطاع القائد الافشين التركي (المشرق) ان يكون اول بان بها (متزوج بها = اول من أخذها عنوة) .

— وركب يساقون الركاب زجاجة من السير لم تقصِد لها كف قاطب ؛
فقد أكلوا منها الغوارب بالسرى ، وصارت لها أشباحهم كالغوارب^١ .
ولكن يجب ألا نجفيل كثيراً من الغموض والتعقيد في الشعر ، كما يقول
نفر من النقاد ، فإن الشعر لا يمكن أن يكون الكلام المتداول المألوف . من
من أجل ذلك وجب أن نغتنر للشعراء كثيراً مما يظهر في شعرهم من ذلك .
« ولو كان التعقيد وغموض المعنى يسقطان شاعراً لتوجب ألا يرى لأبي تمام
بيت واحد ؛ فأننا لا نعلم له قصيدة تسلم من بيت أو بيتين قد وفّر من التعقيد
حظهما وأفسد به لفظهما . ولذلك كثر الاختلاف (أي اختلاف الناس) في
معانيه ، وصار استخراجها باباً منفرداً ينتسب إليه طائفة من أهل الأدب ،
وصارت تطارح في المجالس مطارحة أبيات المعاني وألغاز المعنى^٢ .
وهذا يكاد يكون عاماً في الشعر كله ، قال الجرجاني^٣ : « وليس في الأرض
بيت من أبيات المعاني لقديم أو مُحدث إلا ومعناه غامض مستر ؛ ولولا ذلك
لم تكن إلا كغيرها من الشعر ، ولم تفرّد فيها الكتب المصنفة ، وتشغل
باستخراجها الأفكار الفارغة^٤ . على أن الذي يؤخذ على أبي تمام أن ديوانه
مشحون بالغموض والتعقيد^٥ .

قوى الفكر غواص على المعاني .

قال المبرد^٦ « لأبي تمام استخراجات لطيفة ومعاني طريفة ، وهو صحيح

(١) خ ٤١ ؛ امرأ الشعر ١٩٦ - ١٩٧ - يجعل اهو تمام السير خراً صرفاً غير مزروجة ؛
يدبرها الركبان بينهم فتورثهم شدة في سيرهم من غير تفكير بمآل ؛ ثم إن أجهاد النياق بالسير
قد اذاب سنامها ؛ وكان السير الكثير أيضاً قد انحلهم هم أنفسهم فأصبحت أجسامهم النحلة
كأنها هي سنام الابل (راجع أيضاً شرح التبريزي ٢٠٩ : ١) .

(٢) الوساطة ٤٣٠ - ٤٣١ .

(٣) الوساطة ٤٣١ .

(٤) الأفكار الفارغة : التي ليس لها مشاغل .

(٥) الوساطة ٤٣٢ .

(٦) اخبار أبي تمام ٩٦ - ٩٧ ؛ أخبار البحري ١٦٤ - ١٦٥ .

المخاطر حسن الانتزاع (للمعاني وللصور الشعرية) . وأبو تمام يقول النادر والبارد ، وما أشبهه إلا بغائص يخرج الدّرّ والمخشليّة ^١ . والصولي يقول ^٢ : « ان أبا تمام يصنع الكلام ويخترعه ويتعب في طلبه حتى يُبْدِع ، ويستعير ^(٣) ويُغريب في كل بيت إن استطاع وأبو تمام لا يسقط معناه البتّة ، وإنما يختلّ في (بعض) الوقت لفظه . فاذا استوى له اللفظ ف (ذلك) هو الجيد من شعره النادر الذي لا يُتعلّق به » .

تفاوت شعره

بدأ الآمدي حجاجه عن البحرّي وحملته على أبي تمام بقوله ^٣ : « ووجدت - أطال الله عمرَكَ - أكثر من شاهدته ورأيت من رواة الأشعار المتأخرين يزعمون أن شعر أبي تمام لا يتعلّق بجيده جيد أمثاله ، ورديته مطروح مرذول » . وعلى هذا سار الأصفهاني فقال ^٤ : « والسليم من شعره النادر شيء لا يتعلّق به أحد ، وله أشياء متوسطة ، و (أشياء) رذلة جداً » . كل هذه الأحكام ترجع بلا ريب إلى قول البحرّي عن أبي تمام وعن نفسه ^٥ : « جيده خير من جيدي ، ورديتي خير من رديته » .

ولقد أنصف الجرجاني لما استعرض أقوال النقاد في أبي تمام ثم وازن بين هذه الأقوال وبين شعر أبي تمام ، وقد استشهد ببعض غرره وقلائده ، فقال ^٦ : رأيت أبا تمام يترقى في هذه ^٧ الدُرج العالية ويتصرف هذا التصرف المعجز ، ثم ينحط إلى الخفيض ويلصق بالتراب ^٨ . ويلوم الجرجاني

(١) غرز أبيض يشبه اللؤلؤ .

(٢) أخبار البحرّي ١٦٥ - ١٦٦ ، راجع ٥٧ - ٥٨ غ ٩٦:١٥ .

(٣) الموازنة ١ .

(٤) غ ٩٦:١٥ .

(٥) أخبار البحرّي ٥٧ .

(٦) الوساطة ٦٥ ، راجع ١٨ ، ٢١ ، ٦٢ - ٧٨ .

(٧) في الأصل « هذا » . - الدرجة (بالضم ، أو بفتح ففتح ، أو بضم وفتح) : المرقاة .

أبا تمام - مع شدة حبه له^١ - على أنه يأتي بالأبيات الرائعة الأنيقة ، ثم يأتي له في أثناءها بيتٌ ضعيف فيسفلق هذا البيت الضعيف في موضعه وتتخلخل القطعة كلها . ان البيت الضعيف إذا جاء في أثناء أبيات بارعة أو متينة اشتد ضعفه بروزاً ، كما أن البيت البارع المتين إذا وقع في الأبيات السخيفة الركيكة ضاع جماله ولحقته هجئته . ويتمنى الجرجاني أن لو كان أبو تمام قد حذف الأبيات الغثة الركيكة من ديوانه ولو ذهب في ذلك نصف شعره . ويرد الجرجاني أكثر عيوب أبي تمام إلى شدة تكلفه للمعاني البعيدة وإلى الجِدِّ في تطلب البديع ، فان التكلف ، في رأي الجرجاني^٢ ، « قد يكون سبباً إلى طمس المحاسن » .

التشبيه والاستعارة

ويتبع أغراب أبي تمام في المعاني عموماً ، بعد تشابهه واستعاراته . ولكن لا يعزبن عن بالك أن الناس يميلون إلى ما أليفوا ويصدون عما لم يعرفوا . وقد صرح بذلك الآمدي^٣ فقال عن أبي تمام : « ولو ... اقتصر من القول على ما كان مخدراً أخذوا الشعراء المحسنين ... لظننته كان يتقدم عند أهل العلم بالشعر أكثر الشعراء المتأخرين » . وعلى هذا انتقد له « رقيق حواشي الحلم » لأنه ما علم أحداً من شعراء الجاهلية والإسلام وصف الحلم بالرقعة ، وإنما يوصف الحلم بالعِظَم والرجحان والثقل والرزانة ...^٤ وانتقد له : من الهيف لو أن الخلاخل صُيرت لها وشُحَّ جالت عليها الخلاخل .

فقال « وهذا الذري وصفه أبو تمام ضد ما نطقت به العرب ... »^٥ ، لأن

(١) قال الجرجاني : « ولست أقول هذا غصاً من أبي تمام ، ولا تهجيناً لشعره ، ولا عصبية عليه لنيره . فكيف وأنا أدين بتفضيله وتقديمه ، وأنتحل موالاته وتمطيته ، وأراء قبله أصحاب المعاني وقدة أهل البديع » (الواسطة ١٨) .

(٢) الواسطة ١٨ .

(٣) الموازنة ٥٦ .

(٤) الموازنة ٥٧ ، ثم ٥٧ - ٥٩ ، راجع الواسطة ٧٦ .

(٥) الموازنة ٥٩ ، الواسطة ٧٦ .

العرب تجعل الخلاخل ضيقة في الأرجل ، وتحب النساء البديئات . وانتقد له
« عرض الدهر » ، « والزمان لا عرض له على الحقيقة »^١ .

وأخذوا على أبي تمام من استعاراته قوله^٢ :

« فضربت الشتاء في أخدعيه ضربة غادرته قوداً ركوباً ،

وقوله : « يا دهر قوم من اخدعيك »^٣ ... « فالآمدي لا يعترف للشتاء باخدعين
« عرقا العنق » ، وإنما هما للبشر أو للاحياء على الأقل . ثم ان الأستاذ ضومط
يساير الآمدي الى حدّ فيقول : « إنه (أي أبا تمام) يصور الشتاء بغيراً
صعباً وقد ركبه الممدوح فعاصى عليه في سيره فضربه ضربة شديدة في كل من
اخدعيه فذل وأطاع ، ... ان الاستعارة بالكناية في البيت بعيدة عن المؤلف ،
ويصعب على الذهن تصورهما » .

فأنت إذا رأيت الأسس التي ، اتخذها النقاد لنقد شعر أبي تمام ، علمت أنها
صحيفة بالإضافة إلى أنفسهم — أي إلى ما ألفوا وما لم يألفوا — لا بالإضافة إلى
ما يمكن أن يفهم منها بعد إعمال الفكر . ولا ريب عندنا في رجاحة رأي ابن
رشيقي : « والفلسفة وجر الأخبار باب آخر غير الشعر ، فان وقع فيه منهما
شيء فيقدر . ولا يجب أن يجعل نصب العين ويكونا متكئاً واستراحة ؛ وإنما
الشعر ما أطرّب ، وهز النفوس وهز الطباع ... » ، ثم نقل ابن رشيقي رأي
الملاحظ في مكان آخر فقال : « أجود الشعر ما رأيت متلاحم الأجزاء سهل
المخارج ... فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان . وإذا كان الكلام على هذا
الأسلوب الذي ذكر الملاحظ لذ سماعه ونخف محتمله وقرب فهمه وعذّب
النطق به ... »^٤

على ان تكلف أبي تمام قد جعل كثيراً من استعاراته سيئة لتفرتها في الذوق

(١) الموازنة ٨٢ .

(٢) ديوان خ ٢٧ ، الوساطة ٦٨ ، راجع ٤٤٦ ؛ سر الفصاحة ١١٧ ؛ راجع أمراء الشعر ١٦٢ .

(٣) الموازنة ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، الوساطة ٤٤٦ ، مجلة الكلية آذار ١٩١٤ .

(٤) للسدة ٨٣ : ١ ، ثم ١٧١ - ١٧٢ .

واستحالتها في العقل كقوله مثلاً^١ :

باشرتُ أسبابَ الغنى بمدائحٍ ضربتُ بأبواب الملوك طبولاً .

ومرد هذه السيئة عند أبي تمام ، في رأي الجرجاني ، ان الشعراء كانوا يَجرون في الاستعارة « على نهج منها قريب من الاقتصاد ، حتى استرسل فيه أبو تمام ومال إلى الرخصة فأخرجه إلى التعدي » .

ولكن يجب ألا نفرّ النقاد على كل شيء أخذوه على أبي تمام ، أو على غيره ، فقد لا يكون المعنى من سوء بحيث يظنون ولا الاستعارة من البعد بحيث يحسبون . روى الجرجاني^٢ بيت أبي تمام (ديوان خ ٧٥) :

شاب رأسي ، وما رأيتُ مَشيباً إلا رأساً ممن فضل شيب الفؤاد .

ثم قال : « وهذا مما استقبح من استعاراته » ، يقصد استعارة الشيب للفؤاد (للقلب) . ولعل الجرجاني قد أُتِيَ في ذلك من استغراب نفر من جلساء أحمد بن أبي درّاد لهذا البيت . هذا البيت من قصيدة قالها أبو تمام في مدح أحمد بن أبي دؤاد ، هي^٣ :

سَعَدَتْ غُرْبَةُ النّوى بسُعادٍ فهي طَوْعُ الإِتهامِ والإنجاد .

قيل لما وصل أبو تمام إلى البيت : « شاب رأسي » قال بعضهم : وكيف يشيب الفؤاد ، فرد عليهم أبو تمام قيل ، بيت ارتجله :

وكذاك القلوبُ في كلِّ بؤسٍ ونعيمٍ طلائعُ الأجساد .

قد تكون الاستعارة بعيدة : « أي تشبيه القلب بإنسان يشيب رأسه » ، ولكن المعنى صحيح . يقصد أبو تمام — مما رأينا من البيت الذي ارتجله رداً على من اعترضه في ذلك — أن الشيب في الرأس علامة على ضعف الميتة الجسدية . ان الشيب الطبيعي يأتي من التقدم في السن ، والتقدم في السن يجعل الجسم

(١) الوساطة ٣٩ .

(٢) الوساطة ٢٥٠ .

(٣) ديوان خ ٧٥ - ٧٨ .

ضعيفاً . فالشيب الذي يأتي أيضاً مع تقدم السن هو علامة ظاهرة على الضعف المستتر في الجسم . وصَرَفَ التبريزي البيتين بِسُرٍ ، إذ قال في معنى البيت الأول : « أي ما شئت للكبير ، إنما للهجوم » . وقال في شرح البيت الثاني « أي كل ما يحدث بالجسم فاعلم انه بدأ بالقلب أولاً »^١ .

نحن نعلم أن شعر أبي تمام ليس من هذا النوع الذي يَقْرُبُ فهمه وَيَعْدُبُ النطقُ به . ولكنه من ذلك النوع الذي تَطْرَبُ له العقول المثقفة والأفكار النيرة وأهل الاطلاع الواسع ؛ وكل ذنب أبي تمام عند قوم آخرين انه بحث عن أوجه للشبه جديدة واستعارات بعيدة عن المؤلف أوحى بها إليه اطلاعه الواسع وفكره القوي وروحه الوثاب ، فاستبعدها الناس واستغربوها وحملوا عليه من أجلها . وينصف الجرجاني حينما يقول : ان إساءة الشاعر في بيت أو في قصيدة لا تسقطه من الشعراء ولا تقدح في شاعريته^٢ . إلا أن نفرأ من النقاد المحدثين كانوا يفضلون الجاهلي والإسلامي (الأموي) ثم يُقَرِّون للطبقة الأولى من المحدثين أمثال بشار وأبي نواس بشيء من الفضل ثم لا يَرَوْنَ فضلاً لتأخر قَرُب زمانه من زمانهم^٣ . وكان هؤلاء يتحاملون على الشاعر المحدث ولو كان محسناً . وربما سمع أحدهم الشعر غير منسوب فاستحسنه وطرب له ، ثم إذا نسب ذلك الشعر إلى قائله ، وكان قائله مُحدثاً ، ذمه وتبرا من رأيه الأول^٤ . وعلى هذا كان بعض النقاد ينفضون يدهم من أبي تمام مرة واحدة^٥ .

كثرة اختراعه

قال ابن رشيق^٦ : « وأكثر المولدين معاني وتوليداً ، فيما ذكر العلماء ،

(١) ديوان ، شرح التبريزي ١ : ٣٦٠ .

(٢) راجع الوساطة ٤٣٠ - ٤٣١ .

(٣) راجع الوساطة ٤٨ ، ٤٣٣ .

(٤) راجع الوساطة ٤٨ ، ٥٠ ، راجع ٧٨ ، ٤٣٣ .

(٥) الوساطة ٤٨ .

(٦) العدة ص ١ : ١٨٩ .

أبو تمام ؛ ولكنه شخصياً يميل إلى إعطاء هذا المركز لابن الرومي ، مع أنه كان قد شاركهما فيه قبل بضع عشرة صفحة^٢ حيث قال : « وأكثر المولدين اختراعاً وتوليداً ، فيما يقول الخذاق ، أبو تمام وابن الرومي .. »

والاختراع عند ابن رشيق خلق المعاني التي لم يسبق إليها ، والإتيان بما لم يكن منها قط . وأما ابن الأثير فأشد تحفظاً في أحكامه ؛ جاء في كتابه^٣ « قد قيل ان إبا تمام أكثر الشعراء المتأخرين اختراعاً للمعاني ، وقد عُدَّتْ معانيه المبتدعة^٤ فوجدت ما يزيد عن عشرين معنى . وأهل هذه الصناعة يُكبرون ذلك ؛ وما هذا من أبي تمام بكبير^٥ » .

ولم هذا أيضاً ذهب أبو الفرج الأصفهاني^٦ فقال عنه « شاعر مطبوع ، لطيف الفطنة ، دقيق المعاني ، غوّاص على ما يستصعب منها ويعسر متناوله على غيره » . إلا أن النقاد لا يتفقون على أنه مطبوع .

اعتداده بشعره

نظر أبو تمام إلى نفسه فرأى قوة فكره ورأيه فقال^٧ :

فاسمع مقالة زائر ، لم تشبهه^٨ آراؤه عند اشتباه اليد .
— ليت شعري ماذا يريبك مني ، ولقد فُتت فطنة الفيلسوف .
وأنت كيفما قلبت في ديوانه وجدتَ فكراً لا يكل على المدى بل يزداد دائماً قوة ونضجاً ، وكأنك من معانيه أمام سبل لا ينقطع . ويكفيه فخراً أنه جرح صحة تلك الفكرة القائلة : « ما ترك الأوائل شيئاً للأواخر » ثم

(١) ص ١ : ١٩٠ .

(٢) ص ١٧٧ .

(٣) المثل الثاني ١ : ١٩٣ .

(٤) لا شك في أنه يقصد المخترعة . انظر العدة ١ : ١٧٠ .

(٥) راسع النماذج في الكلام على الفنون والاعراض : الحكمة والزهد .

(٦) الاغاني ١٥ : ٩٦ .

(٧) ديوان خ ص ١٨٤ ، ٤٠٤ .

دلّ على أن قول عنزة « هل غادر الشعراء من مَردم ؟ لا يعني أن
الأقدمين أتوا على جميع المعاني ؛ وعلى أن بيت زهير^١ :

ما ترانا نقول إلا مُعاراً أو مُعاداً من قولنا مكروراً
أما منحول أو أنه حكم شخصي خاص . أما أبو تمام فيقول عن قصائده
(ديوان خ ١٤٣) :

يقول من تفرّعُ أَسْماعه : كم ترك الأولُ لآخر !
وظفر ابن رشيق^٢ بهذا البيت فقال : « وعلى هذا القياس يُحمل بيت أبي
تمام — وكان إماماً في هذه الصناعة غير مُدافع — : « يقول من تفرّع أَسْماعه .. »
فتنقض قولهم : ما ترك الأول للآخر شيئاً .

وقال أبو تمام في مكان آخر فزاد بياناً وكشفاً !
فلو كان يفتي الشعرُ أفناه ما قرّت حياضُك ، منه ، في العصور الذواهب
ولكنه صوّبُ العقول ؛ إذا انجلت سحائبُ منه أعقبت بسحائب^٣ .
ويؤكد لنا أبو تمام ذلك بقوله عن قصائده (ديوان خ ٨١) :
مُترّهة عن السرق المورّي ؛ مُكرّمة عن المعنى المُعاد^٤ .

(١) هذا البيت من قصيدة منسوبة لكعب بن زهير (ديوانه ، صنعه أبي العباس أحمد بن يحيى
بن زيد الشيباني ثعلب . Bibl. D.M.G. fol. 125a, Cod. Soc. 83 . وليس
في ديوان زهير (المجموع نفسه) . وليس هذا البيت في ديوان زهير (القاهرة ،
مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٦٢ هـ = ١٩٤٤ م . وفي « شرح ديوان كعب بن زهير »
من صنعة السكري (القاهرة ، دار الكتب ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م ، ص ١٥٤) :
ما أَرانا نقول إلا رجيعاً الخ .

(٢) العدة ١ : ٥٧ .

(٣) ديوان خ ٤٣ ، ديوان ، الاسود ١٢٤ . لو كان الشعر مقداراً محدوداً ينتهي لانهى منذ
زمن طويل لكثرة ما أعطت الشعراء على نفسك . ولكنه صوّب العقول (انكساب من العقول
كانسكاب المطر من الغمام) كلما تلاشت غمامة (يتحولها مطراً يسقط على الأرض) تهبتها
غمامة أخرى (راجع أيضاً المختارات) .

(٤) الاغاني ١٥ : ٩٧ .

ومعاني أبي تمام على كثرتها جيدة ؛ وحسبك أن يقول عمار بن عقيل وقد سمع له أبياتاً من قصيدته : غدت تستجير الدمع خوف نوى غد : ۛ لقد تقدم في هذا المعنى من سبقه إليه ، حتى لقد حُبب إلي الاغتراب ! ۛ ؛ يقصد بذلك قول شاعرنا (ديوان خ ١٠٠ - ١٠١) :

وطول مُقام المرء في الحي مُخلق لديباجتيه ؛ فاغتربُ تتجددِ
فاني رأيتُ الشمس زِيدَتْ محبةً ، إلى الناس ، أن ليست عليهم بمرمدِ .

مطالعه وتخلصه وخواتمه

في النقاد نفر يرون أن تكون مطالع القصائد بارعة جداً لأن المطالع أول ما يفرع الأذن من القصيدة ، ويسمّون ذلك براعة الاستهلال وحسن الابتداء . ويرى هؤلاء أن المطالع إذا كان حلواً للألفاظ واضح المعنى متين التركيب ترك في نفس السامع أو القارئ أثراً باقياً قد لا يمحى ولو جاء في القصيدة عدد من الأبيات الرديئة . ومطالع أبي تمام بارعة في الأكثر ، وخصوصاً في الحوادث انكبار ، فمن مطالعه الجيدة :

السيف أصدق أنباءً من الكتب في حده الخلد بين الجيد واللعب .
— من سجايا الطلول ألا تُجيباً فصوابٌ من مقلتي أن تصوباً .
— الحق أبلج ، والسيوف عوار ؛ فحذارٍ من أسد العرين حذار !
— كذا فليجيل الخطب وليفدح الأمر ، فليس لعينٍ لم يفيض ماؤها عذراً .
ولكن له أيضاً مطالع لم تستحسن لما فيها من التعقيد أو لنفرتها في الذوق أو لغموض معناها . من هذه مثلاً (ديوان خ ٣٢١) :

خَشُنْتُ عليه ، أخت بني عُخشين ؛ وأنجح فيك قول العاذلين ١ .

(١) الاصل في عُشن كسر الشين ، ولكن الرواية في الديوان بضمها . وبنو عُشين قبيلة من الهمن (راجع شرح التبريزي ٣ : ٢٩٧) . — يقول : قسوت عليه ، أيها الفتاة ، وقد صدقت فيه قول العذال (اللائمين ، الاعداء) .

ومن خصائص الشاعر المجيد « حسن التخلص » : أي الانتقال في القصيدة من غرض إلى غرض (من الوقوف على الأطلال إلى الغزل فالمدح فالحكم مثلاً) انتقالاً طبيعياً معقولاً سريعاً ، لا أن يتعثر الشاعر في انتقاله هذا فإذا به يقف في غرض وكأنه انتهى من مقصده ثم يبدأ فجأة بالغرض التالي . وإذا كان التخلص من غرض إلى غرض في بيت واحد كان ذلك احسن . ومما يحمد لأبي تمام من التخلص قوله في بيتين يمدح بهما عبد الله بن طاهر ، وقد استغرب رفاقه بعد سفره :

يقول في قَوْمٍ صَحْبِي ، وقد أخذت منا السُرى وخطى المهريّة القُود^١ :
أَمَطَّلَعَ الشَّمْسُ تَبْغِي أَمْ نَوَّمْ بَنَّا ؟ فقلت : كلا ، ولكن مَطَّلِعُ الجُود^٢ !

ويرى الجرجاني^٣ أن أبا تمام قد ذهب في التخلص كل مذهب واهتم به كل اهتمام . غير أن حسن التخلص في ديوان أبي تمام قليل جداً ، ذلك لأن أبا تمام شاعر مصنوع مقتدر ، لا شاعر مطبوع يجري على السجية . تأمل قوله مثلاً يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري (خ ١٠٨) :

نريدن المزيدي ، وليس عندي	وراء محل حبك من مزيد .
أما ، وأبي الرجاء ، لقد ركبنا	مطايا الدهر من بيض وسود .
قلانص شوقهن يزيد شوقاً	ويمنعن الرقاد من الرقود .
إذا انبعثت على أمل بعيد ،	فقد أدنت من الأمل البعيد .
أبين فما يزرن سوى كريم ،	وحسبك أن يزرن أبا سعيد !

فأبو تمام ينتهي من الغزل والنسيب فجأة ثم يبدأ وصف الراحلة . غير أنه يختصر الانتقال من وصف الراحلة إلى المدح .

(١) خ ١٢٦ . - أخذت منا (نهكتنا ، اتمبنا) . السرى (السفر ليلاً) وخطى (خطوات ، سير ، سفر) المهريّة (الباقي من المهرة في جنوبي شبه جزيرة العرب) القود (جمع أقود وقوداء : الأبل الذلولة المعودة على السفر) .

(٢) أطلع الشمس تبغي ؟ : لماذا هذا الامعان والايغال في السفر ...

(٣) الوساطة ٤٧ .

وأبو تمام يُحسن اختتام القصائد كما يحسن مطالعها . وخواتيم قصائده
أبي تمام واضحة المعنى . يستفيد من موجزة القول ترميخ في الذهن بأدنى تأمل .
من ذلك قوله ١ :

كُتِبْتُ ، ولو قَدِرْتُ - هوى وشوقاً إليك - لكنتُ سطرأً في الجواب !
ونظم أبو تمام قصيدةً مدح بها أبا دُلفٍ العجليّ بيتين هما ٢ :
أقولُ لأصحابي : هو القاسم الذي به شرح الجودُ التباس المذاهب .
ولمّني لأرجو عاجلاً أن تردّني مواهبهُ بحراً تُرجّي مواهي .

مصادر معانيه

إذا تركنا المصدر الشخصي لهذه المعاني ، وما تعلمه أبو تمام ورواه قاسمته
منه ، ككثيرين من الشعراء ، رأيناهُ يأخذ المعاني أيضاً من أفواه الذين لا يقصدون
أن يخرجوا أدباً لأنفسهم .

جاء في الاغاني ٣ : « مر أبو تمام بمخنث يقول لآخر : جئتكَ امسٍ
فاحتجبت عني ؛ فقال له : السماء إذا احتجبت بالغيم رُجّي خيرها ... »
قال من روى عنه الاصفهاني « فتبينت في وجه أبي تمام أنه قد أخذ المعنى ليضمته
في شعره ، فما لبثنا أياماً حتى أنشيدت قوله :

ليس الحجابُ بمقصٍ عنك لي أملاً ؛ أن السماء تُرجّي حين نحتجبُ .
وبجانب هذا النوع نوع آخر اختلف الناس في تسميته ؛ فقال بعضهم إنه
سرقة ، وقال آخرون إنه ابتداء .

يعتقد الآمدي ٤ أن أبا تمام شُغف بالشعر ومطالعتة « وأنه ما من شيء كبير

(١) ديوان ٥٧ ؛ اعيان الشيعة ١٩ : ٢٣٢ .

(٢) ديوان ٤٣ ؛ اعيان الشيعة ١٩ : ٢٣٢ ؛ راجع المختارات

(٣) الاغاني ١٥ : ١٠٣ .

(٤) الموازنة ص ٢٣ .

من شعر جاهلي ولا اسلامي ولا محدث الا قرأه واطلع عليه . لذلك تمكن من سرقة معانٍ كثيرة خفّيتْ أكثرها لقلة اطلاع الناس على ما اطلع عليه ابوتمام . ويلى هذا القول اثنان وثلاثون صفحة يردّ الآمدي فيها ابياناً لا يي تمام الى المصادر التي سرقت منها ، ويأخذها بها اخذاً شديداً ؛ مع ان الآمدي نفسه يقول حينما يعرض لسرقات البحري^١ : « انه غير مُنكر ان يكون (البحري) اخذ منه (من ابي تمام) لكثرة ما كان يرد على سمع البحري من شعر ابي تمام فيعتلق معناه قاصداً الأخذ او غير قاصد ... » و (ان هناك) ما يشترك فيه الناس ، وتجري طباع الشعراء عليه ؛ ... ثم اضاف الى ذلك قوله^٢ : « ان من ادركته من اهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساوى الشعراء وخاصة المتأخرين ، اذ كان هذا باباً ما تعرّى منه متقدم ولا متأخر^٣ ... »

ليس من المستغرب ان يكون ابوتمام قد أخذ عدداً من معانيه من غيره ، ولكن المستغرب أن يتبع النقاد المتحاملون عليه ألفاظه ثم يزعمون أن كل بيت شاكلت لفظة من ألفاظه لفظة في بيت شاعر آخر بيت مسروق^٤ .

اكن هذا كله لا يعني أن أبا تمام لم يُلمِّم بمعاني الشعراء . لقد ألمّ أبو تمام بمعنى النابغة الذبياني في تحليق الطيور فوق الجيش الذاهب إلى الحرب : « إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم عصائب طير »^٥ فقال^٦ :

وقد ظَلَلَتْ عِقبانُ أعلامِهِ ضُحىً بعِقبانِ طيرٍ في الدماءِ نواهِل^٧ .
أقامت معَ الرايات حتى كأنها من الجيش إلا أنها لم تُقاتل .

(١) الموازنة ص ٢٢ .

(٢) الموازنة ص ١٢٤ .

(٣) راجع في السرقات الشعرية الوساطة للبرجاني ١٧٨-٢٠٩ .

(٤) راجع الوساطة ٢٠٢ وما بعدها ، وخصوصاً ٢٠٥ وما بعدها ، ٢١٦ ، ٢٧٠-٢٧١ ، ٢٩٧ .

(٥) ديوان النابغة (بيروت ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م) ص ١٠ ؛ ديوان مسلم بن الوليد ٣٠٨-٣٠٩ .

(٦) ديوان خ ٢٤٨ ؛ راجع تفصيل ذلك في أخبار أبي تمام ١٦٣ - ١٦٦ .

(٧) العقاب (بالنسب) : طائر من الجوارح . والعقاب : الراية ، وجسمها عقبان (بالكسر) .

وكان أبو تمام شديد الإعجاب بصريع الغواني مسلم بن الوليد وبأبي نواس ،
وقد أقسم مرة ألا يصلي حتى يحفظ شعرهما^١ . ثم ان أبا تمام كان يتبع مذهب
مسلم بن الوليد في البديع^٢ فليس بعجيب أن يكون قد ألمّ بمعان كثيرة له^٣ .
وكذلك ألم أبو تمام بمعان لأوس بن حجر الجاهلي^٤ ولمسلم بن الوليد العباسي^٥
ولأستاذه ديك الجن^٦ ولغيرهم أيضاً .

لا يتسع المقام هنا لذكر عناصر السرقة في الشعر كما فصلها ابن رشيق عن
المصادر التي استقى منها^٧ ، فالقول متشعب والحكم نسي ذاتي . غير أن ما لا
يغتفر أن يأخذ الشاعر قول شاعر آخر بظله المخصوص ، ثم يسوقه في ألفاظ
متفقة أو مختلفة . أما إذا راقه معنى ورأى أن بعض نواحيه قد خفيت على
صاحبه فجلا تلك المعاني فهو كأنه قد اخترع ذلك المعنى أو أبدعه . وأحسن
مثال على ذلك ما رواه الأصفهاني^٨ فقال :

« حدثني هارون بن عبدالله المهلي قال : كنا في حلقة دعبيل ، فجرى
ذكر أبي تمام ، فقال : دعبيل كان (أبو تمام) يتبع معاني فيأخذها . فقال له
رجل في مجلسه : وأي شيء من ذلك ، أعزك الله ؟ قال : قولي :

وإن امرأ أسدى إليّ بشافع إليه ، ويرجو الشكر مني لأحمق .
شفيحك فاشكر في الخوائج ، إنه يصونك عن مكروها وهو يخلق .

(١) ديوان مسلم ٢٤٧ .

(٢) ديوان مسلم ٢٢٩ ، ٢٨٢ - ٢٨٣ الخ .

(٣) ديوان مسلم ٢١ - ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٤٥ ، ٦٠ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ - ٢٩٩ ، راجع أخبار أبي تمام ٧٨ .

(٤) أخبار أبي تمام ٥٣ - ٥٤ .

(٥) ديوان مسلم ٢٨٧ عن كتاب المحب والمحبوب والمشموم والمشروب المرى الرفاء ، أخبار

أبي تمام ١٧٣ .

(٦) الصلة ١ : ٦٤ .

(٧) الصلة ٢ : ٢١٥ - ٢٢٦ .

(٨) الاغاني ١٥ : ٩٧ - ٩٧ . أخبار أبي تمام ٦٣ - ٦٥ .

فقال الرجل : فكيف قال أبو تمام ؟ فقال : قال ١ :

فلقيت بين يديك حلوة عطائه ، ولقيت بين يدي مر سؤاله .

واذا امرو أسدى إليك صنيعاً من جابه ، فكأتهما من ماله !

... فقال : والله لئن كان أخذه منك لقد أجاد فصار أولى به منك ؛ وإن

كنت أخذته منه فما بلغت مبلغه ... »

وقد اتفق أيضاً أن اختار أبو تمام في حماسه بيتين في الأدب لأحد

الشعراء ٢ نراهما في إحدى مقطوعاته ، ومطلعها (ديوان خ ٤٨٥) :

إذا جاريت في خلقٍ دنيئاً فأنت ومن تجاربه سواء ،

قبل قالها معرضاً فيها ببعض بني حميد لأنه لم يستطع أن يهجوهُ لِمَا لآل

حميد من الحب في قلبه والوفاء من نفسه ؛ ولا ريب في أن هذا نوع من السرقة

صحيح ؛ ولو ظفر الآمدي بهذين البيتين لألف في مثالب أبي تمام كتاباً جديداً .

ولقد فطن التبريزي شارح ديوان الحماسة إلى شيء من ذلك فقال إن أبا تمام

اشتق معانيه لنفسه من الشعراء الذين اختار لهم في « الحماسة » ، فقد أخذ

معنى من الحارث بن همام الشيباني ٣

وحمل دعبل على أبي تمام متهماً إياه بسرقة أجمل مرثية « كذا فليجل » ،

من مرثية لأبي مكشيف المُرَني ، من ولد زهير بن أبي سلمى ، في ذفاقة بن

عبد العزيز العبسي ٤ ، هي ٥ :

أبعدَ أبي العباس يُستعَبُّ الدهرُ ؛ وما بعده للدهر عُتبي ولا عذر ؟

ألا أيها الناعي ذفاقة ذا النسدى ، تَعِسْتَ وَشِلْتَ من أناملك العشر !

(١) ديوان خ ٢٤٠ ؛ شرح التبريزي ٢ : ٦٠ .

(٢) ٢ : ٢٠ .

(٣) شرح ديوان الحماسة

(٤) الوصافة ١٨٧ - ١٨٨ .

ولا مَطَرَتِ أَرْضاً سَماً ، ولا جرت
 كأن بني القعقاع ، بعد وفاته ،
 تُؤَفِّيتِ الآمالُ بعد دُفافةٍ
 يُعَزَّونَ عن ثاورٍ تُعَزِّي به العلى ؛
 وما كان إلا مالٌ من قلٍّ ماله ،
 نجوم ، ولا كذت لشاربها الخمر .
 نجوم سماءٍ خَرَّ من بينها البدر .
 فأصبح في شُغلٍ عن السَفَرِ السَفَرِ :
 ويكي عليه البأس والمجد والشعر .
 وذُخراً لمن أَمسى وليس له ذخِر .

ثم نظم مرثيته في أبناء حميد الطوسي فقال :

كذا فليَجِلْ الخطب ، وليقدح الأمر ،

فليس لعين لم يفيض ماؤها عذراً .

بعد ذلك أثبت البيت الرابع بعد وضع كلمة : نبهان مكان القعقاع ؛ وغير
 دُفافة في البيت الخامس فجعلها محمداً ؛ ثم أثبت البيتين : السادس والسابع
 من غير تغيير .

على أن دَعْبِلَ بن علي الخُزاعي هو الذي لَفَّقَ هذه الرواية ، وتحلَّ أباً
 مكنف هذا الأبيات التي زعم أباً تمام سرقها . ولا ريب في أن أدنى معرفة
 بالشعر والبلاغة تحيل الالتحام بين الأبيات الثلاثة الأولى وبين الأربعة الأخيرة .
 فالثلاثة الأبيات الأولى أشبه شيء بشعر عنتر المنحول في القصص ، بينما
 الأربعة التالية تنطق بشاعرية فياضة وعبقرية لا شك فيها .

ولم يغب شيء من هذا على النقاد المعاصرين لأبي تمام ولا على رواة الأدب ،
 فقد قال علي بن الجهم الشاعر أن دعبلاً كان يكذب على أبي تمام ويضع عليه
 الأخبار . وقد ذكر الصولي ذلك فقال : « وقد رأيت ، أعزك الله ، بعض
 هؤلاء الجهلة يصحّف على أبي تمام ثم يعيب ما لم يقله قط » . ويبدو أن لدُفافة
 المزني هذا مرثية من بحر مرثية أبي تمام في محمد بن حميد وعلى رويتهما ، ولكن
 لا صلة لمرثية أبي تمام بها . ثم إن الأبيات التي زعم دعبل أن أباً تمام أخذها من

مرثية أبي مكنف ثم حوّر فيها حتى توافق غرضه - وهذا مدار التهمة - غير موجودة في شعر أبي مكنف أصلاً^١ .

والواقع أن نقرأ من النافرين والشعراء كانوا يأخذون من معاني أبي تمام إعجاباً بها . حتى أن إبراهيم الصولي^٢ الذي ما اتكل يوماً على غير ما يجيش في صدره لم يملك إلا أن يقبس من أبي تمام معاني وردت في أبياته التالية^٣ :

إذا مارق بالغدر حاول غدرة ، فذاك حري أن تنيم حلائله^٤ .

فإن باشر الأصحار فالبيض والقنا قيراه ، وأحواض المنايا مناهله^٥ .

وان يبين حيطاناً عليه فأنما أولئك عقالاته لامعاقله^٦ .

وإلا فأعلمه بأنك ساخط ودعه ، فإن الخوف لاشك قائله .

فقال مقتبساً : « وصار ما كان يُحرزهم يُبرزهم ، وما كان يعقيلهم

(١) أخبار أبي تمام ٢٠٠ - ٢٠١ ؛ حبة الأيام ١٤٨ - ١٤٩ ؛ أعيان الشيعة ١٩ : ٤١٩ - ٤٢٣

(٢) ابن خلكان ٢٦ : ١ المطبعة الوطنية ١ : ١٥ - ١٦ ؛ والصول هذا هو إبراهيم بن العباس

ابن محمد بن صول ، توفي ٢٤٤٣ هـ نصف شعبان (ابن خلكان ١ : ٢٨)

(٣) أخبار أبي تمام ١٠٢ - ١٠٣ . الاغانى ١٥ : ٩٧ ، ٩٨ ، الديوان ٢٣١ - ٢٣٢ .

(٤) إذا مارق (خارج من الدين ، مرتد ، لأنه ثار على الخليفة) بالغدر حاول غدرة (نكث

بالعهد وخلع البيعة للخليفة من عنقه بالثورة) ، فذاك حري أن (غليظ به أن ، يجب

أن) تنيم حلائله (أن تفقده نسائه ، أن يقتل فتصبح حلائله أيامي) .

(٥) باشر : ولي الامر بنفسه . الأصحار : الخروج من المكان المسقوف الى المكان المكشوف

أو من المدينة الى الغصاء المحيط بها . البيض والقنا : السيوف والرماح . قراء : ضيافته ،

طعامه . المناهل جمع منهل : مكان الماء الذي يستقي منه الناس ويشربون . - إذا جسر

أن يخرج بنفسه (ليلقى المسلمين في معركة مكشوفة ، فانه سيلقي حتفه) سيموت :

سأكل من السيوف والرماح ويشرب أحواض الموت .

(٦) وأن بين حيطاناً عليهم (أسواراً للامتناع وراءها من هجوم الجيوش الاسلامية ، فأنما

أولئك (تلك الحيطان) عقالاته (جدران ، سجن حوله) . والمقالات (يضم العين

وتشديد القاف) جمع عقال : داء في رجل الدابة إذا مشى ظلمت ساعة ثم انبسطت (

(القاموس ٤ : ١٨ ؛ الديوان بشرح التبريزي ٣ : ٢٨) . والأليق أن يكون المعنى :

أن تلك الحيطان تمسكه وتمنع حركته ، المعامل جمع معقل : الحصن .

يعتقلهم فأنزلوه من معقل إلى عقال ^١ . أما الشعراء الذين أخذوا من معاني أبي تمام فكثيرون منهم البحري والمتني وسواهما ^٢ .

وقد أعجيب أيضاً بهذه المعاني الشعراء حتى الأعداء منهم كدعبل ^٣ . وأعجب من هذا كله وأغرب أن أبا تمام ظل قوي الفكر طول حياته ؛ فإنه « اختُرم (مات) وما استمتع بخاطره ، ولا نُزح ركي (بر) فكره حتى انقطع رشأ عمره ^٤ (حبل عمره) » .

العروبة والإسلام في شعر أبي تمام

ولد أبو تمام رومياً نصرانياً ، ثم دخل في الإسلام قبل أن يبلغ من العمر سنّاً تستحكم فيها العقيدة في النفوس فهماً أو تقليداً . والصابئون من عقيدة إلى عقيدة ، والنازعون عن مبدأ إلى مبدأ ، والمنقلبون من سياسة إلى سياسة ، تعظم عصبيتهم للحال الجديدة التي صاروا إليها وتريدُ نفرتهم من الحال التي كانوا عليها . ثم هم يحرصون على أن يقنعوا جماعتهم الجديدة بأنهم قد اختاروا المذهب الجديد إيماناً واقتناعاً وروية . من أجل ذلك نرى لهم تلك الحمية الجاهلية ، وإن كانت حمية صادقة في كثير من الأحيان . انهم يريدون أن يُشهدوا قومهم بالحدود على أنهم قد قطعوا ما بينهم وبين ماضيهم مرة واحدة . وأبو تمام مثل بارع على هذه القاعدة .

ولقد سبق لنفر من الشعراء ، منذ صدر الدعوة الإسلامية ، أن نثروا في شعرهم أقوالاً تدل على تعاقبهم بالإسلام وشادوا بالعروبة أو العروبية من حيث اتصالها بالإسلام نفسه ^٥ . ولكنني لا أعرف شاعراً قبل أبي تمام جعل ذلك وُكده في ديوانه ثم أخرج تلك المخارج المتعددة المنازع والصور . وأنا لن أشغل نفسي

(١) راجع الوساطة ٢٠١ وما بعدها .

(٢) الاغانى ١٥ : ١٠٣ ص .

(٣) الاغانى ١٥ : ٩٨ .

(٤) Das Bild des Fruehislam ... 128-134. (٤)

هنا باستقصاء أبياته التي أشار فيها إلى آيات القرآن الكريم وإلى الأحاديث الشريفة إشارة أو اقتباساً أو تضميناً^١ ، فإن هذه كثيرة في ديوانه كثرةً تعيا على الحصر . وكذلك لن أتبع في شعره تفاصيل العبادات ولا فنون علمه بالأديان ، فما ذلك كله من قصدي هنا . ولكنني سأبسط رأي أبي تمام من الناحية السياسية القومية .

من الصعب أن نفرق في ديوان أبي تمام ، وفي دواوين غيره من الشعراء إلى عهد قريب ، بين العرب والمسلمين ، أو بين مدرك العروبة ومدرك الإسلام . مدح أبو تمام حفص بن عمر الأزدي فقال (ديوان خ ١٣١) :

فأنت - وقد مجتُ خراسانُ داءها	وقد تغلّت أطرافها تغلّ الجلد ^٢ ،
وأوباشها خزرٌ إلى العرب الأولى	لكيما يكونُ الحر من نخول العبد ^٣ ،
وراموا دم الإسلام لا من جهالة	ولا خطأ ، بل حاولوه على عمد -
ضمت إلى قحطان عدنان كلتها ،	ولم يجدوا إذ ذاك من ذاك من بد .
ولما أمات أنجم العرب الدجى	سرت وهي أتباع لكوكبك السعد ^٤ !

وليس من المستغرب أن نرى أبا تمام يجعل العجم في الإسلام مثل العرب ، فإن العصور الوسطى لم تعرف جامعاً سوى الدين . وهكذا قال أبو تمام بمدح

(١) الاستشهاد بآية من القرآن الكريم استشهاداً تاماً أو استشهاداً جزئياً .

(٢) أنت مبتداً خبره ضمت في البيت الرابع الذي يل (راجع شرح التبريزي ٢ : ١٢١) . في ديوان خ ١٣١ : فأنت (رجعت) . مجت خراسان داءها : لفظه ، ظهر داءها (عمت الفتنة فيها) . تغلّت أطرافها : فسدت (بالمصيبة أي بالقتال بين قيس واليمن) . تغلّ الجلد : فسد وائن (بسوء الدبغ أو بإهمال الدباغ) .

(٣) الأوباش (جمع وباش بفتح ففتح) : الاغلاط من الناس والسفلة . خزر جمع أخزر : من ينظر من طرف العين (من المكر أو العداوة) . النخول (بلفظ واحد للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث) : العبيد والخدم .

(٤) أمات أنجم العرب الدجى : تغلب العرب على خصومهم في الفتنة .

إسحق بن إبراهيم المصعبي ويذكر شجاعته وهمته (ديوان ع ٣٠٣) :
 أطعت ربك فيهم ، والخليفة قد أرضيته ، وشفيت العرب والعجم .
 وكل صلة عند أبي تمام تنقطع سوى صلة المسلمين برسول الله ١ :

نرمي بأشباحنا إلى ملكٍ نأخذ من ماله ومن أدبه ٢ :
 نجمُ بني صالحٍ ، وهم أنجمُ الـ عالم من عجمه ومن عربيه ٣ ؛
 رهط النبي الذي تُقَطَّعُ أسـ باب البرايا سوى سبيه .
 مهذبٌ قَدَّتِ النبوة والإسـ لام قَدَّ الشِّراك من نسبه ٤ .

من أجل ذلك كله كانت القدوة العظمى برسول الله وحده ٣ وكان فضل المسلم ، خليفة أو أميراً أو قائداً أو فرداً من عامة الناس ، أن يكون في نصرة الإسلام ٣ ، والمحامي عن الإسلام ٤ ، وفارس الإسلام ٥ ، وأن يوطد أعلام الهدى ويقر عمود الدين ٦ . فاذا استغاث الإسلام وجب على المسلمين أن ينجدوه ٧ بما عرف عنهم من الشجاعة ٨ ، لأن الإسلام لا يعز إلا بمقارعة أعدائه إذا هم به أعداؤه ٩ . والأسلام سيشكر ما يوليه إياه أهله من نجدة وظفر ١٠ . ولا يفرق أبو تمام في ذلك الشكر لأهل تلك النجدة بين الإسلام والدولة والعرب ، قال أبو تمام يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري ويصف شيئاً من بطولته في هزم بابك الخرمي ثم يحار في الإعراب عن الشكر له :

تالله أدري ، أالإسلام يشكرها ، من وقعة ، أم بنو العباس أم أدد ١١ ؟

(١) في الحديث المرفوع : « كل سبب ونسب ينتقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي » (شرح التبذري ١ : ٢٧٦) .

(٢) قَدَّتِ النبوة والإسلام قد الشراك من نسبه : النبوة والإسلام ونسبه من معدن (أصل) واحد . الشراك زيق من الجلد يؤخذ من قطعة كبيرة من الجلد فيها لذلك مثيلان في النوع .

(٣-١٠) ديوان خ ١٠٩٤٢٠ و ٣٠٢ ، ١٣٨ ، ٢٦١ ، ٢١٨ ، ٢٦١ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ على التوالي .

(١١) ديوان خ ٩٩ . - والله (لا) أدري ، من أحق بشكرك على هذه المعركة : الإسلام أم بنو العباس (أي الدولة) أم أدد (قبيلتك) لأن ظفرك فيها كان فائدة للدين والدولة ولقومك .

يوم به أخذ الإسلام زينتته
يوم نجيء ، إذا قام الحساب ، ولم
لم تبق مشركة إلا وقد علمت ،
بأسرها ، واكتسى فخراً به الأبد .
يد منه بدز ولم يفضح به أحد .
إن لم تنب ، أنه للسيف ما تلد .

أول ما يطالعك في ديوان أبي تمام غرابة الألفاظ ، فأبو تمام مُعْزَم أحياناً بالألفاظ الغريبة التي يقلّ ورودها عند غيره . ثم انه كان يحب تلك الألفاظ التي كانت تلور في الأدب القديم وفي البيئة البدوية ، إذ كان من الذين يحبون الاقتداء بالقدماء^١ . وكذلك نجد عدداً من الكلمات يتردد في شعر أبي تمام : في البيت الواحد ، أو في أبيات من قصيدة واحدة ، أو في أبيات من قصائد مختلفة . لقد فعل أبو تمام ذلك كلّهُ ، بين الحين والحين ، « وأظهر التعجرف^٢ وتشبه بالبَدْوِ ونسي أنه حضري متأدّب وقروي متكلف »^٣ فجاء من الألفاظ الغريبة الحوشية بمثل قوله :

قد قلت ، لما اطلختم الأمر وانبعثت عشواءُ نالِيَةُ غَيْساً دَهَارِيساً :
- فَعَنِيْقَهَا يَعْضِيْدُهَا ، وَوَشِيْجُهَا سَعْدَانُهَا ، وَزَمِيْلُهَا تَنْوَمُهَا * .

(١) الوساطة ١٨ ، راجع ١٩-٢١ .

(٢) تعجرف الرجل : أظهر الجفوة في الكلام ، وتكبر .

(٣) الوساطة ٧٠ .

(٤) الديوان خ ١٧١ ، الوساطة ٧٠ . - اطلختم : أغلظم . عشواء : (فاقة) ضعيفة البصر . نالِيَةُ : تابعة ، تتبع . الغيس (جمع أغيس) : ذئاب في لونها كدرة (كلون الرماد) . الدهاريس جمع دهرس (بفتح الدال والراء) : الداهية ، الخبيث . - المعنى : شأن الناقة بصرها فتبعته ذئاباً ضواري (في المصائب يشبه الأمر على الانسان فيأتي نفسه في الهلكة من غير أن يدري) .

(٥) الديوان خ ٣١٢ ، الوساطة ٧٠ . المنيق : المعانق . اليعضيد : بقلة (قصيرة ، قريبة من الأرض) . الوشيح : شجر تجمل من أغصانه الريح . السعدان : نبت من أفضل مراعي الابل . الزميل : الرديف (اذا ركب شخصان على فاقة فالتأخر منها هو الرديف) . التنوم : شجر له ثمر يدخل في العلاج ، وهو يخرج الدود من البطن . - المعنى : يصف أبو تمام فاقة تقطع الصحراء في أحوال صعبة حتى أنهكها التعب فأصبح عنيقها يعضيدها (رأسها من التعب أصبح يمس الأرض كأنها تمنق النبات النابت على وجه الأرض) ، وشيخها سعدانها . (أفضل طعام كانت تحصل عليه كان تلك الأغصان القاسية التي تصلح لتكون رماحاً) ، وزميلها -

غير أن ذلك لم يكن عادة لأبي تمام ألزمتها نفسه ، فإن أبا تمام كان — كما يرى الجرجاني^١ — إذا أراد أن يجري على سجيته جاءت ألفاظ شعره فصيحة مألوفة ، فإذا قصد التكلف كثرت في شعره تلك الألفاظ الغريبة الحوشية^٢ النافرة . ومع هذا فإن أبا هلال العسكري قد تحامل على أبي تمام وجانب الحق لما قال^٣ : « كان أبو تمام يتبع وحشي الكلام ويدخله في شعره » . ولكن مما لا ريب فيه أن أبا تمام قد جانب طريق الشعراء المطبوعين الذين يتقبلون ما يُملئ عليهم طبعهم فيأتي شعرهم فصيح الألفاظ عذب التركيب . فإذا دلهم الطبع على لفظة جزلة أو كامة غريبة أنزلوها موضعها لتحدث في نفس القارئ أو السامع أثراً مقصوداً أو لتبرز معنى ملموحاً أو لتعين الشاعر على الإيجاز . أضف إلى ذلك كله أن للشعراء — في رأي ابن رشيق — ألفاظاً تدور في شعرهم ، قال ابن رشيق^٤ : « وللشعراء ألفاظ معروفة وأمثلة مألوفة لا ينبغي للشاعر أن يعبدوها ولا أن يستعمل غيرها » . ومع ذلك فقد جاء عند جميع الشعراء شيء من الألفاظ الغريبة الحوشية^٥ .

ومن التكرار القبيح للكلمة الواحدة في شعر أبي تمام قوله^٥ :

المجد لا يرضى بأن ترضى بأن يرضى المؤمل منك إلا بالرضا .
أو قوله^٦ :

= تنومها (وقد فسد بطنها فأصابها إسهال — كانت تأكل الوشيج الجاسي ، القاسي ، فيؤلم بطنها) ثم تأكل التنوم فتمشو بطنها) .

(١) الوساطة ٧١ .

(٢) كتاب الصناعتين (مستشهد به في أمراء الشعر ١٦٣) .

(٣) العمدة ٢ : ٨٣ .

(٤) سر الفصاحة ٩١ .

(٥) ديوان خ ١٨٧ ، الوساطة ٧٠ .

(٦) سر الفصاحة ١٨٦ . — الكلمات الثلاث في الشطر الأول : « اسلم ، سلمت ، سلمت » .

مكرورة . السلام (بكسر السين : جمع سلمة يفتح السين وكسر اللام) . الحجارة .

سلى : جبل في بلاد طيء . السلم : شجر قصار (بضم النون) ، لا يسقط ورقه .

فاسلم ، سلمت من الآفات ، ما سلمت

سِلامٌ سلمى ومهما أورك السلم .

ان ترديد هذه الألفاظ في بيت واحد مكروه جداً ، وإن كان عدد منها يؤدي سعائاً مختلفة .

وكذلك لأبي تمام ألفاظ يجب أن يبنى عليها جانباً من استعاراته ككلمة ه أخذع (عرق في جانب العنق) في مثل قوله ١ :

وضربت الشتاء في أخذعيه ضربة غادرته قوداً ركوبا .

— يا دهر، قوم من أخذعك فقد أضججت هذا الأنام من خرقاك .

وسوى ذلك . على أن ترداد لفظ بضع مرات في ديوان كبير ليس عيباً كبيراً ، وإن كنا نأخذ على أبي تمام أنه أجرى هذا اللفظ الواحد بضع مرات في استعارة واحدة .

أما التركيب عند أبي تمام فهو ممن لا شك في ذلك . ولكن تكليف أبي تمام للمعاني البعيدة وغرامته بالصناعة وتطلبته للكلام الغريب أدخلت على شعره شيئاً من التعقيد أدى إلى شيء من الغموض . ولعل تكلفه للمعاني البعيدة هو الذي اضطره إلى القبول بالتركيب المعقد إذا لم يستطع الإتيان بتركيب أكثر وضوحاً للتعبير عن المعنى الذي تراءى له تعبيراً يحيط بجميع جوانب ذلك المعنى . من ذلك كله قوله ٢ :

خان الصفاء أخ خان الزمان أخاً عنه فلم يتخون جسمه الكمد ٣ .

— يا يوم شرّد يوم لهوي لهوه بصباتي وأذل عز تجلّدي ٤ .

(١) ديوان خ ٢٧٠٤٢٧ . راجع أيضاً : « ولين اخادع الدهر الابي » (خ ٤٣٤٤) سر الفصاحة (١١٧) .

(٢) راجع الوساطة ١٨ ، راجع سر الفصاحة ١٥١ .

(٣) ديوان خ ٣٦٦ . — اذا نزلت مصيبة برجل فلم ينحل جسم صديقه بالحزن له ، فلتزل تلك المصيبة بذلك الصديق .

(٤) ديوان خ ١١١ . — أيها اليوم الذي استخف بحبي وتلهى (بالتهكم على) فأفد ملي تمني باللهو مع من أحب ثم فضح تصبري وأظهرني بمظهر الضعيف المسلوب الصبر (راجع أيضاً شرح التبريزي ٢ : ٤٥ مع الحاشية ٣) .

الصناعة في شعر أبي تمام

جرى لسان العربي ، منذ عهد بداوته ، بألفاظ متشابهة لفظاً متقاربة في معنى أو متقاربة في المعنى دون اللفظ ينتظر السامع أن تأتي معاً ، وبألفاظ متضادة في المعنى . وقد كانت هذه الألفاظ تجري على لسان العربي بين الفينة والفينة لا يقصِدُ إلى تأليفها أو رصفها . ثم جاء القرآن الكريم فكان فيه منها شيء غير يسير ، ولكنه غير مقصود .

ثم أخذ الناس يفتنون لعدوية هذه الألفاظ وطلاوتها إذا انتظمت في التركيب على نسق مخصوص . ثم قصد إليها الأدباء والشعراء منذ أواخر العصر الأموي واتسع القول فيها في صدر العصر العباسي . قال الخفاجي^١ : « وهذا إنما يحسن في بعض المواضع إذا كان قليلاً غير متكلف ولا مقصود في نفسه . وقد استعمله العرب المتقدمون في أشعارهم ، ثم جاء المحدثون فلهج به^٢ منهم مسلم بن الوليد الأنصاري وأكثر منه ومن استعمال المطابق والمخالف حتى قيل عنه إنه أول من أفسد الشعر (به) . وجاء أبو تمام حبيب بن أوس بعده فزاد على مسلم في استعماله والإكثار منه » .

وفي الأغاني^٣ عن أبي تمام « وله مذهب في المطابق هو كالسابق فيه جميع الشعراء . وإن كانوا قد فتحوه قبله ، وقالوا القليل منه ، فإن له فضل الإكثار فيه ، والسلوك في جميع طرقه » . وأنكر الآمدي على أبي تمام هذا الفضل البتة لأن الناس سبقوه إليه ، ثم عد « استكثاره منه وإفراطه فيه من أعظم ذنوبه ، وأكبر عيوبه »^٤ . أما ابن رشيق فيظهر لنا بجلاء أنه أميل إلى الأصفهاني في تأكيد فضل أبي تمام ، فقد قال عن أبي تمام : « أنه كان يجيد باب التصنيع »^٥ . وأما الجرجاني فذكر أن أبا تمام كان يجمع أحياناً المعنى البديع إلى الصناعة

(١) سر الفصاحة ١٨٧٣-١٨٤ .

(٢) لهج به : أغرى به ، أغرم به ، ثابر عليه .

(٣) ٩٦ : ١٥ .

(٤) الموازنة ٨ .

(٥) العمدة ٢ : ٣٢ .

اللطيفة^١ . وجعله مرة ثانية هو وأبا نواس « سيدي المطبوعين وإمامي أهل
الصنعة »^٢ .

الجناس والطباق

كان أبو تمام يتكلف التجنيس والمطابقة (الجناس والطباق) ويسوق
فيهما المعاني البعيدة فتغلق على أفهام العامة وغير العامة أو تكاد ، ثم تنفر أحياناً
في الذوق . وكان العرب قد استحسنوا الجناس في الجملة بعد الجملة ، وفي
البيت بعد البيت ، كما استحسنوا أيضاً أن يكون التجنيس بين كلمتين فقط .
إلا أن أبا تمام الذي تكلف كل شيء في شعره : تكلف أن يأتي بالتجنيس في كل
بيت من أبيات قصائده وأن يجانس بين الكلمتين الثلاث والأربع ، وربما ملأ
البيت بالكلمات التي يجانس بينها تجنيساً تاماً أو ناقصاً . وحرص أبو تمام على
أن يأتي في شعره بجميع فنون التجنيس ، ومثل ذلك كله فعل في الطباق أيضاً .
وبما أنه يتندر أن يأتي الجناس مستقلاً عن الطباق فأنني أخبرت أن أعابهما
هنا معاً .

لأبي تمام براعة في الجناس والطباق وقف أمامها أنصاره وخصومه مبهورين .
بعد أن حمل الآمدي على أبي تمام ، في شأن الجناس ، ما شاء أن يحمل عليه ،
قال مُقِرّاً له بالتقدم والبراعة^٣ :

لَوْ اقتصَر الطائي على ما اتفق له في هذا الفن من حلول الألفاظ وصحيح
المعنى كقولهِ :

(١) الوساطة ٣١ .

(٢) الوساطة ٧٩ . قال الجرجاني : « وإنما خصصت أبا نواس وأبا تمام لأجمع لك بين سيدي
المطبوعين وإمامي أهل الصنعة » . ومن الأصوب عندي أن يقال : « بين سيد المطبوعين
وبين إمام أهل الصنعة » (راجع الوساطة ٤٨) .

(٣) الموازنة ١١٧ ، واتمت البيتين الأولين من الديوان (خ ٣١٢ ، ٣٥٦) . وقد ذكر الآمدي
صدرهما فقط .

نُرتَ فريدَ مدامسَع لم تُنْظَم ؛ والدمع يحمل بعضَ شَجْوِ المَغرَم^١ .
 - جفوفَ الردى ! أَسْرَعْتَ في الغصنِ الرطب ؛
 وخطبَ الردى والموت ! أبرحتَ من خطب^٢ ؛
 - قد يُنعم الله بالبلوى ، وإن عظمت ؛ ويبتلي الله بعضَ القوم بالنعم^٣ ؛
 لسقط أكثر ما عيب عليه . ثم ان هذه الأبيات وأمثالها هي التي سماها كتاب
 أمراء الشعر : « التأنق البديعي » . وإليك الآن بضعة أبيات فيها رونق وماء ،
 وهي في ابن الزيات^٤ :

تُطلّ الطلولُ الدمعَ في كلِّ موقف ، وتتمدُّلُ بالصبرِ الديارَ الموائل .
 دوارسُ لم يحفُّ الربيعُ ربوعها ، ولا مرّ في أغفالتها وهو غافل .
 فقد سحبت فيها السحابُ ذيلها ، وقد أخملت بالنور منها الحمائل .
 مها الوحش ، إلاّ ان هانا أوانس ؛ قنا الخط ، إلا أن تلك ذوابل .
 هوى كان خلساً ؛ ان من احسن الهوى

هوى جئت في أفيائه وهو خامل !

واستحسن الجرجاني (الوساطة ٤٢) « التجنيس المستوفى » في قول أبي تمام :

(١) ديوان ٣١٢ . - الفريد : المؤلؤ . الشجو : الحزن . - سال من صينها دمع يشبه المؤلؤ ،
 ولكن لا يجمع في سلك أو يربط حتى يصبح عقداً (يقصد : بكث) . والدمع يحمل (يدل على
 أو يخفف) شيئاً من حزن المحب .

(٢) ديوان ٣٥٦ . - يا أيها اليبس ، لقد أدركت الغصن قبل الاوان ؛ ويا مصيبة الملاك والموت ،
 ما أعظمك من مصيبة (يقصد : أيها الموت ، أتيت على هذه المرأة باكراً في شبابها فكانت
 المصيبة بها عظيمة) .

(٣) ديوان ٣١٦ ، الموازنة ١١٧ .

(٤) ص ١٨١ وما بعدها .

(٥) ديوان ٢٥٥ - ٢٥٦ . - وقد مدح الجرجاني (الوساطة ٤١ ، ٤٤) البيتين الاول والرابع ،
 وقال من البيت الرابع : « ومن أغرب ألفاظه وألطف ما وجد منه (من الطباق) قول أبي
 تمام : مها الوحش فطابق بهانا وتلك ، وأحدهما للحاضر والآخر للغائب ، فكانا فقيضين
 في المعنى وبمجنزة الصدين » .

ما مات من كرم الزمان فانه يحيا لدي يحيى بن عبدالله !
« فجانس بيحيا ويحيى » ؛ وحروف كل واحد منهما مستوفى في الآخر .
ولانما عدت في هذا الباب لاختلاف المعنيين ؛ لأن أحدهما فعل والآخر اسم .
واستحسن الجرجاني لأبي تمام « الجناس الناقص » في قوله (الوساطة ٤٣) :
يمدّون من أيدي عواصٍ عواصمٍ .
تصول بأسياف قواضٍ قواضبٍ ؛
إذ أن « عواص » تنقص عن « عواصم » ، و « قواضٍ » تنقص عن « قواضب » .
على أن لأبي تمام شيئاً غير قليل من الجناس السبيء تكلف الجمع فيه بين
الكلمات وخالف وجه البلاغة ، ثم ساق تلك الآيات التي ورد فيها الجناس
سياقة غامضة معقدة . فمن تجنيسه السبيء (ديوان خ ٣٠٢) :
قرت بقرآن عين الدين وانتشرت بالأشترين عيون الشرك فاصطُلحما .
— ذهب بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون : أمذهب أم مذهب .

- (١) ديوان ٣٤١ ؛ الوساطة ٤٢ . — ان يحيى بن عبدالله يحيى (يعيد ذكرى) الكرم الذي
كان في الزمن القديم ثم مات (نسي) .
(٢) قران بتشديد النون (لم يضبط الحياض القاف ، ص ٣٠٢ ؛ وضبطها التبريزي بالضم ،
٣ : ١٦٩ ؛ قران (بضم القاف وتشديد الراء) قرية بالهامة (القاموس ٤ : ٢٥٩ ؛
راجع ياقوت ، طبعة مصر ٤ : ٤٦) ، وليست المقصودة هنا . وقران (في ياقوت
أيضاً) : قصبة الدين (بتشديد الدال) في أذربيجان حيث استوطن أباه .
انتشرت العين : انقلب جفنها الأدنى . اصطلت الاذن : قطعت من أصلها . وقعة
صيلة (بفتح الصاد وسكون الياء وفتح اللام) : متأسلة ، مبيدة . — قرّت عين الدين
(بردت ، اطمأنت ، رضيت ؛ انتصر الدين (الاسلام) . انتشرت عيون الشرك :
انقلبت ؛ هزم الشرك . الاشتران : مالك بن الحارث النخعي وابنه ابراهيم من أصحاب
علي بن أبي طالب (وليس المقصودين) . واشتر قرية من بلاد الجبل عند همدان (تاج
٣ : ٢٩٠) في ناحية بين نهاوند وهمدان (ياقوت ، مصر ١ : ٢٥٤ ، راجع ٢٥٥) .
(٣) خ ٣٩ ؛ شرح التبريزي ١ : ١٣٦-١٣٧ . — السماحة : الكرم . مذهب (بفتح الميم) :
طريقة ، سبيل ؛ منصرف ، مخالفة . مذهب (بضم الميم) : ثوب محلي بالذهب (رياء ،
تظاهر) . — ذهب بمذهبه السماحة (غلبت عليه ، اتبعت طريقته لأنه عظيم الكرم جداً
فأصبح الكرم تبعاً له) . فالتوت فيه الظنون (اختلفت في عمله الآراء وحارثت) : أعذا
مذهب له حقاً (طريقة وعقلاً وسجية) أم مذهب (بضم الميم) : رياء وتظاهر بالكرم ؟

وكنّا رأينا أن أهل الصناعة لا يقرّون التجنيس بين أكثر من لفظتين ، ولكنّ أبا تمام تعدّى ذلك مرات كثاراً ، فقد قال مثلاً :

فاسلم ، سلمت من الآفات ، ما سلمت
سلام سلمى ومهما أورك السلم^١ .

شعره وأسلوبه

ليس أبو تمام من الشعراء المطبوعين الذين يجري الشعر على لسانهم عفّواً وسليقةً ، بلا تكلفٍ ولا محاولةٍ صنّعةٍ ، وإن كان صاحب الأغاني قد قال (١٥ : ٩٦) عن أبي تمام « إنه شاعر مطبوع لطيف الفطنة » . وقد جار الأنباري على أبي تمام لما قال فيه^٢ : « وكان يحب الشعر ، فلم يزل يُعانيه حتى قال الشعر وأجاده » . أما الأمدى فأبدى رأياً منصفاً لما قال^٣ : « وإن كنت تميل إلى الصنعة والمعاني التي تُستخرج بالغوص والفكرة ، ولا تُلوي على غير ذلك ، فأبو تمام عندك أشعر (من البحري) » .

وكذلك اتفق أكثر النقاد — في نقل بعضهم عن بعض — على أن شعر أبي تمام « متفاوت » . ثم قال بعضهم إن شعر أبي تمام « لا يشبه أشعار الأوائل ، ولا (هو) على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة والمعاني المولدة »^٤ .

ومع كل هذه العيوب فقد عدّ أبو تمام أشعر أهل زمانه ؛ وعده الوزير الشاعر محمد بن عبد الملك الزيات أشعر الناس طراً ؛ وكذلك فضّله صديقه الشاعر علي بن الجهم على سائر الشعراء^٥ ؛ وفضّله البحري على نفسه^٦ .

(١) راجع ص ٧٩ (٢) نزهة الالباء ٢١٤ .

(٣) الموازنة ٢ .

(٤) الموازنة ٢ .

(٥) راجع أخبار أبي تمام ٦٢ .

(٦) راجع الأغاني ١٥ : ٩٦ ، ٩٧ ، ١٨٠ : ١٦٨ ، أخبار البحري ١٤٧ ، ١٤٨ — ١٤٨ .

وقد مر بنا شيء كثير من خصائصه التي تجتمع لتؤلف أسلوبه .

مذهب أبي تمام في الشعر

يقول بروكلمن : « إن أبا تمام يمثل بشعره شعراء المقاطعات تمثيلاً صحيحاً ، وهو المثال المحتذى في ذلك » . وعلى هذا جعل بروكلمن شعراء العصر العباسي قسمين : شعراء بغداد خاصة وشعراء المقاطعات كالشام وخراسان^١ . وتأثر به جرجي زيدان^٢ واتبعه في ذلك أحمد حسن الزيات^٣ .

ومصدر هذا الحكم جملة وردت في الأغاني^٤ عند الكلام على ديك الجن الحمصي من أنه « يذهب مذهب أبي تمام والشاميين » ، فكأنه جعل للشاميين خاصة مذهباً مخالفاً لمذهب أهل بغداد في الشعر ، ثم جعل أبا تمام المتبّع ، مع أن ديك الجن أقدم من أبي تمام وعنه أخذ أبو تمام بعض شعره^٥ .

أما مذهب الشاميين فالتصنيع في الشعر بتكلف البديع ، ثم هو — فيما يبدو — تطلب التشابه والاستعارات البعيدة والمغالاة في التجنيس والطباق . وكان أول من تكلف البديع من المولدين مسلم بن الوليد^٦ وأفسد به الشعر^٧ . ثم كثر التصنيع في شعر أبي تمام .

عمود الشعر والمذهب الشامي

لما قارن النقاد شعر أبي تمام وشعر البحري بأشعار القدماء من الجاهليين

(١) Geschichte der arabischen Litteratur, Leipzig (C. F. Amelangs Verlag), 1901, SS, 79, 86 ff., (2. Ausg., 1909, ibidem); GAL I 71, 82, 83 ; Suppl. I 108, 133, 134.

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ، (القاهرة ١٩٣٠) ٢ : ٥٦ وما بعدها .

(٣) تاريخ الادب العربي (مصر ١٣٤٧ - ١٩٢٨) ، ص ١٩٣ و ٢١٧ وما بعدها .

(٤) ١٣٦ : ١٥ .

(٥) راجع فوق ، ص ٢٥ .

(٦) المدة ١ : ١١٠ .

(٧) سر الفصاحة ١٨٤ .

والإسلاميين وجدوا بين شعر الطائيين وبين شعر المتقدمين فرقاً ظاهراً . قال الآمدي عن أبي تمام إن « شعره لا يشبه أشعار الأوائل ولا (هو) على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة والمعاني المولدة »^١ . أما البحري فقال عنه الآمدي نفسه وعلى الصفحة الثانية من موازنته أيضاً : « البحري أعرابي الشعر مطبوع وعلى مذهب الأوائل ، ما فارق عمود الشعر قط . وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام » . على أن الطائيين كليهما شغلا أنفسهما بنصيب الصناعة في شعرهما ، من جناس وطباق وتوريات ، ومن استعارات وتشابه فيها من الإغراب فوق ما عرفه القدماء . ولكن البحري كان أقل تكلفاً في إبراد أوجه البلاغة في شعره من أبي تمام .

وشغل الدكتور شوقي ضيف نفسه بدراسة التصنيع في كتابه « الفن ومذاهبه في الشعر العربي »^٢ ، وتتبع في نطاق البحث الذي أخذ به نفسه « معاناة الشعر » منذ الجاهلية فكان يُلحَ على جانب « الصنعة » في دواوين الشعراء الذين جانبوا السجية والسليقة في نظمهم كثيراً أو قليلاً .

ووقف نجيب محمد البهيتي جانباً كبيراً من كتابه « أبو تمام الطائي »^٣ على « صنّاع الشعر » وعلى العوامل التي أثرت فيهم ثم تكلم على « أصحاب المعنى » و « أصحاب اللفظ » ، وخلص من ذلك إلى الكلام على عمود الشعر ، مما كان المرزوقي قد وضّحه في مقدمته لشرح حماسة أبي تمام .

وفي عام ١٩٥١ أصدر الأستاذ عبدالعزيز سيد الأهل كتابه « عبقرية أبي تمام »^٤ ، وعُني فيه بتوضيح المذهب الشامي وبالوقوف عند الصور البلاغية في الأبيات المفردة .

(١) الموازنة ٢ .

(٢) الطبعة الأولى ١٩٤٣ ، الطبعة الثانية ١٩٤٥ ، الطبعة الثالثة ١٩٥٦ .

(٣) القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٥ .

(٤) دار العلم للملايين بيروت ١٩٥١ .

تاريخ المذهب الشامي

الأصل في الشعر أنه مطبوع ومصنوع : مطبوع يجري فيه الشاعر على السجية أو مصنوع يتكلف فيه الشاعر شيئاً كثيراً أو قليلاً من التهذيب والتنقيح ومن التفنن في إبراد المعاني والألفاظ ومن القصد إلى استجماع التشابه والاستعارات^١.

والأصل في الشعر العربي خاصة أنه جاهليّ ، أي أن خصائصه المعنوية واللفظية خصائص عربية بدوية غير منصلة بحضارة أجنبية . ثم إن النقاد قسموا الشعراء الجاهليين أنفسهم قسمين : شعراء البدو وشعراء القرى (المدن) . وقلما حفل النقاد بشعراء القرى ، وقلما قدموا أحداً منهم .

وبما أن الخصائص اللفظية أبرز للعين من الخصائص المعنوية فقد اهتمّ النقاد كثيراً بألفاظ الشعراء وتراكيبهم وبما دخل فيها كلها من اللهجات ومن الكلمات المهجورة والأجنبية . وكذلك اهتمّ النقاد بشكل القصيدة . وبما أن المعلقة كانت أشهر الشعر القديم فقد جعل النقاد « المعلقة » ميدان الشعر كله وقدموا الشعراء الذين يقتربون بقصائدهم من شكل المعلقة ومن خصائصها المعنوية واللفظية معاً .

وجاء الإسلام وانتشر العرب بالفتوح في الأرض ودخل في الإسلام شعوب ما عرفت الجاهلية ولا كانت العربية لسانها ولا التاريخ الجاهلي جانباً من حضارتها ، وكان في الموالي (المسلمين من غير العرب) والمولدين (المولودين من زواج عربي وغير عربي) ، وفي الذين احتكوا بهم أيضاً ، شعراء جعلوا يجرّون في نظم الشعر على السجية من فطرتهم وبيتهم ، فجاء شعرهم مخالفاً للقصيدة الجاهلية أو للمعلقة على الأصح .

وخصائص المعلقة هي التي تلي :

إنها قصيدة طويلة تتألف من أغراض متعددة ، غرض واحد منها مقصود

(١) راجع السدة ١: ١٠٨ وما بعدها .

لذاته — وقد يكون فيها غرضان مقصودان — وعدد من « الأغراض الممهدة » تأتي قبل الغرض المقصود وبعده . وتبدأ القصيدة القديمة عادة ، أو المعلقة على الأصح ، بالوقوف على الأطلال ، ثم يتخلص الشاعر إلى وصف راحلته والطريق التي سلكها ، ثم يطرق غرضاً آخر من الغزل أو الفخر أو الحمر قبل أن ينتقل إلى الغرض الأساسي المقصود الذي نظمت القصيدة من أجله . ويكون الغرض المقصود في بعض القصائد مديحاً (كما عند النابغة مثلاً) ، أو غزلاً (كما نرى عند امرئ القيس) ، أو فخراً وحماسة (كما عند عمرو بن كلثوم وعنترة) . والواقع أن كل غرض من أغراض الشعر يصلح أن يكون غرضاً مقصوداً لذاته ، إذا قصد الشاعر من نظم قصيدته ثم عني به وبسط فيه القول .

ولقد حرص الشاعر القديم على أن يجعل كل بيت من أبيات قصائده تامّ المعنى في نفسه ، كما كان من المستحسن أن ينطوي البيت الواحد على معنيين أو أكثر . وكذلك حرص الشعراء القدماء على أن تكون معانيهم شريفة ، أي من المعاني الحميلة التي يفتخر بها في العادة (كالكلام على الكرم والنسب والحمر والوفاء) لا من تلك المعاني المبتذلة التي تدور في أحاديث العامة أو في الحياة اليومية . أما الالفاظ فكان المختار فيها أن تكون جزلة (فخمة دالة على معان مقصودة بها وحدها) ، مع الفصاحة ومثانة التركيب . وكانوا يحبون في الوصف أن يكون مطابقاً للموصوف ، مع التمييز بين الموصوفات حتى لا يقصر وصف عن موصوفه ولا ينطبق على غير ما قصد به . وأما إذا وقع التشبيه فيجب أن يكون واضحاً يبين الصلة بين المشبه والمشبه به دالاً بنفسه على وجه الشبه . وأما الاستعارة فيجب أن تكون بارعة قريبة يدركها العقل بأدنى تأمل مع الطرافة في الإشارة إلى المقصود . وكذلك كان الشاعر القديم يتخير الوزن المناسب ويتوخى النظم السهل في التركيب العذب الذي يجري لينا على اللسان سهلاً في الأذن لطيفاً في القلب ثم يترك السبيل للقافية الشرود أن تنزل في بيته حتى ليخيل إلى القارئ أو السامع أن هذا البيت لم يكن ليتم إلا بتلك القافية وحدها .

ذلك كان « عمود الشعر » الذي أشار إليه النقاد ، وتلك كانت « طريقة » العرب (أي القدماء) . وبهذا « العمود » كان النقاد ، في صدر العصر العباسي وأواسطه ، يقيسون أشعار الشعراء ويقدمون بعض الشعراء على بعض .

وقد كان الشعراء الذين سلكوا هذا المسلك يحككون شعرهم ، أي يرددون فيه النظر بالتنقيح والإصلاح وبالحذف . حتى رَوَوْا أن زهير بن أبي سلمى كان يقضي في عمل القصيدة حولاً (عاماً) كاملاً : ينظمها في أربعة أشهر ، ويردد نظره فيها أربعة أشهر ، ثم يعرضها على أهل الرأي من أصحابه أربعة أشهر . ولذلك سميت قصائده « الحوليَّات » وسمي هو « محبّراً » لحسن شعره ، ولكنه عدّ بذلك أيضاً من عبيد الشعر الذين يتكلفون إصلاحه ويشغلون به حواسهم وخواطيرهم .

ويبدو أن نفرأ آخرين من شعراء الجاهلية لم يكونوا يذهبون هذا المذهب ، بل كانوا ينظمون مقاطع قصاراً أو طوالاً ثم يقصرون تلك المقاطع على غرض واحد من الفخر أو الرثاء أو الهجاء أو الغزل أو الوصف أو الحكمة . وإذا كان

(١) قال المزدني في مقدمة شرح الحماسة (١ : ٨-١١) : « ... فالواجب أن يتبين ما هو عمود الشعر المعروف عند العرب ليتبين تليد الصنعة من العريق ، وقديم نظام القريض من الحديث . . . ويعلم أيضاً فرق ما بين المصنوع من الملبوع » . والشعراء الذين ساروا على صود الشعر « كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة في الوصف . ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الامثال وشوارد الابيات » (ثم) المقاربة في التشبيه ، والتحام اجزاء النظم على تخير من لذية الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى ، وشدة اقتضائهما (اتئضاء اللفظ والمعنى) للقافية حتى لا تكون سافرة بينهما . فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر ، ولكل بيت منه معيار (مقياس) . فمعيار المعنى العقل (أي يحمل المعنى) مستأنساً بقرائنه (من المعاني المتصلة به) وانياً (بها) . ومعيار اللفظ الطبع ، فما سلم بما يهجنه فهو المختار المستقيم . ومعيار الاصابة في الوصف حسن التمييز (أي انطباق الوصف على الموصوف حتى لا ينطبق الا عليه) . ومعيار المقاربة في التشبيه حسن التقدير حتى يتبين وجه التشبيه بلا كلفة . ومعيار التمام اجزاء النظم الطبع واللسان فلا يضطرب تركيبه ولا يمتز في اللسان . فهذه الخمسة هي عمود الشعر عند العرب ، فمن لزمها بحققها وبنى شعره عليها فهو عند المطلق المعظم والمحسن المقدم . . » .

نفر من الأدباء قد حفلوا بهؤلاء الشعراء واختاروا من أشعارهم مجاميع .
كديوان الحماسة لأبي تمام . فإن النقاد لم يحفلوا بهم كثيراً ، فتاريخ الشعر العربي
في الجاهلية هو على الحقيقة تاريخ المعلقات وتاريخ شعراء المعلقات .

ولما جاء العصر الأموي وأخذ الشعراء الموالي والمولدون يزدادون جعل
« السائرون على عمود الشعر » يتجاهلونهم ويسخرون منهم . ولما بدأ عمر بن أبي
ربيعه يفرض شعره على تاريخ الأدب قيل فيه : « ما زال هذا الفتى يهذي حتى
قال الشعر »^١ . وهكذا فارق عمر بن أبي ربيعة عمود الشعر فقصر شعره كله على فن
واحد . ثم قصر كل مقطوعة من شعره على حادثة واحدة ، فكان بذلك زعيم ما
سمي فيما بعد بالمذهب البغدادي — قبل أن تبنى بغداد بسبعين سنة — .

وسقطت دولة بني أمية في المشرق سنة ١٣٢ هـ (٧٤٩ م) وقامت الدولة
العباسية على أكتاف الفرس ، وكان الشعراء المولدون قد زادوا في العدد على
الشعراء العرب ، فأخذت الخصائص القديمة تختفي من القصائد شيئاً فشيئاً :
أخذت القصائد تقصر والأغراض فيها تقل ، وجعل نفر من الشعراء يفارقون
الجدة في الشعر إلى المزح ، والرصانة إلى البطالة ؛ ثم أخذ الأسلوب يضعف
أو يترك لاهتمام الشعراء « المحدثين » باقتناص المعاني الجديدة والتعبير عما كان
يختلج في صدورهم من الرغبات المتنافرة فقلّ لذلك اهتمامهم بالتركيب .
واحتاج هؤلاء المحدثون أو المولدون في التعبير عن الأغراض الجديدة التي
زخرت بها بيثتهم إلى ألفاظ جديدة أو إلى صيغ جديدة على الأقل ، فتناولوا
تلك الألفاظ من غير اللغة العربية الفصحى واشتقوا من الصيغ ما تمكنوا به من
التعبير عن ظلال المعاني الجديدة التي كانت تزخر بها صدورهم^٢ . هذه الطريقة
الأدبية التي قامت على تفضيل المعنى على اللفظ عرفت في تاريخ الأدب باسم
« المذهب البغدادي » .

ولما استطال النفوذ الفارسي في المجتمع العربي والسياسة العربية وفي الأدب

(١) راجع عمر ابن أبي ربيعة للتؤلف (الطبعة الثانية) ، ص ٤٠ - ٤١ .

(٢) راجع الوساطة ٢٢ ، ٢٤ ؛ العدد ١ : ١٥٠ .

العربي أيضاً ، خشي هرون الرشيد أن يزيل الفرس الدولة العربية فنكب وزرائه البرامكة سنة ١٨٧ هـ (٨٠٣ م) وأتى إلى الوزارة بالفضل بن الربيع لينهج في الدولة سياسة عربية . ولما كان الناس على دين ملوكهم فإن الناس مالوا بعد فكبة البرامكة عن كل ما هو فارسي في السياسة وفي مظاهر المجتمع ، وفي الأدب أيضاً .

وهكذا عاد الشعراء العباسيون إلى عمود الشعر القديم ثم بالغوا في ذلك . وقد عرف هذا « المذهب المستأنف في العصر العباسي » باسم « المذهب الشامي » . فالشعراء الشاميون إذن هم المحافظون على عمود الشعر القديم ، وهم المحافظون ذوو العصبية العربية البدوية والسالكون في الشعر مسلك الشعراء الجاهليين من أصحاب المعلقات خاصة . على أن الشعراء الشاميين قد زادوا على الجاهليين في تكلف المعاني البعيدة وملأوا أشعارهم بالبديع ، بالجناس وبالطباق ، وأوغلوا في التشبيه والاستعارات . أما البغداديون فهم المجددون المتساهلون في أمر العصبية لأن معظمهم من الفرس . ثم إنهم ميالون إلى الحضر وما فيه من ترف كارهون للبادية . ثم إنهم مالوا في قصائدهم إلى المقاطع ووحدت المعنى فيها والتساهل في الألفاظ والتراكيب وتركوا التكلف وجروا على السجية . وقد كرهوا البديع إلا ما جاء في شعرهم عفواً .

والمذهب البغدادي والمذهب الشامي في الأصل تسميتان جغرافيتان ، إذ المفروض أن يكون الشعراء البغداديون من أهل بغداد والشعراء الشاميون من أهل الشام (سورية) . فبشار وأبو نواس وابن الرومي هم من شعراء المذهب البغدادي المتقدمين ومن أهل بغداد . وكذلك ديك الجن الحمصي وأبو تمام والبحري والمنيبي وأبو فراس والمعري كانوا من أتباع المذهب الشامي ومن أهل الشام . غير أن مسلم بن الوليد والشريف الرضي كانا بغداديين على المذهب الشامي . ومثلهما كان المنبي عراقي الأصل من الكوفة ولكنه شامي المذهب . ثم إن أبا تمام والبحري كانا من أهل الشام ومن أتباع المذهب الشامي مع أنهما قضيا الجانب الأوفر من حياتهما الأدبية في العراق .

موجز خصائص المذهب الشامي

في ما يلي موجز للآراء المبسطة في الصفحات السابقة منسوقة نسقاً ظاهراً :

١ - شكل القصيدة : إطالة القصيدة وتعدد الأغراض فيها ، والقصيدة الشامية تبدأ عادة بالنسب .

٢ - تنقيف الشعر : العناية بالأبيات بتنقيفها .

٣ - التأنق والتصنيع : العناية باللفظ والتركيب والإكثار من البديع ، مع الحرص على ألا تخلو قصيدة ولا بيت من أبيات قصيدة من هذا التصنيع ما أمكن^١ .

٤ - الإيغال في التشبيه والاستعارات الى ما يشبه الرمز حتى ليكادُ يغمض المعنى وتخفى الصورة البلاغية .

٥ - جمع المعاني الكثيرة في الابيات القليلة ، والوقوف على المعنى الواحد بالتقليب له على وجوهه وبإقامة الأدلة على صحته ، وبضرب الأمثلة .

٦ - لزوم الحد أو النظاهر به على الأقل . فقلما يميل الشاعر الشامي الى اصطناع المرح واللهو وقلما يحسنهما في شعره .

٧ - إدخال فنون العلم في الشعر ، فالشاعر الشامي شاعر مثقف تظهر ثقافته في شعره وهو يطوي شعره على اشارات الى اغراض من اللغة والنحو والأدب والفقه والمنطق والفلسفة والفلك وما إليها .

٨ - يلتزم الشاعر الشامي في حياته وشعره مسلكاً معيناً يحاول ان يفرضه في صلاته بالناس ويصبر على المشاق ويتشدد في المصائب . وكان معظم الشعراء الشاميين يتشيعون لآل البيت .

٩ - الشاعر الشامي شاعر مقتدر ينظم الشعر في جميع الاغراض التي يريد بها . اما الطبع عنده فقليل البروز .

(١) استشهد الجرجاني (الوصافة ٣١) بقطعة في النزل لابن تمام ه لم يخل بيت منها من معنى بديع وصنعة لطيفة طابق (فيه) وجانس واستعار فأحسن ه .

١٠ - يؤلف المديح الجزء الأوفر من ديوان الشاعر الشامي . ثم ان خصائص المديح تغلب عنده على سائر فنونه . وهو يجيد الفخر ، وربما اجاد الرثاء ووصف المعارك إجادة كبيرة . ثم إنه لا يجيد الهجاء : وقلما برع في الغزل . وكذلك تكثر الحكمة عند الشاعر الشامي كثرة ظاهرة . اما المجون فلا يكاد يظهر عنده .

١١ - الاكثار من الاعلام الجغرافية ، إما بالوقوف على الاطلال تقليداً لشعراء الجاهلية ، أو تملحاً بذكرها ، أو اعتماداً عليها لبيان الثقل وتقييد الحوادث .

١٢ - الاكثار من ذكر الاشارات التاريخية : رجال التاريخ والحوادث والمعارك والانساب وما إليها .

ولا ريب أبداً في أن الشعراء الشاميين يتفاوتون في هذه الخصائص اقتصاداً وإسرافاً . وقد يشترك الشاعر الشامي والشاعر البغدادي في بعض هذه الخصائص .

نظم ابي تمام

كان في ابي تمام ابطاء ^١ (في نظم الشعر) ، وكان يكره نفسه على قول الشعر اكراهاً ؛ فلا غرو ان ظهر ذلك على شعره ^٢ ؛ كان يفعل ذلك ليقترن المعنى البعيد او الاستعارة التي يتخيلها ، او التجنيس الذي يطلبه . وربما نصب القافية التي تروقه وجهه في سوق البيت اليها . مع ان ذلك مخالف لمذهب الشعراء المطبوعين . ان البيت يجب ان يأتي بقافيته ؛ على ان الشعراء الذين يجمعون القوافي اولاً ثم يبنون عليها الابيات ليسوا قليلين .

وابو تمام من الذين يُعَنَوْنَ بتهذيب شعرهم ؛ فمن شواهد ديوانه على ذلك :
- اليك أرحنا عازب الشعر ، بعدما تمهل في روض المعاني العجائب ^٣ .

(١) الاغانى ١٢ : ٦٧ .

(٢) المدة ١ : ١٣٩ .

(٣) غ ٤٣ ، راجع المختارات .

— نشرٌ يسيرٌ به شعرٌ يَهْدَبُه فِكْرٌ يحولُ مجالَ الروحِ في الجسدِ ١ .
 — أوَى المديحِ بأنْ يكونَ مَهْدَباً ما كانَ منه في أغرٍ مَهْدَبِ ٢ .
 وهو يريد بذلك أن يُبلغَ شعره الغاية :

— سأجهد حتى أبلغَ الشعرَ شأوه . وإن كان لي طوعاً ولستُ بجاهد ٣ .
 — سَبَرْتُ فبِكَ مدائحاً فسَرَكتُها غُرراً تروح بها الرواةُ وتغتدي ٤ .

نحن نعلم أن أبا تمام نصح للبحرِي في اتباع حُطّة في النظم تُخرج شعره مسبوکاً ، ولا ندري إذا كان قد اتبعها هو فكانت له مذهباً ؛ أو أنها موعظة محض . وعلى كل قان فيها أن ينهض الشاعر في السّحر بعد أن يكون قد أخذ لنفسه قسطاً من الراحة ؛ ويكون خلياً من همٍّ أو غمٍّ . ثم ليَجعل النسيب رقيق اللفظ رشيق المعنى . وليكن مدحه مُظهراً مناقب المدلوح مشرفاً مقامه ؛ وليجتنب في كل ذلك المعاني المجهولة والالفاظ الرزية ٥ . ثم ليَقصد إلى ما استحسنته الماضون وليترك ما اجتنبوه . بعد ذلك خصه بهذه النصيحة الثمينة : « واجعل شهورتك لقول الشعر الذريعة إلى نظمه ٦ » .

هذه الوصية تصدق على ما نرى في قصائد شاعرنا ولكنها تخالف الرواية التي يتمسك بها أدباء كثيرون ٧ من أنه رُوي عن بعض الشعراء أن أبا تمام أنشده قصيدة أحسن في جميعها إلا في بيت واحد . فقال له : « يا أبا تمام ، لو ألقيت هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب » ؛ فقال له : « أنا والله أعلم منه مثل ما تعلم ، ولكنّ مثل شعر الرجل عنده مثل أولاده : فيهم الجميل والقبيح ،

(١) خ ٤٩٢ .

(٢) خ ١٤ .

(٣) خ ١٩ لست بجاهد : مجهد نفسي (متعباً) في قول الشعر .

(٤) ١٣٧ .

(٥) راجع المديح ، في ما يلي .

(٦) ملخصة ، راجع العدد ١ : ١٣٩ .

(٧) الاغانى ١٥ : ٩٦ .

والرشيد والساقط ؛ وكلهم حلوا في نفسه . فهو وان احب الفاضل لم يبغض
الناقص ؛ وان هوى بقاء المتقدم لم يه موت المتأخر .

التصريح والتوشيح

لم يكن بنا حاجة الى ذكر التصريح هنا لولا انه سيقودنا الى البحث في التوشيح .
لقد جرى الشعراء على تصريح قصائدهم : التزامهم القافية في العروض والضرب
من المطالع كقولهم :

— قفا نبك من ذكرى حبيب ومنز (ل)

يسقط اللوى بين الدخول فحوم (ل) .

— الا هبني بصحنك واصبحة (ينا) ولا تبقي خموراً الانسدر (ينا) .

— دع عنك لومي ، فان اللوم لاغر (اء) ، وداوني بالتي كانت هي الد (اء)

وعلى هذا سار ابو تمام في جميع قصائده المهمة الا قصيدة واحدة جعل
مطلعها :

سلام الله عدة رمل (خبت) على ابن الهيثم الملك (اللياب) ١ .

ومع ان « المصراع ادخل في الشعر واغوى من غيره » ٢ فقد تساهلوا في
المقطعات احياناً لاعتقادهم ان القصائد فقط يجب ان تُصرَّع . وعلى هذا ايضاً
سار ابو تمام . ولكنه كان يصرَّع احياناً مطلع البيتين والثلاثة ٣ .

التوشيح

استحدث المتأخرون من شعراء الاندلس فناً « سموه بالموشح ينظمونه
اسمطاً اسمطاً واغصاناً اغصاناً ، يكثر من اعاريضها المختلفة ... ويلتزمون

(١) ديوان ، الاسود ١ : ١٤٦ ، خ ٥٥ .

(٢) العمدة ١ : ٩٩ ، راجع ايضاً اختلاف العلماء على ما هي القافية الى ص ١٠١ ثم ص ١١٤ .

(٣) راجع الديوان خ ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٠ ، الخ .

وقد ورد لأبي تمام أبيات فيها تقسيم أو تسهيم يشبه ماورد في الشعر الذي يعد طليعة للتوشيح ، قسم فيها أبو تمام الأشطر أقساماً متساوية أو شبه متساوية والتزم القافية في آخر كل جزء من أقسام الاشطر . وفي ما يلي أبيات لأبي تمام تجري هذا المجرى ^٢ :

— يقول فيسمع . ويمضي فيسرع ، ويضرب في ذات الاله فيوجع .
 — جبال طواليع ، جبال فسوارع . غيوث هواميع ، سيول دوافع .
 — انا الحسام ، انا الموت الزوام ، انا الحرب الضرام ، انا الضرغام العتد .
 ايام سيفك مشهور ، وبحرك مسجور ، وقرنك مقصور ، له الطول .
 ألا سبيل ندى ، الا سبيل بلى ؟ لو كان حياً لأضحى للندى سبل .
 يعطي فيجزل ، او يدعي فينزل ، أو يؤثي لمحمل اعباء فيحتمل .
 — ومن فاحم جعد ، ومن قمر سعد ، ومن كفل نهد ، ومن نائل تمد .

وألصق شيء بهذا الموضوع وزن جديد ليس من الابحر الستة عشرة في أبيات هي ^٣

(١) مقدمة ابن خلدون (بيروت ١٩٠٣) ٥٨٢ .

(٢) للمؤلف دراسة حديثة في الموشح وتطوره أثبت موجزاً لها في كتابه « المهاج في الادب العربي وتاريخه » (الجزء ١ ، ص ٢٦٣ - ٢٧٢) ، ولكن لا سبيل الى المجيء بشيء منها هنا ، ولا الاشارة الى هذه الكلمة العارضة .

(٣) الابيات التالية ترد في الديوان خ ، ص ١٩١ ، ٤٧٩ ، ٤٩٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، مرتين ، ١٢٧ حل التوالي .

(٤) الديوان ٤٤٣ . — وقد ردت هذه الأبيات في ديوان أبي نواس (مخطوطة برلين ١٢٠١) مع شيء من الاختلاف في الرواية . وكذلك ورد لأبي نواس نفسه ما يشبهها (مخطوطة برلين ٢٠٣ ، راجع ديوان أبي نواس ، مصر ١٨٩٨ ص ٢٤٦) :

سلاف دن كشمس دجن كدمع جفن كخمر عدن .
 طيخ شمس كلون ورس ربيب فرس حليف سجن .

والشاعر معروف الرصافي (ت ١٩٤٥ م) قطعة هي (ديوان ، مصر الطبعة الرابعة ١٣٧٢ »

— ١٩٥٣ م ص ٤٢٨)

سمعت شمرأ للعندليب تلاء فوق النصف للوطيب ،

تلاحظ أنها من البحر نفسه ولكنها ليست موشحة من حيث القوافي .

ثَقِيلُ رَدْفٍ دَقِيقُ خَصَرٍ ، شَقِيقُ شَمْسٍ نَتِيجُ بَسَدٍ .
 بِدِيعُ حَسَنِ رَشِيقُ قَدٍ ، مَلِيعُ خَدٍّ نَقِي ثَغَرٍ .
 قَضِيبُ بَانَ عَلَيْهِ بَسَدٍ ، مَثَالُ حَسَنِ عَرُوسِ خَدَرٍ .
 يَا خَصْرُ ، قَدْ كُنْتُ ذَا اصْطَبَارٍ فِي الْحُبِّ حَتَّى هَتَكَتَ سَتْرِي .
 نَمَتْ دُمُوعِي عَلَى عِزَائِي ، إِذَا غَابَ عَنِّي جَمِيلُ صَبْرِي .
 وَاحْسَبْنِي لَمْ أَجِدْ لَهُ غَيْرَ بَيْتٍ وَاحِدٍ فِيهِ كَلِمَةٌ عَامِيَّةٌ ¹ :

الـا بـكـرت معنـورة حـين تعـدل تعـرفـني (ملعـيش) ما لست اجهـل .
 وتـسـطـيع ان تـرى شـيئاً من اللـحـن الـذي اخـذه عـلـيه الـآمـدي في المـوازنة ² .
 ولعلـه ، اعـجـاباً مـنـه بـطائـيته ، اسـتـعمل « ذو » الطائـية بـمعـنى الـذي مـرـتين :
 إِذَا أَنْتَ وَجَّهْتَ الرِّكَابَ لِقَصْدِهِ تَبَيَّنَتْ طَعْمَ الْمَاءِ « ذُو » أَنْتَ شَارِبُهُ ³
 — أَنَا « ذُو » عَرَفْتُ ، فَإِنْ عَرَّتْكَ جِهَالَةٌ فَأَنَا الْمَقِيمُ مَقَامَةَ الْعُذَّالِ ⁴ .

(١) ديوان ٢٤٥ . — ملعيش أصلها « من العيش » نحت يلجأ إليه العامة تخفيفاً للفظ مثل « أيش »
 (أي شيء) و « لايش » (لأي شيء) . وقد يدخل الأدباء عدداً من هذه الالفاظ في شعرهم
 وفتحهم تملحاً ، كما قال أبو نواس (ديوان ٣٠١) :

كيف أصبحت ؟ لا عدمت صباحاً صالماً ، يا محمد بن قريش .
 أنس نفسي ، كيف استجزت الطراحي ؟ فيسم ذا ، سيدي ، وذلك لأيش ؟
 ويرى بعضهم أنها قصيدة ولكنها لقية ، مثل بلعبر وبلعارث وبلهجم مكان بني
 العنبر وبني الحارث وبني الهجم .

(٢) الموازنة ١٢ وما بعدها ، أعيان الشجرة ١٩ : ٩٥ - ٩٧ .

(٣) الديوان ٤٥ . — ذو الطائية معناها « الذي » ، وهي من بقايا اللهجة الحميرية (العربية الجنوبية ،
 لغة اليمن) ، راجع المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة تأليف الغناطيوس غويدي ،
 ص ٦ . و « ذو » هذه تلزمها الواو في الرفع والكسب والخفض (شرح التبريزي ١ : ٢٢٣) .

(٤) الديوان ٢٤٦ .

المتعصبون له والمتعصبون عليه

لم يعرف الأدب العربي شاعراً أثار جدلاً صحيحاً في حياته كآبي تمام . اذ اندفع الادباء الى ديوان الشاعر بنشرون حسناته او سيئاته ، ويجادلون فيها حقاً وباطلاً .

عرفنا رواة الأدب يفضلون امرأ القيس على سائر شعراء الجاهلية ، او يرفعون زهيراً فوق النابغة ، او يحكمون لأبي نواس على مسلم بن الوليد او لمسلم على أبي نواس في جمل عارضة واحكام عامة قد تستهويك فتصدقها او لا ترضيك فتمر بها غير آبه ولا حافل ؛ وكذلك كان شأن الناس في الانتصار لحرير والفرزدق والاختل . اما الصراع حول مقام أبي تمام فلا يمكنك ان تشهده مكتوف اليدين ولا تستطيع ان تقول إن الناس كانوا يتجادلون في لا شيء .

قد يسبق الى الذهن ان الناس انقسم رأيهم في المتنبي ، أو انه كان للمتنبي خصوم ، وأنه شغل الناس ؛ لكننا اذا درسنا الأحوال التي نشأت فيها خصومة الناس للمتنبي وجدناها تختلف عن تلك التي اثارت الجدل في شعر أبي تمام : وجدنا الذين يناهضون ابا تمام يناهضونه بشاعر معين هو البحتري ؛ ثم يجعلون الشعراء مداد البحث ، ومثار الجدل .

المتحاملون على أبي تمام

اذا احببت ان تهتدي الى السر في شدة الحملة على أبي تمام بسين الشعراء من

معاصريه خاصة فخذ رواية أبي الفرج الاصفهاني^١ « ما كان احد من الشعراء يقدر ان يأخذ درهماً بالشعر في حياة أبي تمام . فلما مات اقتسم الناس ما كان يأخذه ... » ولم يكن هؤلاء الشعراء نضراً لا عدد لهم او لا نبوغ فيهم ؛ فقد قال ابن رشيق^٢ : « وليس في المولدين اشهرُ اسماً من الحسن أبي نواس ، ثم حبيب والبحري . ويقال لهما اخملا في زمانهما خمسمائة شاعر كلهم مجيد ... » واما البحري ، وهو اشهر المولدين بعد أبي تمام فقد اعترف بتقديم صاحبه فقال : « ان ابا تمام للرئيس والامثاذ . والله ، ما اكلت الخبز إلا به » - وكان اصل نباهة البحري ان صار الى أبي تمام في حِمص فعرض عليه شعره فاستحسنه ابو تمام ، وكتب الى اهل معرة النعمان وشفع له اليهم ... »^٣ - ثم لم نعرف للبحري نباهة وشهرة حتى مات ابو تمام .. اما الآمدي فينكر ان يكون البحري اتصل بأبي تمام اتصالاً من يستفيد او يتوصل الى وجاهة ونباهة^٤ .

ثم ان العلماء ذلتوا أشعار الأوائل ولم يحفلوا بالمحدثين فجهلوا الاجابة عن أشعارهم فعمدوا الى الطعن عليهم ، وخصوصاً أبا تمام لأنه أقربهم عهداً وأصعبهم شعراً^٥ .

ومن أشهر الذين ناصبوا أبا تمام العداء في حياته دِعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ الحُزَاعِيّ (ت ٢٤٦ هـ) كان يثلبه ويكذب عليه ويضع عليه الاخبار وينسبه الى سرقة معاني للشعراء^٦ . وقد ادّعى دعبل ايضاً أن أبا تمام كان يرق منه^٧ . وبلغ من تعصبه على أبي تمام انه أنشد يوماً شعراً ثم سئل رأيته فيه فقال : « هو ، والله ، أحسن من عافية بعد ياس » . فلما قيل له : « إنه لأبي تمام » . قال : « لعله سرقه ! »^٨

(١) الاغانى ١٥ : ٩٨ .

(٢) العمدة ١ : ٦٣-٦٤ .

(٣) الاغانى ١٨ : ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٤) الموازنة ٣-٤ .

(٥) راجع اخبار أبي تمام ١٤-١٥ .

(٦) أخبار أبي تمام ١٨١ ، ١٨٢-١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٤٤ ، راجع ٢٠٢ .

(٧) أخبار أبي تمام ٦٣-٦٤ ، غ ١٠١ : ١٠٢ . (٨) غ ١٥ : ١٠٢ .

ولكن لما توفي أبو تمام عاد دعبل فمدحه ^١ .

وكان من أعداء أبي تمام أيضاً إبراهيم بن المدبر (ت ٢٧٠ هـ) ، كان يتعصب على أبي تمام ويحطه عن رتبته ، ويستجيد شعره ولكن لا يوفيه حقه ^٢ . وكان ابن المدبر أديباً شاعراً ومن ذوي الجاه والمتصرفين في كبار الاعمال في الدولة العباسية . وقد كان صديقاً للبحري معجباً به وبشعره ، وكان البحري يمتدحه ^٣ . وكذلك كان ابن الاعرابي ، أحد أئمة اللغة ، شديد العصبية على أبي تمام ، قال مرة عن شعر أبي تمام : « إن كان هذا شعراً ، فكلام العرب باطل » ^٤ ، يقصد فيما فيه من التكلف .

أنصار أبي تمام وعصومه المتأخرون

بعدئذ مضى الأدباء يؤلفون في فضائل أبي تمام وفي مثالبه . فمن الكتب التي ألفت في فضائل أبي تمام * كتاب أخبار أبي تمام للصولي ، وأخبار أبي تمام والمختار من شعره للسميسطاني ، وكتاب للمرزباني ، وأخبار أبي تمام ومحاسن شعره للخالديين وكتاب سرقات البحري من أبي تمام لأبي ضياء النصيبي ^٥ . ومن الذين ألفوا في مثالب أبي تمام أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، وأبو العباس أحمد بن عبيد الله القطريلي ^٦ ورجل اسمه عبد الكريم .

وغير زمن لم يكن فيه بين يدي الأدباء والدارسين سوى كتاب الموازنة للآمدي . ولقد فطن بعض المؤلفين لتحامل الآمدي على أبي تمام ومحاباته للبحري فقال

(١) أخبار أبي تمام ٢٠٢ .

(٢) أخبار أبي تمام ٩٧ ، ١٧٥ .

(٣) أخبار البحري ٧٦-١١٣-١١٤-١١٨-١٢٤-١٢٦-١٣٤-١٥٧ .

(٤) أخبار أبي تمام ١٧٥-١٧٦ ، راجع ١٧٧ ، ثم ٢٤٤ وأخبار البحري ١٤٧ .

(٥) الفهرست (القاهرة) ١٩٠-١٩٢-٢١٣-٢١٥-٢٢٠-٢٤٠-٢٤١ .

(٦) الفهرست ٢١٣ .

ابن النديم : « ان في الآمدي تحاملاً على أبي تمام » ، ونسبه الشريف المرتضى الى الغلو في انتقاد أبي تمام ^١ . ويخبرنا ياقوت ^٢ ذلك بتفصيل واف فيقول : ولأبي القاسم (الامدي) تصانيف كثيرة جيدة مرغوب فيها ، منها كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحري ... وهو كتاب حسن وان كان قد عيب عليه في مواضع منه ، ونسب الى الميل مع البحري فيما أورده والتعصب على أبي تمام فيما ذكره ... فانه جد واجتهد في طمس محاسن أبي تمام وتزيين مزدول البحري ... « وياقوت لا ينكر فضائل البحري بل يقول : « لو انصف (الآمدي) وقال في كل واحد بقدر فضائله لكان في محاسن البحري كفاية عن التعصب بالوضع من أبي تمام » . وفي العام ١٩٣٧ صدر كتاب أخبار أبي تمام لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي ^٣ فأصبح بين يدي الدارسين لحياة أبي تمام وشعره - لحسن حظ أبي تمام وحسن حظ الأدب - مصدر يمثل وجهة نظر المنصفين لأبي تمام في وجه موازنة الآمدي .

دفاع أبي الفرج

لأبي الفرج الاصفهاني دفاع عن أبي تمام يتكافأ فيه الأدب الرفيع والخلق النبيل . قال ابو الفرج ^٤ :

« وفي عصرنا هذا من يتعصب له فيفرط حتى يفضل على كل سالف وخالف ، وأقوام يتعمدون الرديء من شعره فينشرونه ويطوون محاسنه ،

(١) الشهاب في الشيب والشباب (فلسطينية ١٣٠٢ هـ) ص ٤ وما بعدها .

(٢) معجم الادباء ٥٩: ٣ .

(٣) نشره وحققه وعلق عليه خليل محمود عساكر ، محمد عبده عزام ونظير الاسلام الهندي (القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٦ هـ - ١٩٣٧ م) . حينما كنت في ألمانيا عثرت على هذه المخطوطة في المكتبة العامة في برلين (رقم مخطوطات شرقية ١٩٣٢ - ٢٣) فاستخرجت لها صورة وعكفت على دراستها . ففي يوم من الأيام رأيت في القسم الشرقي من مكتبة برلين السيد نظير الاسلام يعمل على المخطوطة نفسها وأخبرني أنه يعمل على المخطوطة لجعلها أطروحة له ثم قص علي قصة أديبين مصريين عرفا بالمخطوطة وكادا بسبقانه في نشرها . بعدئذ سألاه أن يضم جهوده الى جهودهما .

(٤) الاغانى ٩٦: ١٥ و ٦٧: ١٢ (بولاق ١٢: ٧٠) .

ويستعملون القبح والمكابرة في ذلك ليقول الجاهل بهم أنهم لم يبلغوا علم هذا وتميزه إلا بأدب فاضل وعلم ثاقب . وهذا مما يتكسب به كثير من أهل هذا الدهر ويجعلونه . وما جرى مجراه من ثلب الناس وطلب معائبهم . سبباً للترفع وطلباً للرئاسة . وليست اساءة من اساء في القليل واحسن في الكثير مسقطاً احسانه . ولو كثرت اساءته ايضاً ثم احسن لم يُقل له عند الاحسان اسأت . ولا عند الصواب اخطأت ! والتوسط في كل شيء اجمل . والحق احق ان يتبع ...

« ... وقد فضل ابا تمام من الرؤساء والكبراء والشعراء من لا يشق الطاعنون عليه غباره ولا يدركون ، — وان جدوا — آثاره ؛ وما رأي الناس بعده الى حيث انتهوا له في جده نظيراً ولا شكلاً ... وكان في ابن مهرويه تحامل على ابي تمام لا يضر ابا تمام هذا منه ، وما اقل ما يقدر مثل هذا في مثل ابي تمام » .

مهاجاة الشعراء

هجأ ابا تمام شعراء كثيرون . فرد أبو تمام على بعضهم ولم يلتفت الى بعض . من هؤلاء جميعاً^٢ دعلج بن علي ومخلد بن بكتر الموصلي وعبد الصمد بن المعذل الشاعر البصري وشاعر اسمه الوليد . ومنهم خالد الكاتب وعبد الله الكاتب ومحمد بن يزيد ، ويوسف السراج الشاعر المصري وعتبة بن أبي عاصم ، ومحمد بن وهب الحيميري الشاعر ومحمد بن الحسن الشاعر .

(١) راجع أخبار أبي تمام ٢٤٥ ، ورثا ابن مهرويه ابا تمام (ص ٢٧٩) .

(٢) راجع في ما يلي كنه : الاغاني ٣٤:٢١ ؛ رفيات ١٥٠:١ ؛ السدة ٧٠:١ ؛ ديوان

خ ٤٨٥ - ٤٨٧ ، ٤٩١ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ الخ ؛ أخبار أبي تمام ٢٣٥:٣٤ - ٢٤٣ ،

٤٢١ - ٤٢٢ .

آشَارُهُ وَأَشْرُهُ

لا إخالني اعرف شاعراً مؤلفاً قبل العصر العباسي ؛ أما في العصر العباسي فقد كان من الشعراء المُقْلِينَ كتاباً (في الدواوين) . من هؤلاء الشعراء ؛ عبد الله بن المُقَفَّع (الكاتب المنشيء) ، محمد بن عبد الملك الزيات ، سليمان بن وهب ، عمرو بن مسعدة ، أحمد بن المُدَبَّر ، أحمد بن يحيى البلاذري المورخ ، والخالديان محمد وسعيد ؛ وغيرهم ممن هم أقل شهرة^١ ؛ ومن هؤلاء أيضاً بيشتر بن المُعْتَمِر^٢ لأنه « نقل من الكتب من معانٍ شتى إلى الشعر » .

أما بعد أبي تمام فهناك البحري ، وابن المعتز ، والسري الرفاء ، وأبو العلاء المعري ؛ فهم مؤلفون بالمعنى الذي نفهمه اليوم .

وأشهر الشعراء المؤلفين ، حاشا أبا العلاء المعري الشاعر المكثر وعبد الله بن المقفع الشاعر المقل ، أبو تمام الطائي . ذكر ابن النديم^٣ لأبي تمام أربعة مؤلفات هي : كتاب الحماسة ، كتاب الاختيارات من شعر الشعراء ، كتاب الاختيارات من شعر القبائل ثم كتاب الفحول . وقد عني السيد محسن الأمين^٤ بتعداد

(١) الفهرست ٢٣٦-٢٣٩، ٢٤٠ وما بعدها

(٢) الفهرست ٢٣٠-٢٣١ .

(٣) الفهرست ١٦٥ ؛ في أعيان الشيعة (١٩ : ٤٨٩) خصة مؤلفات ، وذلك وهم (راجع تحت ، الكلام على الحماسة الصنرى) .

(٤) أعيان الشيعة ١٩ : ٤٨٦-٤٩٨ ؛ راجع أيضاً حركة التأليف عند العرب ١ : ٩٥-١٠٤ ، في ما يتعلق بكتاب الحماسة وحده .

هذه المؤلفات وبأقوال مؤرخي الأدب فيها وفي أمثالها عناية فائقة . وفي ما يلي وصف موجز لهذه المؤلفات :

١ - ديوان الحماسة ، أو كتاب الحماسة ، أو الحماسة الكبرى ١ :

زار أبو تمام عبد الله بن طاهر والي خراسان ، وكان يقيم في نيسابور ، ومدحه ثم عاد وشيكاً . وفي أثناء رجوعه اعترضه الثلج عند مدينة همدان - وكان الشتاء في ذلك العام شديداً ٢ - فقال الى صديق له هنالك اسمه أبو الوفاء بن سلمة ريشما يذوب الثلج فيستطيع أن يتابع سيره الى العراق .

وكان عند أبي الوفاء بن سلمة خزانة كتب قيّمة فانصرف اليها أبو تمام وجمع من دواوين الشعر التي كانت فيها كتاب الحماسة وغيره فيما قيل . وقد أختار أبو تمام في « ديوان الحماسة » نحو سبعمائة وثمانين قطعة لنحو أربعمائة وخمسة وستين شاعراً من الشعراء المقلين ولا سيما المغمورين منهم ، سوى المجاهيل ٣ .

في « ديوان الحماسة » نحو عشر أبيات مفردة ٤ ، ثم هنالك يضع مختارات تتألف كل واحدة منها من ثلاثة أشطر من الرجز ٥ . ولكن معظم المختارات تتألف من مقطعات يتراوح عددها بين بيتين وبين عشرة أبيات . وفي الحماسة أيضاً مقاطع قليلة تزيد أبياتها على عشرة وتقل عن عشرين . أما المقاطع التي يزيد عدد

(١) راجع فوق ، ص ٣٢ : هبة الأيام ٩ ، ١٣٨ ، أعيان الشيعة ١٩ : ٤٨٦-٤٩٠ ، حركة

التأليف عند العرب ١ : ٩٥-١٠٢ . GAL. Suppl. I 136 ff.

(٢) أوائل ٥٢٢٢ = أوائل ٨٣٧ .

(٣) بعض مقاطع الحماسة منسوبة هكذا : فقال بعض بني بولان من طيء - قال أعرابي قتل أخوه ابناً له - قال رجل من بني تميم - وقال آخر - قال بعض بني أسد - قالت امرأة من طيء - قالت غيرها - قال أعرابي - قال بعض المدنيين الخ . ويبلغ هؤلاء المجاهيل نحو مائة وخمسين شاعراً يمكننا أن ننسب نحو ثلاثين منهم على وجه الايقان أو الظن .

(٤) ديوان الحماسة ٢ : ٣٧٠ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

(٥) ديوان الحماسة ٢ : ٣٦٦ ، ٣٧٢ ، ٣٧٧ .

أبياتها على عشرين فهي ست : قصيدة السموأل بن عاديا : « اذا المرء لم يدنس
من اللوم عرضه »^١ وقصيدة المنخل بن الحارث الشكري : « ان كنت عاذلتني
فسيري »^٢ . وكل واحدة منهما اثنان وعشرون بيتاً . ثم هنالك قصيدة العديل
ابن الفرخ العجلي : « ألا يا اسلمي ، ذات الدماليج والعقد »^٣ ، وقصيدة يزيد
ابن الحكم الثقفي يعظ ابنه بدرأ : « يا بدر ، والامثال يضربها لذي اللب الحكيم »^٤ ،
وكل واحدة منهما ثلاثة وعشرون بيتاً . وتأني بعدئذ قصيدة تأبط شرا : « ان
بالشعب الذي دون سلع ... »^٥ . وهي ستة وعشرون بيتاً . أما أطول مقاطع
الحماسة اطلاقاً فهي قصيدة زياد بن حمائل بن سعد^٦ :

لا حبلاً أنت ، يا صنعاء . من بلد ولا شعوب - هوى مني - ولا نقم^٧ ،
فانها أربعة وأربعون بيتاً .

واختار أبو تمام في الحماسة مقاطع لجميع الشعراء المقلين والمكثرين ،
والمشهورين والمغمورين ، والقدماء والمحدثين ، وان كان جل اهتمامه بالمقلين
المغمورين القدماء . أما المشاهير فضمت الحماسة منهم المهلهل وطرفة وعمرو بن
كلثوم وعنترة والنابعة في الجاهليين . وحماد والخنساء والفرزدق والاختل
وجميل بن مَعمر في الاسلاميين ، وأبا العتاهية والعباس بن الاحنف ومسلم بن
الوليد ثم بكر بن النطاح المعاصر لأبي تمام من المحدثين .

والمفروض أن يكون أبو تمام قد اختار في الحماسة مقطوعة واحدة لكل شاعر

(١) ديوان الحماسة ١ : ٣٦-٤٠ .

(٢) ديوان الحماسة ١ : ٢٠٨-٢١١ .

(٣) ديوان الحماسة ١ : ٣٠٨-٣١٣ .

(٤) ديوان الحماسة ٢ : ٤٠-٤٥ .

(٥) ديوان الحماسة ١ : ٣٤٨-٣٥٣ .

(٦) ديوان الحماسة ٢ : ١٤٤-١٥٤ .

(٧) صنعاء : عاصمة اليمن ، وشعوب بفتح الشين (القاموس ١ : ٧٨) مكان في اليمن ، قصر
عال أو منتزه ذو بساتين ورياض في ظاهر صنعاء . نقم (يهضم الدون) : قرية في اليمن
(القاموس ٤ : ١٨٣) ، بلدة في اليمن ، أو جبل عال فيها - ليس فيك ، يا يمن ،
شيء أحبه ، لا صنعاء ولا شعوب ولا نقم .

استجد شعره . ولكن الذين اختار لهم قطعتين أو ثلاثاً لسيوا قليلين . أما الذين اختار لهم أربع مقطوعات أو خمساً أو سناً فانهم قليلون جداً . فمن الذين اختار لهم ست مقطوعات حاتم الطائي وعروة بن الورد وهما جاهليان ، ثم موسى بن جابر الحنفي وهو شاعر اسلامي .

وتنقسم الحماسة عشرة أبواب . هي عشرة فنون من الشعر : الحماسة - المراثي - الأدب (الحكمة) - النسيب - الهجاء - الاضياف والمديح - الصفات (الوصف الحسي) - السير والنعاس - المُلح (النكت والفكاهة والاحماض والمجون) - مدامة النساء . وقد سمي أبو تمام هذا المجموع كله باسم الباب الأول منه « الحماسة »^١ ، وهو أطول الأبواب وأهمها في هذا المجموع القيم . واشتهر كتاب الحماسة لأبي تمام شهرة غطت على شهرة كل مجموع آخر شبيه به . فإذا قلنا اليوم « ديوان الحماسة » فإننا نعني ديوان الحماسة لأبي تمام . وقد دل ديوان الحماسة هذا على سعة اطلاع أبي تمام وغزارة علمه بالشعر وحسن ذوقه في الاختيار حتى قبل أن ابا تمام كان في اختياره لديوان الحماسة أشعر منه في شعره^٢ . ومن أوجه الأهمية لديوان الحماسة أننا نجد فيه أشعاراً لا نعرفها في مكان آخر .

ولقد عد السيد محسن الأمين شروح ديوان الحماسة فوجدتها أربعة وثلاثين شرحاً^٣ بعضها شروح عامة كشرح الامام المرزوقي المتوفي سنة ٤٢١ للهجرة ، وشرح الخطيب التبريزي المتوفي سنة ٥٠٢ للهجرة . ومنها أيضاً شروح خاصة

(١) الحماسة ، في الاصل ، الشدة في الدين والقتال ، ثم هي الشجاعة (راجع القاموس ٢ : ٢٠٨) .

والحماسة أيضاً هي الشعر الذي يقال في القتال وفي التجلد في المصائب والقسوة وقلة المبالاة وصلابة النفس في أي فن من فنون الشعر جاءت هذه الخصائص (راجع شرح الحماسة للتبريزي) .

(٢) خمسة شعراء جاهليون ، للمؤلف ص ٢٥ ، ٢٧ .

(٣) أعيان الشيعة ١٩ : ٤٩٠-٤٩٤ ، راجع حركة التأليف عند العرب ٩٨-٩٩ . اما أحمد

أمين وعبد السلام هارون فقد احصيا نحو ثلاثين شرحاً (شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١ : ١١٠

- ١٥ من التقديم) . ولعلها كراً اسم الصولي مرتين (رقم ١٣١١ وجملا وفاته مرة سنة ٥٣٣٥

ومرة سنة ٥٤٧٦) .

تناول أوجهاً معينة من هذا الديوان القيم ، فهناك الميهج في شرح أسماء رجال الحماسة لابن جني ، ومنها رسالة في ضبط أعلام الأماكن في ديوان الحماسة لأبي هلال العسكري .

٢ - الحماسة الصغرى وتعرف أيضاً باسم الوحشيات ^١ :

جمع أبو تمام هذا الكتاب من شعر الشعراء العرب (أي القدماء) ورتبه على عشرة أبواب هي أبواب الحماسة الكبرى نفسها . ويبدو أن الحماسة الصغرى قصائد طوال . وهم السيد محسن الأمين مرة ^٢ فجعل الوحشيات كتاباً مستقلاً غير الحماسة الصغرى .

٣ - كتاب الفحول ، أو كتاب فحول الشعراء ، أو كتاب اختيار شعراء الفحول ^٣ :

هذا المجموع مقاطع من شعر الشعراء الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين على الانواع ^٤ وينتهي بابن هرمة .

٤ - كتاب الاختيار من شعر القبائل ، ويسميه السيد محسن الأمين «الاختيار القبائلي الأكبر ويذكر أنه رآه * ، ولعله كتاب الاختيارات من شعر الشعراء .

٥ - الاختيار القبائلي الأصغر ، اختار فيه أبو تمام مقاطع من محاسن أشعار القبائل . ومعظمه لغير المشهورين ^٥ .

٦ - اختيار المقطعات ، وهو مبوب على ترتيب الحماسة وفيه أشعار للمشهورين ولغير المشهورين من القدماء والمتأخرين . وهو يبدأ بأشعار الغزل ^٦ .

(١) وفيات الأعيان ، مقدمة الحماسة (فرايتاغ) .

الاعاني ١ : ٣٤٦ ، الحاشية ١ ، أعيان الشيعة ١٩ : ٤٩٥ .

(٢) أعيان الشيعة ١٩ : ٤٨٩ .

(٣) الفهرست ١٦٥ ، أعيان الشيعة ١٩ : ٤٩٥-٤٩٦ ، وفيات (مطبعة الوطن) ١ : ٢١٤ .

(٤) الفهرست .

(٥) الفهرست ١٦٥ ، أعيان الشيعة ١٩ : ٤٩٦ .

(٦) الفهرست ١٦٥ ، وفيات ١ : ٢١٤ .

(٧) أعيان الشيعة ١٩ : ٤٩٦ .

(٨) أعيان الشيعة ١٩ : ٤٩٦ .

مقلدو أبي تمام

وقلد أبا تمام نفرٌ من الشعراء والأدباء والنقاد في جمع مجاميع من الشعر يُعرف كل واحد منها باسم « الحماسة » ايضاً : وقد وصل اليّنا من هذه المجاميع ٢ :
١ - حماسة البحري - البحري (ت ٨٢٨٤ = ٨٩٧ م) تلميذ أبي تمام وكان يتشبه به وينحو نحوه ٣ ، فألف « كتاب الحماسة » على مثال حماسة أبي تمام ٤ .
على أن البحري عني بالأغراض - بالمعاني المفصلة : حمل النفس على المكروه ، مجاملة الأعداء ... الألفة ... ركوب الموت خشية العار ... مؤاخاة الكرام الخ ٥ ، لا بالفنون (الحماسة ، المراثي : المهجاء ...) كما فعل أبو تمام .

٢ - حماسة الخالدين - الخالديان هما أبو بكر محمد وأبو سعيد عثمان أبنا هاشم ، وكانا من أحياء القرن الهجري الرابع ومن الذين كانوا في بلاط سيف الدولة ٦ ، « لهما من الكتب حماسة شعر المحدثين » .

٣ - الحماسة العسكرية لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ - ١٠٠٥ م) .
٤ - حماسة أحمد بن فارس (٣٢٩ - ٣٩٥ هـ) الأديب اللغوي المشهور ٧ .
٥ - الحماسة لأبي السعادات هبة الله بن علي الشجري العلوي (ت ٥٤٢ هـ - ١١٤٧ م) ، وتعرف بمختارات الشجري . هذا المجموع يضم أبواباً يتناول بعضها فنوناً من الشعر كالمديح والمراثي ... ويتناول بعضها الآخر أغراضاً ومعاني

(١) أعيان الشيعة ١٩ : ٤٩٦ .

(٢) راجع أعيان الشيعة ١٩ : ٤٩٤ - ٤٩٥ ، حركة التأليف ١ : ٩٩ - ١٠٤ .

(٣) معجم الأدباء لياقوت ٧ : ٢٢٧ .

(٤) الفهرست ١٦٥ ؛ (مطبعة الوطن) ١ : ٢١٤ .

(٥) حركة التأليف ١ : ١٠٠ - ١٠١ .

(٦) راجع الفهرست ١٦٩ ؛ حركة التأليف ١ : ٩٨ ؛ « لها الأشياء والنظائر من أشعار المتقدمين

والجاهليين والمختصرين في الكتيبخانة الحديوية المصرية (فهرست الكتيبخانة ٤ : ٢٠٢) .

وقد طبع هذه الكتاب في القاهرة ، عام ١٩٥٨ (حققه وعلق عليه محمد يوسف) .

(٧) حركة التأليف عند العرب ١ : ٩٨ .

جزئية : فهو لذلك وسط بين حماسة أبي تمام وحماسة البحري ^١ .

٦ - الحماسة ^٢ للأعلم الشنمري الاندلسي (ت ٤٧٦ هـ) .

٧ - الحماسة لعلي بن الحسن المعروف بشميم الحلي (ت ٦٠١ هـ) ، وهي تتألف من أربعة عشر باباً .

٨ - الحماسة البصرية لصدر الدين علي بن أبي الفرج البصري (قتل ٦٤٧ هـ - ١٢٤٩ م) .

٩ - الحماسة المغربية لأبي الحجاج بن محمد الاندلسي البياسي (ت ٦٥٣ هـ - ١٢٥٥ م) ، وهي حماسة كبيرة تقع في مجلدين . وقد كان تأليفها في تونس سنة ٦٤٦ هـ - ١٢٤٨ م) .

ديوان أبي تمام والشروح عليه

يبدو أن النسخة التي وصلت إلينا من ديوان أبي تمام هي النسخة التي صنعها علي بن حمزة الاصفهاني ^٣ ، وهي النسخة المتداولة في الطبع . هذه النسخة مرتبة على الفنون ^٤ ، وكل فن فيها مرتب على الحروف .

وقد كانت العناية بشعر أبي تمام كثيرة ، فقد شرحه نفر من المشاهير ^٥ . ان أقدم الشروح التي وصلت إلينا وافية كاملة شرح أبي بكر الصولي (ت ٣٣٥ هـ) . كان الصولي من المعجبين بشعر أبي تمام ومن المتعصبين له جمع نخبة صالحة من أخباره وشعره ثم شرح ديوانه . وشرح الصولي موجز مقتصر على معاني الأبيات . ثم هو قليل التعرض لمسائل اللغة والنحو ، الا أنه يورد أحياناً

(١) مثله ١٠٢:١-١٠٣ . وقد طبعت حماسة الشجري في حيدر اباد (الدكن) بالهند ١٣٤٥ هـ .

(٢) يظن ابن خلكان أنه كان يملك شرحاً للحماسة بقلم الاعلم الشنمري في خمسة مجلدات (وفوات ، مطبعة الوطن ٣ : ٤٢٧) .

(٣) يذكر محمد عبيد عزام (ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ١ : ٤٤ من المقدمة) أن نسخة الاسكوريال تبلغ ١٣٦ ورقة مسطرتها ١٩ سطراً ، وهذا يجعل أبيات الديوان نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة بيت . (٤) راجع مطلع الفصل التالي .

(٥) راجع مقدمة محمد عبيد عزام لديوان أبي تمام بشرح التبريزي ١ : ٢٠-٣١ .

أشياء من الأخبار تعين القارئ على فهم الآيات التي تتعلق تلك الأخبار بها من قرب أو بعد . وشرح الصولي يتناول النصف الأول من الديوان .

وبعد الصولي في الزمن يأتي الامام الحارزنجي المتوفى سنة ٣٤٨ هـ . وهو من شراح ديوان أبي تمام المتقدمين ، غير أن أكثر شرحه قاصر على التفسير اللغوي .

ثم يأتي في هذه السلسلة أبو القاسم الآمدي (ت ٣٧٠ هـ) ، وهو الذي نصب الحرب لأبي تمام وشرحه في كتابه « الموازنة » . وقد كان الآمدي من أنصار البحرى . وفي شرح الآمدي كثير من النقد والجدل يحاول الآمدي أن يبرر بهذا تعامله على أبي تمام ، وربما عمد الى تبديل رواية أو الى اختلاق رواية رأساً للحط من شعر أبي تمام .

ثم يأتي أبو علي المرزوقي (ت ٤٢١ هـ) ، وهو من المعجبين بأبي تمام المنعصين له . والمرزوقي كثير العناية ، في شرحه ، بأسلوب أبي تمام يعتمد الذوق في استخراج المعاني ويحاول ان يصحح الروايات التي لا يرضاها بالمألوف من مذهب أبي تمام أو من مذاهب الشعراء . وقلما يلجأ الى ما روي في نسخ الديوان . وللمرزوقي كتاب الانتصار من ظامة أبي تمام .

وكان أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ) في عصر المرزوقي . وهو من أشد المعجبين بأبي تمام وبشعره ، شرح ديوان أبي تمام وسماه « ذكرى حبيب » ، اعجاباً بالتورية بين « حبيب » بمعنى المحبوب المعشوق وبين « حبيب » بن أوس (اسم أبي تمام) .

وشرح المعري لغوي في الدرجة الأولى ، وفيه استطراد كثير في اللغة وفي تفسير المعاني . والمعري يريد أن يكون كل قول لأبي تمام جميلاً ، فهو يذافع عن معاني أبي تمام بكل سبيل .

ثم يأتي الخطيب التبريزي (ت ٥١٢ هـ) تلميذ المعري . وشرح التبريزي

لشعر أبي تمام يقوم في الأكثر على الجمع بين شروح المتقدمين والاتيان بشرح ديوان أبي تمام كاملاً^١.

ومن هذه السلسلة في اعتاب الدولة العباسية أبو البركات المبارك بن أحمد المعروف بابن المستوفى الأربلي المتوفى في الموصل في ١٦ رمضان من سنة ٦٣٨ (١٢٤١ م) له كتاب النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام في عشر مجلدات^٢. وابن المستوفى يجمع شروح الشراح على شعر أبي تمام منذ أيام الصولي : وهو عالم محقق أمين ينسب كل قول من أقوال الشارحين الى صاحبه : وقد يعقب على هذه الأقوال^٣.

(١) وفيات الاعيان (مصر ، مطبعة الوطن ١٢٩٩ هـ) ٢ : ٢٠٦ - ٢١٠ .
(٢) محمد عبدة عزام (ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ١ : ٢٩ - ٤٣) .

فنون أبي تمام وأغراضه

ليس ديوان أبي تمام كبير الحجم بالاضافة الى دواوين أمثاله من الشعراء كأبي نواس والبحتري وابن الرومي وغيرهم ممن لمعوا في سماء الأدب العربي وحازوا إمارته على الدهر ، واتصاوا برجالات العرب والاسلام في السياسة والاجتماع . وابو تمام ككل الشعراء العرب — اذا استثنينا نقرأ كالعباس بن الاحنف وعمر بن الفارض وأمثالهما — خاض في فنون الشعر جميعها ، ولكنه اكتسب شهرته بفنّين منها : المديح والرثاء . ومع ان شعره في الرثاء اقل حجماً من شعره في المديح فانه لا يقل عنه قيمة ، بل ربما فاقه .

يحتريص أصحاب الآثار على أن يجمعوا آثارهم في حياتهم . ومن الواضح أن آثارهم لا تتم عادة الا بتمام حياتهم . ومن هذا القبيل يجب أن نفهم الرواية عن عثمان بن المشي القرطبي المتوفي سنة ٢٧٣ للهجرة (٨٨٦ — ٨٨٧ م) أنه « رحل الى المشرق وقرأ على حبيب بن أوس ديوان شعره وأدخله الأندلس رواية عنه ^١ » ولما بدأ ابن النديم ^٢ تأليف كتابه « الفهرست » كان شعر أبي تمام لا يزال مفرقاً ، غير مجموع جمعاً منسقاً على طريقة ما ، فقدّره بنحو مائتي ورقة ، أي أربعة

(١) تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس لمحمد بن يوسف الازمي المعروف بابن الفرضي ، جزماني ، القاهرة ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م ، ١ : ٣٤٦ .

(٢) انتهى ابن النديم من تأليف كتابه « الفهرست » سنة ٣٧٧ هـ (٩٨٧ - ٩٨٨ م) ، وتوفي يوم الاربعاء لعشر بقين من شعبان سنة ٣٨٥ (أيلول ٩٩٥) .

آلاف بيت^١ . ثم جاء أبو بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفي سنة ٣٣٠ للهجرة^٢ فعمله مرتباً على الحروف في نحو ثلاثمائة صفحة^٣ . أي ستة آلاف بيت . وكذلك صنعه علي بن حمزة الاصفهاني^٤ على الانواع .

ومراجعة الديوان يتضح لنا أن تقدير ابن النديم كان قريباً من الصواب . فاذا نحن اعتبرنا الديوان^٥ وجدنا أنه يضم نحو ٦٧٣١ بيتاً موزعة كما يلي ، على وجه التقريب : باب المديح ٤٣٤٧ بيتاً ، باب الرثاء ٦٦٧ بيتاً ، باب العتاب ٢٥٦ بيتاً ، باب الوصف ١٧٧ بيتاً ، باب الغزل ٥٥٧ بيتاً ، باب الضجر ١٥٥ بيتاً ، باب الوعظ ٤٦ بيتاً ، باب الهجاء ٥٢٦ بيتاً .

وأغراض أبي تمام المفرقة في الأبواب السابقة — ولا سيما في بابي المديح والرثاء — كثيرة جداً . فمما يدل على كثرتها والاجادة فيها ما ورد لأبي تمام من المقاطع المختلفة المنتورة في « كتاب الزهرة » لأبي بكر محمد بن داود الاصفهاني . وموضع الشاهد في ذلك أن كتاب الزهرة مؤلف في الحب والغزل وأحوالهما ، وأبو تمام ليس من فرسان هذين الميدانين . فاذا كان شاعرنا قد تناول هذه الأغراض التي ليست من جوانب عبقريته بمثل هذا اليسر والسعة والاجادة ، فما بالك بالأغراض التي تقوم عليها عبقريته !

اختار أبو بكر الاصفهاني في كتابه « الزهرة » مقاطع قصاراً تبلغ عشرة آلاف بيت نصفها في أحوال الحب وما يتصل بها لشعراء قدماء ومحدثين

(١) الفهرست ١٦٥ . يذكر ابن النديم (الفهرست ١٥٩) أن الورقة تضم عشرين بيتاً من الشعر .

(٢) الفهرست ١٥١ .

(٣) الفهرست ١٦٥ .

(٤) الفهرست ١٦٥ .

(٥) نر الفأفة المئوية ورقف عل طبعه محيي الدين الخياط . طبع بمناظرة والتزام محمد جمال

(بيروت ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م) - راجع تاريخ طبع الديوان بحساب الجمل على الصفحة

« يوم » ، الشيخ عبد الرحمن سلام والشيخ حسين الحبال . وقد أغفل محيي الدين الخياط إيراد

جانب من هجاء أبي تمام الذي يمس بالآداب (الديوان ٤٨٥) . ويبدو أيضاً أن الأبواب

الآخرى تنقص عدداً آخر من الأبيات .

ثم فرقها في مائة باب . ولكن لم يطبع الى اليوم من كتاب الزهرة الا نصفه فقط ^١ . وكان الاصفهاني قد شرط على نفسه أن يورد المختارات مجردة من التعليق الا اذا كان فيها ما يزيد على غيره في الحسن والجلودة وزيادة ظاهرة ^٢ . ثم انه تشدد فلم يبد استحسانه الا عند ايراد ثمان وأربعين مقطوعة كان لأبي تمام وحده تسع منها ^٣ . أما مجموع الأبيات التي اختارها الاصفهاني من شعر أبي تمام ، في النصف الأول من كتاب الزهرة ، فتبلغ مائة واثنين وسبعين بيتاً تُولف سبعة وخمسين مقطوعة تتفرق في تسعة وعشرين باباً من أبواب الكتاب ^٤ .

١ - المديح

لا يستطيع دارس ان يعتمد في نقد « المديح » على مدائح الشاعر ابداً ؛ فهي لا تدل غالباً على المادح ولا على الممدوح دلالة صادقة ، لأن حماسة الشاعر تزيد أو تنقص حسب زيادة امله أو نقصه في نوال الممدوح . وكثيراً ما رأينا شاعراً يمدح شخصاً ثم يعاتبه ثم يهجوّه ؛ ومن هؤلاء ابو تمام .

عرف ابو تمام كيف يصرف مدحه ، فلم ينتفع في ايامه شاعر بدرهم ^٥ ؛ واذا علمنا ان الممدوح لرضاء الممدوح فحسب غفرنا كثيراً من ذنوب أبي تمام وأهملنا اكثر ما يأخذه به بالنقاد .

كان الناس في غمرة من الثقافة الفارسية يؤثّون اوجههم شطرها في أكثر امور دنياهم ، فلم يكن نصيب الأدب أقلّ من نصيب غيره حتى أصبحت بغداد على الحقيقة قطعة من بلاد الفرس . ثم كانت نكبة البرامكة . وفورة الزندقة .

(١) النصف الأول من كتاب الزهرة ، تأليف أبي بكر محمد بن أبي سليمان داود الاصفهاني ،

اعتنى بنشره الدكتور ر. لويس نيكول البومهي بمساعدة الشاعر الاديب ابراهيم عبد الفتاح طوقان

(طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٣٢ م - ١٣٥١ هـ) .

(٢) كتاب الزهرة ٧ ، أشار الاصفهاني الى عدد من المعاني القصيدة في بابها ، ص ٢٦ .

(٣) كتاب الزهرة ٣٠ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١٩٢ ، ٢٠٣ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ .

(٤) راجع فهرس كتاب الزهرة ، ص ٣٧٥ .

(٥) الأغاني ١٥ : ٩٨ .

وصلف الشعوبية ، وفتنة بابل ، ومجيء الأتراك فمال الناس - في الظاهر على الأقل - عن الفرس مَيْلَةً واحدة واستيقظت فيهم الروح العربية وحسّوا إلى الياضية وألوانها من جديد ؛ مع أن الشعراء لم يكونوا قد انصرفوا عنها قط ، خصوصاً في أماديهم .

مرصع من مرصع

يمتاز مديح أبي تمام بأربعة مظاهر احتاز بها حقوق الشعراء جميعاً .

(أ) الاشادة بالقومية العربية والدين الاسلامي : فهو يستمد منهما تاريخاً وعظمة وشهامة ينثرها في مدائحه ، وقد استطاع من اجل ذلك ان يفرز باعجاب بني العباس مع احتفاظه بحب آل البيت . ولا ننس أن الميل إلى بني علي كان جريمة يومذاك .

من ذلك قوله في مدح المأمون :

لما رأيتَ الدينَ يَخْفُقُ قلبه ، والكفر فيه تَغْطُرسُ وعُرامُ^١ .
أورَيتَ زَنْدَ عزائمٍ تحت الدُجى ، أسرجنَ فِكْرَكَ ، والبلادُ ظلامُ^٢ .
فنهضتَ تسحب ذيلَ جيش ساقه ، حسن اليقين . وقاده الإقدام ،
حتى نقضت الروم منه بوقعةٍ ، شعاءً ليس لنقضها إبرامُ^٣ ؛
في معرك ، أما الحِمام فمفطر ، في هبوتيه والكُماة صيامُ^٤ .
ما كان للإشراك فورة مشهد ، والله فيه ، وانت ، والاسلام ا
— لم يُقرَ هذا السيفُ هذا الصبرَ في هيجاء ، إلا عزَّ هذا الدينُ^٥ .

ومدح الواثق فقال :

يا ابن الحلائف : ان بردك ملوهُ كرم ، يذوب المُنْزَنُ منه ، ولين :

(١) تغطرس : تكبر وتطاول وظلم . هرام : شدة وشراسة .

(٢) الحمام : الموت . الحمام مفطر : يأكل من المعارين بنهم . والكما : (الابطال ، المعاريون) صيام قائمون على حذر ومسكون عن كل شيء (عن الطعام وعن كل شيء غير القتال) . الحبوة : الفبار الذي يشبه الدخان ويكون في المعارك عادة .

(٣) ما صبر الناس ، والسيوف بأيديهم ، مثل هذا الصبر في حرب ما الا انتصر الاسلام .

نور من الماضي عليك ؛ كأنه
يسمو بك السفاح ، والمنصور ، وال
فرسان مملكة ، أسود خلافة
قوم غدا الميراث مضروريا لهم
قد اصبح الاسلام في سلطانها ؛
نور عليه ، من النبي ، مبین .
مهدي ، والمعصوم ، والمأمون .
ظل المهدي غاب لهم وعرين .
سور عليه من القرآن ١ حصين .
والهند بعض ثغورها والصين .

وليس أحسن في هذا المقام من الاكتفاء بالإشارة الى قصيدة « فتح الفتوح » ٢ .
وقريب من هذا قوله في مدح ابي سعيد الثغري بعد وقعة بابل :

تالله أدري أألاسلام يشكرها
يوم به أخذ الاسلام زينت
يوم يحيى ، إذا قام الحساب ، ولم
لم تبق مشرقة الا وقد علمت -
فاعذر حودك في ما قد خصصت به ؛
من وقعة ، ام بنو العباس ، ام أدَدُ ٣
بأسرها ، واكتسى فخراً به الأبد ؛
بذممته بدر ولم يفضح به أحد ؛
إن لم تتب - أنه للسيف ما تلد ؛
ان العلى حسن في مثلها الحسد !

(ب) استخدام الحوادث القديمة والحديثة : اذا كان لها علاقة بالممدوح أو
بآله أو بقبيلته أو بقومه ، ليرفع بها من شأنه ويشهر مناقبه ويظهر مناسبه ويبين
معامله وشرف مقامه . ان أبا تمام لا يفضل عن حادثة كبيرة يذكرها أو صغيرة
يجلو أوجهها . وهذا بمكثنا أحياناً من تعيين تاريخ قصائده .

مدح أبو تمام ابا دلف العجلي فقال مشيراً الى قومه ٤ .
وإذا افتخرت يوماً تميم بقوسها ، وزادت على ما وطدت من مناقب ،
فأنتم بذي قار امالت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب .

(١) القرآن (بتسهيل الهزة) لغة في القرآن .

(٢) راجع في المختارات : السيف اصلى انباء من الكتب !

(٣) القدم المشي تقديره (والله اني لا ادري ...) ، ادَد : قبيلة المملوح .

(٤) يوم الحساب : يوم القيامة ؛ بدر واحد غزوتان من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم .

(٥) راجع المختارات .

محاسنُ من مجدٍ متى تقرّروا بها محاسنُ أقوامٍ تكنُ كالمعائب .
ومدح ابو تمام محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي فقال فيه ١ :

نرمي بأشباحنا الى ملك نأخذ من ماله ومن أدبه .
نجمُ بني صالح : وهم أنجم الـ عالم من عجمه ومن عربيه .
رهط النبي ، الذي تقطّع الله باب البرايا سوى سبيه !

وانظر الآن كيف يحاول ابو تمام ان يخلو نسب خالد بن يزيد الشيباني في اجمل إهاب ، ويكسوه من المجد أغلى ثياب (خ ٩٨) .

مطر ابوك ، ابو أهلة وائل ؛ ملأ البسيطة عدة وعديداً .
اكفأوه ثلث الرجال ؛ وإنما ولد الختوف اسوداً ٢ وأسودا .
ورثوا الأبوة والخطوظ ؛ فأصبحوا جمعوا جدوداً في العلى وجدوداً ٣ .
ومشوا أمام أبي يزيد وحوله مشياً ، يهْدُ الراسيات ، وثيدا ٤ ؛
واذا رأيت أبا يزيد في ندى ووغى ، ومبدي غارة ومُعيدا
أيقنت ان من السّماح شجاعة تدمي ؛ وأن من السماحة جوداً ٥ .

(ح) فخامة الألفاظ والتراكيب : يحبّ ابو تمام من الألفاظ ما ملأ الاسماع ومن التراكيب ما شغل الفكر . ثم يحيك حولها أقوالاً وآراء يستعيرها من قوى الطبيعة المختلفة كالمنظر والبحر والنار والحياة والموت والحرب ... وبعدها يحبكها بحكمة عرّفها أو اخترعها .

لما تغلب الجيش الاسلامي على بابك مدح الشاعر احد قواده : ابا سعيد

(١) خ ٥٢ .

(٢) الاسود جمع اسود وهو الانعمان ذكر الاعمى (الحية) .

(٣) الجدود الاولى : الاسلاف ، والثانية : الخطوظ .

(٤) الراسيات : الجبال . وثيد : الذي فيه صوت عال ، أو فيه رزاة وتأن .

(٥) السّماح والسّماحة : البذل ، وقصد الشاعر بالكلمة الاولى بذل النفس في الحرب ، وبالثانية بذل المال .

محمد بن يوسف النخعي فقال :

وفي ارشق الهيجاء . والحيل ترتمي
عظمت ، على رغم العدى ، انف بابك
فإلا يكن وليّ بشيلو مقصد
راك سديد الرأي والرمح في الوعى
وليس يجليّ الكرب رمح مسدد

بأبطالها في جاحم متوقّد^١
بعزمك عط الاتحمي المعصّد^٢ .
هناك . فقد ولي بعزم مقصد^٣ .
تأزّر بالإقدام (فيها) وترتدي .
إذا هو لم يؤنس برأي مسدد !

وأفخم من هذا قوله في عبدالله بن طاهر . :

اليك جزعنا مغرب الملك كلما
الى ملك لم يلق كلكل بأسه
الى سالب الجبار بيضة ملكه ،
فوالله لو لم يلبس الدهر فعله

وسطنا ملاصت عليك سبابه^٤ .
على ملك الا وللذل جانبه^٥ .
وآمله غاد عليه فسالبه^٦ .
لأفسدت الماء القراح معائبه^٧ .

(*) راجع المختارات ايضاً .

(١) ارشق حصن المسلمين خرج اليه بابك ليطو عل مال ارسله المعتصم للانشين ؛ جاحم متوقد ؛ جمر شديد الاشتعال .

(٢) شققت عزمه كما يشق الثوب المخطط طولا (لسهولة ذلك) .

(٣) ان لم تتركه مقطع الاعضاء (قتيلا) فقد تركته خائر العزم (مظلولة جيوشه)

(٤٥) راجع المختارات ايضاً .

(٤) قطعنا النعم النخعي من الامبرطورية العربية ، فكنا كلما نزلنا في ارض رأينا فيها من آثارك ما يستوجب الثناء عليك .

(٥) لم تحارب ملكاً الا ذل .

(٦) هو يسلب ملك الملك الجبار ؛ ومعنيّه : طالب رغبه (عطائه) يسلبه ماله .

(٧) لو لم تذر أفعاله في الدهر كله لكانت معائب الدهر قد افسدت كل شيء حتى الماء الصافي .

محمد بن يوسف النخعي فقال :

وفي ارشق الهيجاء . والحيل ترتمي
عظمت ، على رغم العدى ، انف بابك
فإلا يكن ولي بشيلو مقصد
راك سديد الرأي والرمح في الوعى
وليس يجلي الكرب رمح مسدد

بأبطالها في جاحم متوقد^١
بعزمك عط الاتحمي المعصد^٢ .
هناك . فقد ولي بعزم مقصد^٣ .
تأزر بالإقدام (فيها) وترتدي .
إذا هو لم يؤنس برأي مسدد !

وأفخم من هذا قوله في عبدالله بن طاهر . :

اليك جزعنا مغرب الملك كلما
الى ملك لم يلق كل كل بأسه
الى سالب الجبار بيضة ملكه ،
فوالله لو لم يلبس الدهر فعله

وسطنا ملاصت عليك سبابه^٤
على ملك الا وللذل جانبه^٥ .
وآمله غاد عليه فسالبه^٦ .
لأفسدت الماء القراح معائبه^٧ .

(*) راجع المختارات ايضاً .

(١) ارشق حصن المسلمين خرج اليه بابك ليطو عل مال ارسله المعتصم للانشين ؛ جاحم متوقد ؛ جمر شديد الاشتعال .

(٢) شفت عزمه كما يشق الثوب المخطط طولا (لسهولة ذلك) .

(٣) ان لم تتركه مقطع الاعضاء (قتيلا) فقد تركته خائر العزم (مظلولة جيوشه)

(٤٥) راجع المختارات ايضاً .

(٤) قطعنا الدم النخعي من الامبرطورية العربية ، فكنا كلما نزلنا في ارض رأينا فيها من آثارك ما يستوجب الثناء عليك .

(٥) لم تحارب ملكاً الا ذل .

(٦) هو يسلب ملك الملك الجبار ؛ ومعنويه ؛ طالب رغبة (عطائه) يسلبه ماله .

(٧) لو لم تذر أفعاله في الدهر كله لكانت معائب الدهر قد افسدت كل شيء حتى الماء الصافي .

يمدح ابوتمام أبا المغيث موسى بن ابراهيم الرافقي^١ بخمس قصائد قوافي ثلاث منها
 ثاء وسين . وضاد ويحشر فيها : نبيث ، دثوث ، ميث ، شثوث ، لويث .
 قدموس ، شوس ، كردوس . اريض . نحيض ، قبيض دحيض . انيض ...
 فالممدوح امير في الشام بدوي . ولا اظنك تعجب اذا رأيت هذه الكلمات الغريبة
 في مدحه لآل طوق من امراء عرب الشام^٢ :

شجعاء جبرتها الذميل تلوكة أصلاً اذا راح المطي غيرانا^٣ ؛
 اجْد اذا ونبت المهاري ارقلت رَقلاً كتحريق الغضا حشحاتاً^٤ ؛

(١) كان ابو المغيث في أيام أبي نواس فني يكتب الحديث ، وقد شبه به ابوتواس (ديوان أبي
 نواس ، مخطوطة برلين ٢٤٣ أ : يا سمي المدعو من جافب الطور ... (راجع ديوان ،
 طبعة آصاف ، مصر ١٨٩٨ ، ص ٤١٠ في موسى :
 يا سمي الذي كلم الـ ... ، وأدنى مكانه تقريباً .

(٢) ديوان خ ٦٥٠٦٤ .

(٣) شجعاء : طويلة ، مبسطة الجسم وذلك من الصفات الحميدة في الحيوان ، ثم هي نشيطة .
 الجرة (بكسر الجيم وتشديد الراء) : ما تخرجه الدابة من بطنها وتجتريه (تعيد مضغه) .
 الذميل : السير السريع . تلوكة : تمضغه ، تعض عليه وتديره في فمها . أصل (بضم
 الهيمزة والصاد) جمع أصيل : العثية ، الزمن الذي يسبق غروب الشمس بنحو ساعتين .
 راح : دجع في المساء ، بلغ المساء . المطي جمع مطية : الدابة المعدة (بتشديد الدال)
 للركوب والاسفار . غراث (جمع غرثان و غرثي) : جياح . - هذه الناقة التي أركبها
 إذا في سفري مبسطة الجسم نشيطة ، تسرع في السير . والاسراع في السير حين عليها
 لأنه طبيعة فيها (كالاجتار الذي هو طبيعة فيها أيضاً) ثم هي قادرة على السير الطويل
 تستمر في سيرها السريع طول النهار . فإذا جاء المساء ظلت هي تسير بنشاط ، بينما سائر
 المطي تكون قد تعبت (قد نفذت قوتها بنفاذ ما في بطنها من الطعام الذي تجتريه) . والبيت
 التالي توضيح وتفسير لهذا البيت .

(٤) أجد : سلبية ، متينة البناء . ونى بني : تعب . المهاري : الخيل الفتيحة ، الصغيرة السن .
 ارقل : أسرع وهو يصمد في الجبل . الغضا : نوع من الشجر يصنع منه قسَم
 جيد . حشحات : سريع . - إذا تميت المهار الفتيحة (من السير في السهل) فإن نساقي
 هذه تظل نشيطة قادرة على الاسراع في صعود الجبال . ويكون ارقالها هذا شديداً متوالياً
 كالاصوات التي يحدثها شجر الغضا وهو يحترق .

مُثِّلْتُ فِي جِشْمِ بْنِ بَكْرٍ مَالِكًا :

فَصَرَّعْتُهَا وَهَرَبْتُهَا فَمِنْ خَلَّتْهَا .

لَوْلَا اعْتِمَادُكَ كُنْتَ فِي مَدْرُوحَةٍ عَنْ بَرْقِيعَةٍ وَفُرْصَةٍ وَاعْتِمَادًا .

ثُمَّ إِذَا قُلِبْتَ الْغُيُوثُ أَنْ تَوْصَلَ فِي مَدَائِحِ تُوُوَيْرِ الشَّاعِرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
تُرَيَاتُ فَتَرَى أَمْثَالَ : وَصَفَ الْقَلَمُ : أَوْ : دِيمَةً سَحَابَةٍ لِقِيَاءِ مَكُوبٍ . وَلَا
أَحَبُّ أَنْ أُسِيرَ بِكَ فِي الْغُيُوثِ بَيْنَ مَدَائِحِ الْخُلَفَاءِ وَالْأَمْراءِ وَالْقَوَادِ وَالْقَتَمَاءِ فَلَوْ
خَصَّائِصُهَا مَعًا فَتَرَى أَنَّ إِنَّا تَمَامُ كَانَ يَصْرِفُ الْمَدِيحَ حَبَّ حَبِيبَةٍ . ثُمَّ لَا تَوْقِنُ
أَنَّ مَا قُلْتَهُ لَكَ قَاعِدَةٌ مُحْكَمَةٌ . لَا ، أَنَهَا كَكُلِّ الْقَوَاعِدِ هَذَا شَوَازِجَاءُ وَإِنَّمَا تُشْتَبِهُ
بِرَهَانٍ عَلَى الْقَاعِدَةِ .

ممدوحو أبي تمام

يبلغ عدد ممدوحِي أبي تمام مِائَتَيْنِ - أَكْثَرُهُمْ مِنْ الْعَرَبِ * يَشْتَرُونَ
فِي الْهَيْئَةِ الْاجْتِمَاعِيَةِ بَيْنَ الْخُلَفَاءِ : كَالْمَأْمُونِ وَالْمُعْتَصِمِ ، وَبَيْنَ الْكُتَّابِ : كَرَجُلٍ
اسْمُهُ أَبُو زَيْدٍ كَانَ كَاتِبًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ . وَتَرَى هُنَا قَائِمَةً مَفْصُلاً بِأَسْمَاءِ
الْمَدْدُوحِينَ مَعَ مَقَامِهِمُ الْاجْتِمَاعِيَّ وَعَدَدِ الْقَصَائِدِ الَّتِي مَدَّحُوا بِهَا ، مِثْلًا بِعَدَدِ

(١) طَلِبْتُ : تَصَدْتُ . الْفَتَى : السِّيدُ الْبَطْلُ فِي قَوْمِهِ . جِشْمُ بْنُ بَكْرٍ قَبِيلَةُ الْمَدْرُوحِ . مَالِكُ
هُوَ مَالِكُ بْنُ طَوْقٍ الَّذِي يَمْدَحُهُ الشَّاعِرُ . الْفُرْغَامُ : الْأَسَدُ الْفَعْلُ الشَّدِيدُ . الْهَزِيرُ : الْأَسَدُ
الضَّخْمُ الشَّدِيدُ الصَّلْبُ . الدُّلْهَاتُ : الْأَسَدُ السَّرِيعُ .

(٢) لَوْلَا اعْتِمَادُكَ : لَوْلَا الْاعْتِمَادُ عَلَيْكَ وَالْأَمَلُ فِي مَعَايَاكَ . كُنْتَ فِي مَدْرُوحَةٍ : كَانَ لِي غَنَى ،
لَمْ أَحْصِلْ (بِتَشْدِيدِ الْمِيمِ الْمَكْسُورَةِ) نَفْسِي مُشَقَّةً هَذَا السَّفَرُ إِلَى بَرْقِيعٍ وَبَاعِيْنَا (هَذَانِ
مَوْضِعَانِ فِي جَزِيرَةِ ابْنِ عَمْرٍ ، فِي شِمَالِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ) ، كُنْتَ فِي غِنَى مِنْ كَثْرَةِ
التَّلَوَّافِ فِي الْأَرْضِ .

(٣) انْظُرْ أَيْضًا أَمْراءَ الشَّعْرِ ص ٢٢٩ .

اسمائهم^١ .

(أ) آل البيت المالك وأسلافهم — علي بن أبي سالب وآله ١ المأمون (٢) .
المعتصم (٩) . الواثق ٣ . أحمد بن المعتصم ٢ . محمد بن عبد الملك بن صالح ١ ،
الفضل بن صالح ١ .

(ب) وزراء الدولة — يحيى بن ثابت ١ . الحسن بن سهل ٢ ، وهما من
وزراء المأمون . محمد بن عبد الملك الزيات ٦ .

(ج) القواد — خالد بن يزيد بن مزيد ٧ ، ابنه محمد ١ ، أبو سعيد محمد
ابن يوسف الثغري ٢٩ . آل حميد الطوسي ١ ، الأفشين حيدر بن كاوس ١ .
جعفر الحياط ١ ، وأبو دلف العجلي (٥) .

(د) الأمراء ، ورجال الدولة والقبائل — عبدالله بن طاهر أمير خراسان ٤ ،
آل طوق أمراء عرب الشام : مالك بن طوق ٨ ، عمر بن طوق ٨ ، أبو المغيث
الرافقي ٥ ، اسحق بن إبراهيم المصعبي ٤ ، القاضي أحمد بن أبي داود ١٣ ،
القاضي حبيش بن المعافى التنوخي ١ .

(هـ) رجال الأسر الكبرى — آل وهب (ولوا الوزارة ، ولكن بعد أبي
تمام) : سليمان (٣) والحسن (١٢) ، علي بن مرة وابنه الحسن ٢ ، أحمد بن
عبد الكريم الطائي ٢ ، داود بن داود الطائي ٢ ، عمر بن عبدالعزيز الطائي ١
محمد بن شبيب الطائي ١ ، عيَّاش بن هبة الحضرمي ٣ .

(و) الشاعر أبو العباس نصر بن منصور بن بسام ٢ ، الشاعر علي بن الجهم ١ ،
محمد بن حسان الضبي ٤ ، غالب بن عبد الحميد الصغدني ٤ ، محمد بن الهيثم بن
شبانة ٧ ، ...

(١) العدد المحصور بتوسين فيه شك ينشأ من نسبة القصيدة اليه أو إلى غيره . قارن هذه بما ذكره
الدكتور الأسود (٢١ : ١) وبقائمة الأستاذ المقدسي (أمراء الشعر ١٧٥ - ١٧٧) ويزاد
عليهما ما سيرد به الدكتور الأسود في الجزء الثاني وليس في طبعة الخياط .

أما سائر المددوحين فهم متفاوتو المنزلة وقد خصهم الشاعر بقصيدة قصيدة :
ومنهم من كان نصيبه اثنين ، او ثلاثاً في النادر .

٢ - الفخر

الفخر ان يمدح الشاعر نفسه او آله او قومه ثم يشيد بذكرهم . وبضاعة ابي تمام في الفخر الخالص قليلة جداً واكثرها فخر بـطيء . ولعله قال اكثره في مصر قبل ان تقبل عليه الدنيا . ولا اعتقد ان في فخره شيئاً لا ينطوي على شكوى مرة ، وهذا الباب يفيدنا تاريخاً اكثر مما يفيدنا فناً .

اقبلت الدنيا على ابي تمام وزادت ثقته بنفسه فانتقل بالفخر الى قصائد المديح ينثره عند المناسبات ، وخصوصاً اذا كان المددوحون طائيين : كآل عبدالكريم وآل حميد الطوسي ، او من عرب الجنوب الذين منهم بنو طيء كالقاضي أحمد ابن ابي دؤاد الياضي . وعياش بن الحبيبة الحضرمي . وحسبك ما علمت من ذلك عند الكلام على خصائصه . ومن فخره ايضاً ١ .

وهل خاب من جدماه في اصل طيء : عدي العديين القلمس ، او عمرو ٢ .
لنا جوهر لو خالط الأرض اصبحت . وبطنانها منه وظُهرانها تبر ٣ .
مقاماتنا وقف على الحليم والحيجي : فأمردنا كهمل ، واشيينا حبر ٤ .

(١) ديوان خ ٤٧٥ - ٤٧٦ .

(٢) جدماه من اصل طيء : أبوه وأمه كلاهما من قبيلة طيء . عدي : عدي بن نصر بن بيعة والد الملوك المناذرة ملوك الحيرة . عدي العديين : اصل العديين المنسوبون الى عدي هذا . عمرو هو عمرو بن عدي أول ملوك الحيرة من المناذرة وأمه رقاش (يفتح الراء) بنت جذيمة (يفتح الجيم) . القلمس : في القاموس (٢ : ٢٤٢) أن القلمس رجل كنداني من نساء اليهود (من الذين كانوا يعينون الاشهر ويحرمون بعضها ، أي يحرمون الحرب فيها) .

(٣) الجوهر : أصل العنصر . - يقول أبو تمام : لو تزوجنا نحن ، بني طيء ، بالناس كلهم لأصبح الناس كلهم أشرفاً عظماً (لو كان بنو طيء عنصراً طبيعياً ثم تزج هذا العنصر بمادة الارض كلها لأصبحت الارض كلها تبراً - ذهباً) .

(٤) الحليم : سعة الصدر والحكمة . الحيجي : العقل . الحبر العالم ، الفقيه .

إذا زينة الدنيا من المال اعرضت فأزَيْنُ منها عندنا الحمد والشكر .
 فمن شاء فليفخر بما شاء من ندى ؛ فليس لحي غيرنا ذلك الفخر .
 وفخر أبو تمام بقومه ونفسه فأنشد ^١ :

إذا ابن الذين استتر ضيع الجود فيهم ^٢ وسُمِّيَ فيهم وهو كهل ^٣ ويافع ^٤ .
 مضوا ؛ وكأن المكرمات لديهم ^٥ - لكثرة ما أوصوا بهن - شرايع .
 هم استودعوا المعروف محفوظاً مالنا فضاع ؛ وما ضاعت لدينا الودائع ^٦ .
 إذا ما اغاروا فاحتوا مالاً معشر اغارت عليهم - فاحتوته - الصنائع ^٧ .
 فكم شاعري قد رامني فقنّاه عثته بشعري ؛ فأسمى وهو خزبان ^٨ ضارع ^٩ :
 كشفت قناع الشعر عن حر وجهه فطبرته عن فسكه وهو واقع ^{١٠} .
 بغرّ يراها من يراها بسمعه ^{١١} . ويدنو إليها ذو الحجى وهو شاسع ^{١٢} .

(١) ديوان خ ٤٧٩ - ٤٨٠ .

(٢) استر ضيع الجود فيه م : بنو طيء أرضعوا الجود و ربوه (فأخذ صفاته منهم) .

(٣) أورثنا أسلافنا مالا كثيراً وأوصونا بالمعروف (الكرم) فبائننا نحن في الكرم حتى أنفقنا جميع المال ، ولكن الكرم بقي فينا بعد ذهاب المال .

(٤) عل أن بني طيء أهل حفاظ وشجاعة إذا اضطروا إلى غزو قبيلة قاتم يستولون على جميع أموالها ، فإذا عرف أصحاب الحاجات بذلك وفدوا على بني طيء فمنحهم بنو طيء كل ما كانوا قد غنموا في غزواتهم .

(٥) قذعته بشعري : ضربته به (هجوته) . خزبان : مقهور . ضارع : ذليل .

(٦) كشفت قناع الشعر عن حر وجهه : أظهرته على حقيقته (برهنت على أنه ليس شاعراً وأنه هو يتكلف قول الشعر) . طبرته عن فسكه : شئت فكر ، أذهلت . واقع : باق في أرضه لا يستطيع مبارحتها لشدة ذهوله .

(٧) النمر : البيض (يتعمد : يتعمده غر ، أي بارعة جيلة) . يراها من يراها بسمعه : الذي ينهمها (إذا سمعها) يدرك معانيها الجياد . ويدنو إليها ذو الحجى وهو شاسع : تصل إليه وهو في المكان البعيد : تنتشر في كل مكان .

يودّ وداداً أن أعضاء جسمه إذا أنشدت - شوقاً اليها - المسمع^١ .

٣ - الرثاء

يجب أن أقدم البحث في رثاء أبي تمام بالرواية الآتية^٢ : بعد أن فرغ أبو تمام من انشاد قصيدته في أبي دلف العجلي « على مثلها من أربع وملاعب » ، قال (له أبو دلف) : أنشدني قولك في محمد بن حميد (كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر) ... فأنشده (القصيدة) فقال : والله وددت أنها في ؛ فقال (أبو تمام) : بل أفدي الأمير بنفسي وأهلي ، وأكون المقدم . فقال : بل انه لم يمت من رثي بهذا الشعر .

• • •

رثاء أبي تمام أقل تكافؤاً من مدحه وأرق عاطفة . وفي رثائه يظهر لنا أن ذلك الجبار على الخطوب ، القاسي في الشدائد رقيق الحس ، وثيق الوداد . ثم هو لا يفقد رشده عند المصيبة ، ولا يشبهه رأيه فيمضي في التفجع ويصف ما يدل على التأوه في مبالغات لا جدوى تحتها . انه يبالي ، ولكن في استعارات وكنائيات وتشابيه كما يفعل في مدحه ؛ ثم يبقى على هدوئه فيستطيع طرق الأغراض على نحو ما ترى في بعض أماديجه . ألا تعجب حينما تسمعه يرثي ابنه بقوله^٣ :

كنت عزيزاً به كثيراً ؛ وكنت صباً به ضئيلاً .
دافعت - إلا المنون - عنه والمرء لا يدفع المنونا .
يُدِير في رَجْعِهِ لساناً يمنعه الموت أن يُبَيِّنَا^٤ .

(١) يطرب ذر العقل بهذا الفصائد حتى يمتنى لو أن كل عضو في جسمه اذن حتى يسمع هذه القصائد بجميع أعضائه . الوداد تكون بفتح الواو وكسرهما وضمة .

(٢) الاغانى ١٥ : ٩٩ - ١٠٠ ؛ ديوان خ ٤٠ - ٤٣ .

(٣) ديوان خ ٣٩١ .

(٤) الرجوع : مرض الموت (راجع القاموس ٣ : ٢٨ س) . أن يبيننا : أن يفصح ، أن يقول كلاماً مفهوماً .

وكثيراً مما ورد في ديوانه في الرثاء موسوم بهذا الطابع : فمن ذلك قوله يرني
أبا نصر محمد بن حميد الطائي^١ :

أصم بك الناعي . وإن كان أسمعا : وأصبح مغنى الجود بعدك بثلثعا^٢ .
فتى . كلما ارتاد الشجاع من الردى
مقرّاً — غداة المأزق — ارتاد مصرعا^٣ .
إذا ساء يوماً في الكربة منظر^٤ — تصلاه : علماً أن سيحسن متسمعا^٥ .
فإن تُرمَ عن عمر تداني به المدى — فخائك : حتى لم تجد فيه منزعا^٦ —
فما كنت إلا السيف لاقى ضريبة^٧ — فقطعها : ثم انثني فتقطعا^٨ .

• • •

رثاء آل حميد الطوسي

اجاد ابو تمام في رثاء بني حميد الطوسي خاصة حتى كان من أمر ذلك
الرواية التي بدأنا بها هذا البحث . ونحن نرى ان رثاءه لآل حميد يختلف من سائر

(١) ديوان خ ٣٧٤ - ٣٧٥ .

(٢) ان الذي نادى بنميك (بخبر موتك) جعل الذين سمعوا صيحاً (لكون ما سمعوا منه) .

مغنى الجود : مكن الجود . بلفح : خراب . - اقضت الارض من الجود .

(٣) اذا حاول الشجاع أن يفر من المعركة الشديدة مضى هو الى تلك المعركة بقدم ثابتة وهو
مدرك أنه سيموت فيها .

(٤) هو يعلم أنه كلما كانت المعركة أشد كان ذكر الذي يخوضها في الناس أحسن . تحصل : تعرض
لنار مجسمه . أن : تخففة من « ان » (انه) . يحسن : فعل مضارع مرفوع لتجرده عن
الناصب والجازم .

(٥) ان ترم ، ان تقتل ، اذا قتلت . عمر تداني به المدى : عمر قصير . المنزع : المكان في
وتر القوس يوضع عليه السهم ثم يجذب قبل اطلاق السهم . - كانت المعركة أشد مما يستطيع
المحارب ، مهما كان شجاعاً ومقتبراً في الحرب ، أن ينجو من الموت .

(٦) لقد كنت كالسيف الذي ضرب به جسم قاس جداً ، فقطع ذلك الجسم ولكنه ارتد من شدة
الضربة على نفسه ثم انكسر .

رثائه . أليس عجيباً ألا يكون لأبي تمام في بني حميد سوى قصيدة واحدة في المديح^١ ثم يكون له في رثائهم ثمان قصائد أكثرها على قِصَر بعضها عن عيون قصائده في الرثاء^٢ ؟

يظهر أن علاقة أبي تمام بآل حميد كانت صداقة أكثر منها منفعة ؛ وكانت إعجاباً بأعمالهم وإكباراً لحيفاتهم . وقد كانوا لذلك أهلاً . وما قصيدة « كذا فليجل » سوى صورة لنفس محمد بن حميد ؛ نعرف ذلك من كتب التواريخ . روى ابن الأثير في أخبار عام ٢١٤ هـ ما يلي^٣ :

« ... كمن رجال بابل بين الصخور ؛ فلما صار رجال محمد (بن حميد الطوسي) يصعدون في الجبل . وصاروا على مقدار ثلاثة فراسخ ، انحدر بابلهم اليهم فيمن معه فانهزم الناس . فأمرهم أبو سعيد (الثغري) ومحمد بن حميد بالصبر فلم يفعلوا ، ومروا على وجوههم ، والقتل يأخذهم . وصبر محمد بن حميد مكانه وفر من كان معه غير رجل واحد . وسارا يطلبان الخلاص ، فرأى (محمد) جماعة وقتالاً ، فقصدهم فرأى الحرمية يقاتلون طائفة من أصحابه . فلما رآه الحرمية قصدوه لئلا رأوا عليه من حسن هيئته ، فقاتلهم وضربوا سيفه ؛ ثم اكبتوا عليه فقتلوه . »

هذه هي الحادثة التي استحقت الجلود في قصيدة من قصائد أبي تمام فإذا هي^٤ :
كذا فليجل الخطب ، وليقدح الأمر ؛ فليس لعين لم يفض ماؤها عذر .
ومن أجمل مقطوعات أبي تمام في الرثاء ثلاثة أبيات قالها في القائد الطائي جعفر الحياط ، هي (خ ٣٨٧) :

رَحِمَ الله جعفرأ ؛ فلقد كان (م) ن أياً ، وكان شهماً رحيماً .

(١) جمل امراء الشعر القصائد في مديح آل حميد ستاً (ص ١٧٦) ؛ ولم يذكر الدكتور

الاسود شيئاً من ذلك (ص ٣١) عند الكلام على بنو حيي أبي تمام .

(٢) ديوان خ ٣٥٨ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٣٨١ ، ٣٨٧ ، مرتين .

(٣) ابن الأثير ١ : ١٦٨ - ١٦٩ في أيام المأمون .

(٤) راجع المختارات .

مثل الموت ، بين عينيه . والد (م) ل : فكلاً رآه خطباً عظيماً .
ثم ثارت به الحمية قدماً فأما العدى : ومات كريماً !
وكثيراً ما يذهب شاعرنا الى ضرب الأمثال واستجماع الحكمة في الرثاء ،
كقوله في محمد بن الفضل الحيمري (خ ٣٥٣) :
جفّ درّ الدنيا : فقد أصبحت تك (م) نال ارواحنا بغير حساب .
لو بدت ساقراً أهيت ، ولكن شغف الناس حسنها في النيقاب .
ان ريب الزمان يحسن ان يه (م) لذي الرزايا الى ذوي الاحساب !
او قوله في رثاء ابنين لعبدالله بن طاهر ماتا في يوم واحد (خ ٣٨٠) :
ان الفجعة بالرياض ، فواضراً ، لأجل منها بالرياض ، ذوابلاً .
لحّفي على تلك الشواهد منهما لو أمهلت حتى تكون شمائلاً^٢ .
واذا رأيت من الهلال نموّه ايقنت أن سيصير بدرأ كاملاً !

• • •

لم يرث ابو تمام من الذين مدحهم الا خالد بن يزيد بن مزّيد ، واسحق بن
ابن ربيعي ، وعبد الحميد بن غالب ، والا بني حميد^٣ . وقد عزي ابا سعيد
الثغري بولد له^٤ . اما الذين رثاهم من غير هؤلاء الذين لم يمدحهم فيضعة عشر
شخصاً منهم أقارب بعض الممدوحين . ولم يرث ابو تمام المعتصم بقصيدة مستقلة ،
بل ادخل رثاءه في تهنته ابنه الواثق بالخلافة .

نمر في ديوان ابي تمام بطائفة من الأبيات رثى الشاعر بها بعض آله واخوانه ،
فإذا قرأتها لم تشك قط في أن الشاعر تسيل نفسه لوعة وأسى ، وان الاسى كان
من نفسه في قرارتها . اما رثاؤه لغيرهم فكان قسم منه يشبه ما تقدم ويشف عن

(١) الرزايا جمع رزية : المصيبة . ذوو الاحساب : اصحاب الاعمال المجيدة .

(٢) الشواهد : العلامات ، الدلائل . الشائل : الحمال ، المادات .

(٣) ديوان خ ٣٤٧ ، ٣٦٣ ، ٣٥٤ ؛ وراجع ايضاً رثاء بني حميد .

(٥) خ ٣٥١ ، ٣٧٩ ، ٣٧٧ .

عاطفة متأصلة ، وقسم منه يشف عن عاطفة مكتسبة تكاد تعرفها من قوله في رثاء
خالد بن يزيد بن يزيد :

وكنا جميعاً شريكّي عينان ، رضيعي لبان ، خليلي صفاء .
وكنّت اراه بعين الحلال وكان يراني بعين الإخاء^١ .

وكثير من شعره في الرثاء على هذا النمط ، وقد أجاد في سائر مرثيه اظهار
الأسى ، وان لم يكن يحسه احساسه في رثاء ولده الوحيد . اما انه « كان يتخذ موت
الميت سبباً ليحرب عن أحزان نفسه لأنه من أولئك الذين صاحب الحزن نفوسهم^٢ » ،
فحكم يصيب هوى من نفوس الذين تعمقوا في دراسة أبي تمام ، ولكن يعترضهم
في سبيل اعتقاد ذلك قلة الرثاء في ديوان الشاعر . ثم اذا نحن كابدنا وجاهدنا
واستشهدنا لاثبات هذا الرأي لم نخرج بغير ما ألفناه عند جميع الشعراء المداحين
الرثائين من أنهم يتصنعون الأسى أحياناً ، وكان بعضهم يعد قصائد المديح والرثاء
قبل امد ، فاذا فوجئوا بإنعام على رجل او بموته لم يحتج احدهم الا الى بضعة
أبيات فيها اسم المدح او المرثي وفيها ذكر المناسبة ... ثم لنختم هذا البحث
بقول ابن رشيق : وابو تمام من المعدودين في اجادة الرثاء^٣ .

٤ - العتاب

يختلف عتاب أبي تمام من عتاب أبي نواس^٤ ، فان ابا تمام لم يعاتب الا على
تأخر رفقته لذلك كان من المنتظر ان تكون معاتباته كلها ، على قلتها^٥ ، في الذين
مدحهم . ولكن قد شذ له عن ذلك نحو ثلاث قطع : واحدة عاتب رجلاً
فيها في نبيذ - وهو رفق ايضاً - واخرى عاتب فيها الحسن بن وهب لأنه يميل

(١) خ ٣٥٠، ٣٤٧ .

(٢) مردم ، شعراء الشام ص ٥٣ .

(٣) العمدة ٢ : ١١٩ .

(٤) ابونواس ٦٤ .

(٥) ديوان خ ٣٩٤ - ٤١٢ .

الى غلامه ، وثالثة في صديق قطعه ...

يتبع ابو تمام في عتابه طريقته في مدحه فهو فيه خشن الملمس . والعتاب يحتاج الى نعومة ؛ وهو فظ في سؤقه ، والعتاب يحتاج الى مناسبة ؛ فشاعرنا يقول مثلاً :

ابا دُلْفُ ١ ، لم يبق طالب حاجة من الناس غيري ، والمحل جديب .
يسرك اني أبنتُ عنك مخيباً ، ولم يرَ خَلَقٌ من جدّك يخيب ٢ !

ولا اظنك تجهل مقام ابي دلف من ابي تمام وقصيدته فيه « على مثلها من أربع ملاعب » . وعتاب أبو تمام القاضي أحمد بن أبي دواد بقوله ٣ :

اعلم ، وانت المرء غير معلّم ؛ وافهم - جعلت فداك - غير مفهّم .
ان اصطناع المرء ما لم تُؤلِمِ مستكملاً كالبرّد ليس بمُعَلِّم !
فعتابه ، على ما ابصرت ، منفرّ يزيد في الصّد ولا يبقى على الود ، الا ما
كان من مثل عتابه لأبي سعيد الثغري ، وهو قادر ، نحو قوله :

انما البِشْر روضة ٤ ؛ فإذا كا (م) ن يذلّ فروضة ٥ وغدير ٦ .
فاقسّم اللحظَ بيّننا ، ان في الله (م) خطّ لعنوان ما يُجِنّ الضمير ٧ .

٥ - الوعيد والهجاء

يعتاب الشاعر الممدح تذكرة بصلته واستدراراً ليديه ، فاذا قنط من فواله انقلب اليه بهجوه . الا ان نفرأمن الشعراء يميلون في أول الأمر الى الوعيد والانذار قبل ان يخطوا الى الهجاء : يفعلون ذلك في اثناء مدح او عتاب . من هذا القبيل ما

(١) راجع ديوان خ ٣٩٥ .

(٢) آب : رجع

(٣) ديوان خ ٤٠٨ .

(٤) البرد : ثوب من حرير . معام : فيه علامات او نقوش . ليس بمعلم : قليل القيمة .

(٥) البشر : البشاشة وطلاقة الوجه ، السرور بالذين نلقاهم .

(٦) جن : ستر .

انتهى به ابو تمام قصيدتين له في مدح ابي المغيث الرافقي ^١ :

وكن كريماً تجدُ كريماً في مدحه ، يا ابا المغيث .
- وغدائيتنُ كيف غيب مدائحي ان ملن لي هيممي الى بغداد .
ومن العجائب شاعرٌ ضاعت به هيماته ، او ضاع عند جواد !
اما تعريضه في اثناء العتاب فمعه : (خ ٣٩٤ : ٤٠٨)

وانك لا تسر بيوم حمد تسر به ، ومالك لا يساء .
فان المدح في الأقوام ما لم يشيعُ بالجزاء هو الهجاء .
- سأقطع ارسان العتاب بمنطق قصيرُ عِناء الفكر فيه طويلُ
وان امرأ ضنّت يداه على امرئ - بنيل يد من غيره لبخيل .
أفتشك بعد ذلك في ان هذا تحفُّزٌ للهجاء ؟

تناول الشاعر بهجائه نحو عشرين شخصاً فيهم ستة أشخاص كان قد مدحهم ؛
منهم عياش بن لهيعة ، وقد اختصه باثنتي عشرة قطعة قال واحدة منها بعد موته ؛
ومنهم ابو المغيث الرافقي هجاء بخمس مقطعات ؛ وله قطعة قطعة في مالك بن
طوق ، وصالح بن عبدالله الهاشمي واسحق بن ابراهيم المصعبي . وقيل عرض بهجاء
احد بني حميد ولم يهجه لمكان اسرته .

اصطدم ابو تمام بشعراء كثيرين في مصر وفي العراق بعضهم مشهور كدعبل
ومحمد بن ابي يزيد ، وبعضهم اقل شهرة . وهناك بضع قطع أخرى في اشخاص
مختلفين .

• • •

لا أعتقد ان ابا تمام نال بهجائه مثلاً قريباً أو بعيداً ، فبعض شعره في هذه
الناحية عادي ، وسائره أدنى مرتبة . انه لم يتبع طريقاً معروفاً يصل به الى
غايته فهو لم يعمد الى ما يترك هجاءه اعلق بالقلب وألصق بالنفس وأسرع الى الحفظ ؛

(١) ديوان خ ٩٧ ، ١٣٥ .

ولا بلغ به من الحقيقة والمرارة ما يوجع حقاً ، وان كان قد افحش وأقذع في بعضه . لذلك ترى كثيراً من هجائه اشبه بالمديح ، حتى انه لو كان مديحاً لما انحط عن شعره الراق ، تأمل ذلك في هجائه عتبة بن ابي عاصم ^١ :

دِمْنٌ تَجْمَعُ التوى في رُبْعِهَا وتفرقت فيها السحاب الفُرْقُ ^٢ .
فترقرت عيني دماً فيها الى ان خيلت مهجتي التي تترقرق .
هيمُ الفنى في الأرض اغصان المني غُرست ، وليست كل حين تورق .
فهذه من أعلى طبقات المعاني ، ولكنها لا تصلح في معرض هجاء . ومثل ذلك قوله ^٣ :

يكفيك حزناً أن عقلك ذاهب يبكي عليك ، وان جهلك يضحك !
ويندر في ديوانه مثل قوله في عياش بن لهيعة ، هجاء يطويه على تهكم صحيح ومعان قريبة وصور بارعة ^٤ :

صدق مقالته ان قال ، مجتهداً : « لاوالرغيف ! فذاك البرُّ من قسميه ^٥ .
وان هممت به فافتيتك بخبزته ؛ فانها قطعة من لحمه ودمه .
قد كان يعجبني ، لو ان غيرته على جرّادقه كانت على حرمة ^٦ !
هذه احدى نواحي هجاء ابي تمام لأن له في الاقذاع بضاعة غير قليلة ^٧ ،
ولكن هذه البضاعة ليست في الدواوين التي بين ايدينا فقد أغفل الخياط ما يحس

(١) ديوان خ ٤٩٩ .

(٢) « اماكن كثر فراق اهلها مرة بعد مرة منذ زمن طويل .. »

(٣) ديوان خ ٥٠١ .

(٤) ديوان خ ٥٠٦ .

(٥) البر (بالضم) : القمح . يقول : عياش بن لهيعة يقدر البر (القمح ، الطعام) قدراً عظيماً ويقدره حتى أنه يضم به .

(٦) البردقة : الرغيف . الحرم يضم ففتح جمع حرمة بالضم : الاهل ، الزوجة ، المرأة ...

(٧) لقد غفل الخياط فأنبت في نسخته أبياتاً تلحح فيها الاقذاع لمحا لاشك فيه . راجع ص ٤٨٦ ص ٤٧٠ ،

٤٨٨ و ٤٩٥ هجاء عبادة الكاتب ٤ ٢٩٣ ص ١٥ - ١٨ ،

الآداب ١ ، وكذلك لا نطمع ان نراها في شرح ديوان ابى تمام ٢ .

٦ - الوصف

يجب ان نقسم هذا البحث قسمين : الوصف الحاصل اي الذي قيل في الوصف خاصة ، والوصف الذي جاء في اثناء المديح . ثم يجب ان نعلم ان باب المديح وان اسلوب ابى تمام فيه يغلبان على كل باب من ابواب الديوان .

تجيش نفس ابى تمام بصورة من صور الطبيعة او بمشهد من مشاهد الاجتماع فلا يكاد وصف ذلك يخرج من فيه الا مقيداً بالصناعة اللفظية ، ممزوجاً بعناصر من الشكوى والفخر وما اليهما ؛ فوصفه هنا حقيقة ولكن بلا ألوان جذابة ولا صدق في النقل عن الطبيعة . فمن ذلك قوله في غمامة ممطرة ٣ :

كالشيمة ألتفتت على النقيب ،	أخذت بطاعة الجنوب ٤ .
لما بدت للأرض من قريب	تشوقت لوبلها السكوب ٥
تشوق ١ المريض للطبيب ،	وطرب المحب للحبيب ؛
لذيذة الريق مع الصبيب ،	كأنما تهمني على القلوب ٦

(١) ديوان ٤٨٥ .

(٢) للدكتور ، الاسود ، راجع ص ٣١ ؛ ولم يصل طبع ديوان ابى تمام بعد الى باب الهجاء .

(٣) ديوان خ ٤١٤ .

(٤) الشيعة : أتباع مذهب اسلامي يقال له المذهب الامامي أو المذهب الاثنا عشري . يرى الشيعة أن الامام علياً ، كرم الله وجهه ، كان يجب أن يكون الخليفة الاول بعد الرسول مباشرة وأن تستمر الخلافة بعده في عقبه . وهم يجعلون هذا الرأي أصلاً من أصول المذهب . النقيب : نقيب الاشراف العلويين : منصب أحدث في العصر العباسي ، وصاحبه هو الرئيس الديني للشيعة (يريد أن يقول : ان هذه الشيعة متراكمة كثيفة مجتمعة كما يجتمع الشيعة حول نقيبهم) . أخذت بطاعة الجنوب : مطيعة للريح الحاية من الجنوب ومتجهة من الجنوب الى الشمال (ملقوة بالمطر) .

(٥) تشوق : اشتاق ، مال برغبة شديدة . وربما كانت الكلمة « تشوف » : تطلع وتطاول لينظر . الويل : المطر الغزير . السكوب : المنصب باستمرار .

(٦) لذيدة الريق : طيبة (تشربها الارض بسرعة مع الصبيب : مع كثرة انصبابها وهطولها =

أما النوع الثاني فصور بلا حقيقة أبدع فيها الشاعر ليحا رقشها به من الجناس أو الطباق وبعيد التشبيه أو قريب الاستعارة تبعاً للقصيدة التي استقرت فيها، كوصف لحرر أو وصف القلم خاصة فإن فيه شيئاً من الحقيقة في كثير من بعيد الخيال ولطيف التجنيس .

وأما الأوصاف التي يجيدها شاعرنا فأوصاف المعارك والحروب . هناك تشعر حقيقة أن شعور أبي تمام يغمرك ويستولي عليك فتتصل نفسك بنفسه . ولا بدع أن وصف أبو تمام معركة عمورية وأجاد، فلقد شاهدها بنفسه . وإذا قرأت له وصفه الخيل في الحرب ^١ :

وإذا كان عارض الموت سحاً	خضلاً بالردى أجشاً هزيماً ^٢ ،
في ضرام من الوغى واشتعال	نحسب الجحوم منها محموماً ،
واكتست ضمير الجياد المذاكي	من لباس الهيجا دماً وحميماً ^٣
في مكر تلوكها الحرب فيه :	وهي مفورة تلوك الشكيماً ^٤

== (لأن الأرض عطشى محتاجة إلى المطر) . كأنما تهني (تسقط) على القلوب : تدخل الاطشنان على القلوب لثقة القلوب بأن تلك الغيمة ستقضي على الفحط وتأتي بالخصب .

(١) ديوان خ ٢٩٣ .

(٢) العارض : السحاب المقليل . عارض الموت : هول المعركة . سحاً : غزيراً متصلاً (شديداً) . خضلاً : مبتلاً (المعركة تحمل معها موتاً أكيداً للذين فيها) أجش : خشن الصوت (ذو رعد قوى == يدخل الرعب على القلوب) . الهزيم : صوت الرعد الشديد الذي ينبجس معه المطر من الغيم (يقصد : هذه المعركة تحمل إلى المحاربين الخوف الشديد مع الموت الأكيد) .

(٣) الجياد جمع جواد : الحصان . الضمر جمع ضامر : التخليل الحصر ، وفي القاموس (٢ : ٧٦) الضامر : الفرس الدقيق الحاجبين . المذاكي من الخيل التي أتى عليها بعد قروحها (بعد جراحها التي أصيبت بها في المعارك) سنة أو سنتان (كناية عن اعتبارها في الحرب) . الحميم : الماء الحار (العرق المتصبب من الخيل) .

(٤) مكر : مجال الهجوم في المعركة . تلوكها الحرب فيه : تملكها (الخيل تحارب في مكان ضيق والسلاح يعمل فيها تقطيعاً فكان الحرب تملك المتحاربين بأضرارها) . مفورة : منشقة على نفسها (لضيق المكان) . تلوك الشكيم : تملك (تمض على) الشكيم (الحديدية التي في طرف النجاشم والتي تكون في فم الحصان) كناية عن التمسك والشدة في القتال .

ايقت انك ترى تلك الجياد تخوض الغمار امام عينيك وقد ضاقت حومة
الوغي بالفرسان وصبر الفريقان ، والموت يتناول الأبطال غير آبه للنتيجة !..

وصف القلم

من قصيدة يمدح ابو تمام فيها محمد بن عبد الملك الزيات^١ :
لك القلمُ الأعلى . الذي بشيانه

نُصاب ، من الأمر ، الكلّي والمفاصل^٢ .
لُعابُ الأفاعي القاتلاتِ لُعابُهُ ،

وأرْيُ الجنى أشتارتهُ ايدٍ عواسل^٣ .
له ريقة طلُّ ، ولكنَّ وقعها ،

بآثاره في الشرق والغرب ، وابل^٤ .
فصيحٌ اذا استنطقته وهو راكب* ؛

واعجمُ ان مخاطبته وهو راجل .
اذا ما امتطى الخمسَ اللطافَ ، وأفرغت

عليه شعابُ الفكر وهي حوافل^٥ ،
اطاعته اطرافُ القنا ؛ ونسقوت

لنجواه ، تفويضَ الحيام ، الجحافل^٦ .

(١) راجع صرخ ٢٥٧-٢٥٨ (٢) الشبابة ؛ الحد ؛ اصاب الكلّ والمفاصل ؛ احكم الاصابة .

(٣) اللعاب ؛ الريق ؛ الاروي ؛ العسل ؛ الجنى ؛ القطف او ما يقطف ؛ اشتار ؛ استخرج

العسل خاصة ؛ العواسل ؛ المستخرجة للعسل - ان قلعت ينغث مرة سماً ، مرة يأتي بالشهد والعسل .

(٤) ريقه طل ؛ قليل الرطوبة (بالخير) ولكن اثره وابل (مطر شديد) .

(٥) اذا ركب الاصابع (تناولته الاصابع) كان فصيحاً (كتب الانسان ؛ ونظم الشعر الخ)

(٦) صورة لتناول القلم بالاصابع وتراحم الافكار في رأس الاديب وهو يكتب .

(٧) الاوامر التي تصدر مكتوبة الى الافاق تطيحها الرياح (تبدأ الحرب او تنتهي) ، وبها تنقوض

(تنهزم) الجحافل (الجيوش) .

إذا استعززَ الذهنَ الذكيَّ واقبلت أعاليه ، في القرطاس ، وهي أسافل^١ :
وقد رغدته الحنُصران ، وسددت ثلاثَ نواحيه الثلاثُ الأنامل^٢ .
رأيتَ جليلاً شأنه ، وهو مُرهَفٌ ضَنَى ؛ وسمينا خطبُه وهو ناحل^٣ .

٧ - الغزل والنسيب^٤ :

لا ريب في أن هذا الباب في ديوان أبي تمام أدنى فتونه مرتبة عن مستوى مديحه ، « ولم يكن لأبي تمام حلاوة توجب له حسن الغزل ، وإنما يقع له النافه البسير في خلال القصائد »^٥ لما علمت من خصائصه واسلوبه . وإذا كانت الصنعة قد اكتسبت مديحه فخامة وإصابة مرمى قائمها قد أفسدت وصفه وغزله ونسيبه . وسواء غلبت عليك أو رأيت غزله البحت أو غزله في ثنايا المديح . قائمها الذي يروعك منه تلك التشابيه والاستعارات التي قنص بها معانيه الغريبة ، أما العاطفة فلا . وأحسن الغزل ما أثار العاطفة لا ما أجهد العقل .

• • •

لأبي تمام غزلان : مؤنث يكاد يقصره على مطالع قصائده في المديح ؛ ومذكر لا تكاد ترى سواه في باب الغزل عنده . فهو اذن ، أن تكلف الغزل أتى به مؤنثاً نقبح الغزل المذكور في المدائح ؛ وإن جرى على هواه أكثر من الغزل المذكور حتى تنكر أن يكون سبيله غير ذلك . وكيفما قلبت في غزله الخالص فلا ترى فيه سوى شهوة تحرقه يودُّ أن لو يطفئها عند كل حبيب . وكل عزة نفس في حياته العامة وفي مديحه يضيعها في حياته الخاصة وفي غزله . لم يُعرف أبو تمام بحبيبة لها اسم معين ولا عُرِفَتْ له من لها اسم معين . وكذلك

(١) إذا استعان القلم بالذهن ثم انحى على الورق .

(٢) رغد : سدد .

(٣) رأيت أمره عظيماً مع أنه هو قصبة دقيقة (رغبة من السقم) .

(٤) راجع الفرق بين الغزل والنسيب في « أبو نواس » لمؤلف (منشورات الشرق الجديد ،

إعلام الفكر العربي ، رقم ٤) ص ١٣٦ .

(٥) العمدة ٢ : ٩٥ .

نجد في غزله المذكور بضعة أسماء له نحو أصحابها عاطفة عارضة لا تلبث أن تستقر حتى تستقل ثائرة تبحث عن هو جديد .

أما نسيبه ، أو غزله أيضاً ، في أثناء أبيات المديح فيجب ألا نشك ساعة في أنه صناعة أكثر منه عاطفة^١ ؛ وإن كان يستهويك كقوله^٢ :

الهابات امرأً عزيمته بالسحر ، والنافثات في عقد ه^٣ .
ليسن ظليين : ظل آمن من الدهر ، وظلاً من هو وده^٤ .

أو قوله^٥ :

— كأن الدمع ينثر من نظام على تلك المحاجر والحدود^٦ .
تريدين المزيد ؛ وليس عندي —

وراء محل حبك — من مزيد !

ومع أنه لم يحسن النسيب فقد أحسن التخلص منه إلى المديح أحياناً .
وإذا كانت اخلاق أبي تمام على ما ذكرنا فمن البديهي أن يكون له منجون ،
سوى أن ناشري ديوانه قد أهملوا ذلك البتة^٧ .

نموذج من غزله

لا آكلُ التفاح ، عمري ، ولو جنيت لي من جنان الحلود^٨ .

(١) ديوان خ ٩١ .

(٢) النافثات في العقد : الساحرات . كانت الساحرة تمسك خيطاً بيدها وتثنى ما تشاء أن يصيب المسحور من ضرر ثم تمقد في الخيط عند كل أمنية لها عقدة وتنثف فيها (وتنفخ عليها) .
راجع القرآن الكريم أيضاً (سورة الفلق ، السورة ١١٣) .

(٣) الدد : اللب .

(٤) ديوان خ ١٠٨ .

(٥) يشبه الدموع المتحدرة على الخدين كالؤلؤ الذي ينتثر إذا انقطع النظام (الخيط الذي يسلك فيه اللؤلؤ) . المحجر (موضع العين في الوجه) .

(٦) ديوان خ ٤٨٥ .

والله لا أتركه للقلبي ؛ لكنني أتركه للخلود !

• • •

عَفَّتْ محاسنه عندي ^١ إساءته ، حتى لقد حَسُنْتُ عندي مساويه .
هذا مُحِيبُك أدنى الشوق مهجته ؛ فكيف تُنكر ان تَدْمى مآقيه ؟

• • •

اي شيء يكونُ احسنَ من صبِ اديبٍ مُتَيَّمٍ بأديب ؟
كادَ ان يكتُبَ الهوى بين عيني « كتاباً : « هذا حبيبٌ حبيب ! »
غيرَ أني لو كُنْتُ اعشَقْتُ نفسي لتَنَغَّصْتُ عيشها بالرقيب .

• • •

قد قَصَرْنَا دونكَ الابصارَ خوفاً ان تَذُوبَا .
كلما زِدْنَاكَ لحظاً زِدْنَا حُسناً وطياً .
مرضتُ الحَاظُ عيني لك فأمرضتُ القلوبَا .
ما نُريدُ الشمسَ والبد ر اذا كنت قريبا ؟

• • •

اجعلني في الكرى لعيني نصيباً ، كي تنالَ المكروهَ والمحجوبَا .
أشركي بين دمعِ عيني ونومي ، واجع لي من الرُقَاد نصيباً .
كُنْتُ أهوى البيضَ الحسانَ ، فقد اصبح حُبِّي عن غيرها محجوبَا .
قربتها المني ، وباعدتها النأي ، فأضحت مني بعيداً قريبا .
ان تكن مقلتي ، اذا غبتِ ، تستر لي عليها الدموعُ (حتى تؤوبَا) .
فلكم نظرة ، تُسرَّ بها من لك ، لها روعةٌ تشقُ القلوبَا .

(١) في كتاب الزهرة (ص ٥٤) : عمت محاسنه عني .

(٢) حبيب الاول : محبوب ؛ والثانية اسم ابي تمام .

الحكمة :

كَوْنُ حِكْمَةٍ أَبِي تَمَامٍ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ :

أ - علمه وسعة اطلاعه ،

ب - كثرة تجواله ،

ج - الثقافة الراهنة .

فأما علمه وسعة اطلاعه فقد مكّنه من أن يحيل فكره في تراث الأولين وآراء الشعراء فيستخرج أحسنها ، أو يصقل بعضها أو يشتق منها نواحي جديدة . من أجل ذلك اتهمه الأمدي بسرقات كثيرة ^١ . والحق أن أبا تمام حاول أن يزيد هذه المعاني التي أخذها إما بالغوص على أوجهها ، أو بكسوتها من الصنعة حلة مجيدة ، وقد احسن في كثير منها : وبعض حكم أبي تمام تجري مجرى الأمثال . ولعلّ الأبيات التي تضرب أمثالا من شعر أبي تمام لا تقل في عددها عن الأبيات التي تضرب أمثالا من حكم المتنبي ^٢ ، مع العلم بأن أبيات المتنبي الحكيمة أشهر في الآفاق وأسير على الألسنة . ومع أن أبا تمام لم يعيش سوى ثلاث وأربعين سنة قمرية (١٨٨ - ٢٣١ هـ) ، فإنه بلغ من النضج مبلغاً عظيماً مما جعل حكمه تقع موقع الصواب وترزق شيئاً من السيرة على الألسن . فمن حكمه الجياد المشهورة :

واذا تأملت البلاد رأيتها	تُثري كما تُثري الرجال وتُعدم .
- فلم يجتمع شرف وغرب لقاصد ،	ولا المجد - في كف امرئ - والdraهم .
- لاشيء ضائر عاشق ؛ فاذا نأى	عنه الحبيب فكل شيء ضائره .
- اني تأملت النوى فوجدتها	سيفاً على صبر الهوى مسلولا .
- ما ابيض وجه المرء في طلب الغنى	حتى يسود وجهه في اليد .
- ومما كانت الحكماء قالت	لما ان المرء من خدم السفود .

(١) الموازنة ص ٢٣ - ٥٤ ، راجع ص ٤٧ .

(٢) راجع اعيان الشيعة ١٩ : ٢١٣ . وقد جرد محسن الأمين عدداً كبيراً من حكم أبي تمام وأمثاله

(اعيان الشيعة ١٩ : ٢١٤ - ٢٣٠) .

- وقد تألفُ العين الدجي وهو قيدها .
- لا تنكري عطّل الكريم من الغنى
- وزعمت ان الرزق يطلب اهله
- اذا عُنيت بشأو قلت اني قد
- ما آب من آب لم يظفر بحاجته .
- ويرجى شفاء السم والسم قاتل .
- فالسيل حرب للمكان العالي .
- لكن بحيلة مُتعب مكدود .
- ادركته ادركتني حرفة الأدب .
- ولم يغب طالب بالنجع لم يحب .

ولا ريب أبداً في أن هذا النوع اعلى انواع حكمه، وأي حكمة تبلغ في اصابة المرمى وسهولة التعبير إلى قوله :

نقلُ فؤادك حيث شئت من الهوى ؛ ما الحب الا للحبيب الأول !
 كم منزل في الأرض يألفه الفتى ، وحينئذ ابدأ لأول منزل .
 فهذه تستحق ان تسير على وجه الدهر ، اذا استعملنا تعبير ابن رشيق . واما حكمه المستمدة من الثقافة الراهنة فكثيرة الصنعة كثيرة التكلف بعيدة عن اسس « المثل السائر » . لا يفهمها الا النحاة ، أو الفقهاء ، أو العلماء أو الفلاسفة . ومن أجل ذلك ايضاً كان يُتهم بقول ما لا يفهم كقوله في الحمر مضمناً اشارة نحوية :

خرقاءُ يلعب بالعقول حبّابها كتلاعب الأفعال بالاسماء .
 وقوله في العطاء ، وفيه إشارة الى آي من القرآن الكريم ١ :
 الود للقريبى ، ولكن عُرِفهُ للأبعد الأوطان دون الاقرب .

وعندي ان هذه لا تدعى حكمة ولكنها مجازاة لزم من شهد الثقافات المختلفة من عربية اسلامية او فارسية ويونانية وهندية فأراد ان يقيد معرفته لها بأبيات شعره ؛ فكان يضربها أمثالا ، ولكنه لم يصب دائماً .

غير ان من أحسن اقواله في الحكم واختراعه في المعنى قوله الذي اكتسبه من اختبار الحاصل لا من الثقافات الشائعة ، والذي ساقه في ألفاظ فصيحة

(١) الشورى (٤٣) ؛ ٢٣ ؛ البقرة (٢) : ٨٣ ، ١٧٧ ، النساء (٤) ٣٦ : وغير هذه .

وتراكيب سهلة جداً ، بالإضافة الى أسلوبه العام ، فأكسبه بذلك سيرورة على الألسن :

— وإذا أراد الله نشرَ فضيلةٍ
لولا اشتعال النار فيما جاورت
— وطول مُقام المرء في الحي مُخلق
فأني رأيت الشمس زيدت محبة
— لا تنكري عطش الكريم من الغنى .

فالسيل حرب للمكان العالي .
وتنظري حَبَّ الركاب ينصّها
— ليس الغني بسيد في قومه ،
— سكن الكيد فيه ، إن من أء
— وإذا رأيت من الهلال نموه
— ينال الفنى من عيشه وهو جاهل ،
ولو كانت الأرزاق تأتي على الحجي
— أولى البرية حقاً أن تؤاسيه

(١) العود خشب ذكي الرائحة (له رائحة طيبة شديدة) .

(٢) راجع شرح البيتين في المختارات .

(٣) لا تستعري أن يكون الكريم فقيراً ، فان السيل يجرّد رؤوس الجبال من التراب ويجمع ذلك

التراب في الاودية (شبه الرجل الكريم بالجيل العالي بين قومه وبين الناس ، ثم شبه السائلين

وعالبي الحاجات بالسيل لكثرةهم وتتابعهم) . ولكن انتظري الفنى لي ولك حينما تحب

(تركض) بي الركاب (الابل) ينصّها : يجهدّها في السير والسفر . محيي القريض : باعث

الشعر (أقدر الشعراء ، يقصد الشاعر نفسه) . محيت المال : باذل المال بكثرة (أكرم الكرماء) .

(٤) المتغابي : المتظاهر بالنباء وهو شديد الذكاء .

(٥) الارب (بكسر الحزرة وسكون الراء) : الدهاء .

(٦) يكدى : يفتقر .

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم في الوطن الحشِين^١ .

وبدا الجرجاني مقدمته في كتاب « الوساطة » بالكلام على التنافس والتحاسد والتحامل فلم ينكرها ، بل عدها من أسباب ما يكشف عن الفضل ويلفت النظر اليه . ثم ذكر قول ابي تمام — من غير ان يذكر أبا تمام — :

وإذا اراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود !

واتبع هذا البيت بقوله : « صدق ، والله ، وأحسن ! »

ثم علق على هذا كله بسبعة أسطر شرح فيها المعاني التي تدور في فلك هذا الموضوع والتي أوجزها ابو تمام كلها في بيت واحد^٢ .

الزهد

كان الشاعر احياناً — أما في العصور المتأخرة فدائماً — ينظم في ابواب الشعر من جميع ابحره وعلى جميع قوافيه . فاذا رأينا زهداً لأبي تمام فليس معنى ذلك انه تزهد ، فهو لم يبلغ السن التي تلجىء الانسان الى أن يحاسب نفسه على اعماله السالفة ، فقد مات في أوائل كهولته او في اواسطها على اكبر تقدير . ولم نعلم عارضاً اتفق لأبي تمام يدفعه الى الزهد كما كان شأن ابي نواس . وليس لأبي تمام في هذا الباب جيد ولا جديد .

وأما الأبيات الستة والأربعون التي اثبتتها الحياط^٣ فهي ركيكة جداً لا يعقل ان تصدر عن مثل ابي تمام كقوله (ديوان خ ٤٨٣) :

وأخلص^{*} لدين الله صدرأ ونية ، فان الذي تخفيه يوماً سيظهر .
فلا بد يوماً ان تصبح لحفرة بأثناها تطوى الى يوم تنشر .

(١) الوطن الحسن : أيام الضيق والفقر .

(٢) الوساطة ١ .

(٣) ديوان خ ٤٨٢ - ٤٨٤ .

ومن كلام أبي تمام على كهولته ^١ وانتشار الشيب في رأسه ^٢ مما دعا الغواني الى
النفرة من بعد طول الانس ^٣ :

جرت في قلوب الغانيات لشيبيتي قشعريرة من بعد لين وليناس .

نرى انه قال هذه الابيات القليلة في أواخر ايامه ، وان كان اسلوبها يدل على
انها يجب ان تكون من أول عهده بمعاينة الشعر . على ان الذي لا شك فيه ان
اسلوب هذه الابيات ركيك جداً بعيدة عن اسلوبه في آخر حياته الأدبية وفي
مطلعها .

• • •

هذا مجمل ما يمكن ان يقال في شاعر ملأ عصره ، وترك بعده دويماً : شاعري
مثل الاسلام والقومية أجمل تمثيل ، ووقف ديوانه على جلو عظمتها الحق في
شعر متين .

حقّ لشعر ابي تمام ان يُحبّ فهو شعر مملوء بالمعاني ، مزدحم بالصور
الجميلة ، مرصوف رصفاً متقناً يدل على براعة لم يظفر بها كل شاعر ، بل لم
يظفر بها احد سوى حبيب بن اوس . انك لا تجد قصائد ابي تمام مزجاة ترفض
اياتاً جوفاء عن معان تافهة ، ولا اصواتاً مختلفة عن افكار غير مؤلفة .

قد لا يطيب لك ان نحمل ديوان ابي تمام في نزهك ، او ان تقرأ منه في
سمرك ؛ ولكن اذا اعتزلت ضوضاء العالم ، وترفعت عن سفساف السوق ،
ومحاذر الجهال ثم اردت ديوان شعر تُسرح طرفك في ابياته وفكرك في ارجائه
فليس لك الا بضعة دواوين ، احدها — وقد يكون اعظمها شأنًا في ذلك — ديوان
ابي تمام .

(١) ديوان خ ٣٨٤ ، البيت ١٥ .

(٢) ديوان خ ٤٨٣ البيت ١٤٠٧٠٥ .

(٣) ديوان خ ٤٨٣ .

قد بأنف بعض الناس من مجالسة السوق والشُّطَار والعيَّارين كي يميز نفسه منهم
امام الناس ولكنه يشركهم في كل ما يميلون اليه من لُهو وحديث وقصص . فهو
من أجل ذلك على الحقيقة منهم ، تربطه بهم آصرة الذوق . وتلفه ببيعتهم علاقة
النشأة الأولى . ومن الناس من لا يستسيغ شعر أبي تمام واضرابه احتجاجاً بصعوبته
وتعقيده ؛ ولو نسب ذلك الى تنافر الفطرة ومعاصرة الفكرة لكان قوله أقرب الى
الصواب ، وأجدر بالاعتبار .

مَخَارَاتُ مِنْ شِعْرِهِ

مديح عبد الله بن طاهر

تولى عبد الله بن طاهر الشام للمأمون (٢٠٥ - ٢٠٧ هـ) ثم تولى الري (٢٠٧ هـ) . وفي الخامس من المحرم من سنة ٢١١ (١٧ - ٤ - ٨٢٦ م) تولى مصر الى أن عينه المأمون على خراسان في رجب سنة ٢١٣ (خريف ٨٢٨) . ولما اشتدت ثورة بابك الحارمي ، وجه المأمون عبد الله بن طاهر الى قتال بابك (٢١٤ هـ) .

ويبدو أن هذه القصيدة كانت أول قصيدة مدح أبو تمام بها عبد الله ابن طاهر (خ ٤٣ - ٤٦ ، ت ١ : ٢١٣ - ٢٣٩) :
أهْنُ عَوَادِي يَوْسُفٍ وَصَوَاحِبُهُ ! فَعَزَّزْماً ! فَقِيْماً أَدْرِكُ السُّؤَالَ طَالِبُهُ ١ .

(١) انعواضي جمع عادية : العدو ، المعتدى ، المبتدىء بالعداوة . والعدى والعادية في القاموس (٤ : ٣٦٠ ، الطر الثالث) : جماعة القوم يعدون (بفتح الباء وسكون العين : يركضون يسرعون) لقتال ، أو أول من يعمل (يهجم) من الرجال . يوسف : يوسف بن يعقوب ، والاشارة الى يوسف هنا وقعت على ما ورد من قصة يوسف في القرآن الكريم (السورة الثانية عشرة) . الصواحب جمع صاحبة : الصديقة ، المحبة ، المتحبة . عزما : ثباتاً على ما تطلب ا قدماً : في الزمن القديم ، طالما . السؤل : المطلب . - يقول : هؤلاء اللواتي يتعرضن لي (من مصائب الدهر ومغرياته) يشبهن عواضي يوسف (عدواته على الحقيقة) وصواحيبه (المتحبيات اليه ، وهن في الواقع أيضاً عدوات له ، لأنهن يردن منه ما يفضب الله) . -

إذا المرء لم يستخلص الحزم نفسه
أعاذني ، ما أحسن الليل مركباً !
ذريني وأهوال الزمان ، أفا لها
ألم تعلمي أن الزماع على السرى
دعيني على أخلاقي الصم للشي
فإن الحسام الهندواني إنما
وقلقل نأي من خراسان جأشها
فذروته للحادثات وغاربه^١
وأحسن منه في الملمات راكبه^٢
فأهواله العظمى تليها رغائبه^٣
أخو النجح عند الحادثات وصاحبه^٤
هي الوفر ، أوسرب ترن نوادبه^٥
خشونته ما لم تفلل مضاربه^٦
فقلت : أطمئني ، أنصر الروض عازبه^٧

— والحزمة في أول البيت زائدة وليست للاستفهام . فاصبر فقد طالما أدرك الصابرون المثابرون
من أولي الحزم ما كانوا يطلبون .

(١) استخلص الرجل الحزم : بت في الأمور بعزيمة وحكمة معاً . فذروته (رأسه) للحادثات
(للمصائب) وغاربه (كتفه) : فإن أمره جميعاً سيؤول إلى الخيبة وسيؤدي به ذلك إلى
التلف والهلاك .

(٢) العاذلة : التي تلوم الإنسان على فعل لا يرغبها . ما أحسن الليل — مركباً : ما أشق (أصعب)
السفر في الليل (كناية عن الزمن الشديد القاسي) . الملمات : الاحداث الشديدة والمصائب .

(٣) ذريني (دعيني ، أتركيني) وأهوال الزمان (مع أهوال الزمان) أفا لها (أقاتلها وأقتلها : أتغلب
عليها واحداً بعد واحد) . تليها : تتبعها . الرغائب جمع رغبة : الأمر المرغوب فيه .

(٤) الزماع (بفتح الزاي وكسرهما) : المضاع في الأمر . والزماع (بفتح الزاي) : الشجاع الجيد
الرأي المتقدم على الأمور . أخو النجح وصاحبه : الذي ينجح .

(٥) الأخلاق الصم هي التي لا تسمع قول العاذل واللائم . التي هي : حتى أنال التي هي
الوفر : الغنى . سرب ترن نوادبه : جياحة النساء يبكين في المنام (الموت) . — ساصم سمعي
عن كل لوم حتى أنال الغنى الذي أطلب أو أهلك .

(٦) خشونة السيف : مضاربه وشدة الضرب به (القطع والقتل) . تفلل مضاربه : يتشقق حده
فلا يقطع كما ينتظر من السيف . — أتركيني أقاسي الأهوال في السعي إلى الغنى والمجد ما دمت
شاهباً (كالسيف الذي لم يتشقق حده بعد) .

(٧) قلقل نأي من خراسان جأشها : أقلق بعد خراسان قلب (امرأتي ، أو عاذلتي الشفيقة علي) .
فقلت لها : اطمئني ، أنصر الروض (أحسنه وأكثره عشباً = أكثر تكسباً للآل بالشعر)
عازبة (البعيد عن المرضي لأنه لا يذهب إليه أناس كثيرون بقطعاتهم — لا يذهب إليه شعراء
كثيرون) .

وركب كأطراف الأستة عرسوا
 لأمرهم عليهم أن تنيم صدورهم ،
 على كل رواد الملاط تهدمت
 رعته الفيافي بعدما كان حقبه
 فأضحى الفلا قد جد في برّي تحضيه
 فكم جدع واد جب ذروة غارب ،
 على مثلها ، والليل تسطو غياهبه ١
 وليس عليهم أن تنيم عواقبه ٢ ،
 عريكته العليا وانضم حالبه ٣ ،
 رعاها وماء الروض ينهل ساكه ٤ ،
 وكان زمانا قبل ذاك يلاعبه ٥ ،
 وبالأمس كانت أتمكته مذانبه ٦

• • •

- (١) الركب : الجماعة المسافرين معاً . أطراف الاستة : اتصال الرماح (الحديدية التي في رأس الرمح) .
 عرسوا : قضوا الليل . على مثلها : على (ابل) مثل (أطراف الاستة) . تسطو غياهبه :
 يشتد سواده فيغطي على كل شيء . - كنا نحولاً من طول السفر ومشاقه ، ومع ذلك فقد كنا
 نقضي الليل على ظهور الابل (بدلاً من أن نزل مرة بعد مرة لننام ونأخذ قسطاً من الراحة -
 كان سفرنا متصلاً) ، وكذلك كانت الابل التي ركبها نحيلة من طول السفر ومشاقه .
 (٢) صدورهم : أوائله . عواقبه : نهايته ، الغاية منه . - كنا في سفرنا الشاق نقصد أن نحقق
 هدفاً ، ولكننا لن نلام إذا لم يتحقق ذلك الهدف .
 (٣) رواد الملاط : متحرك أعلى الكتف ذات اليمين وذات الشمال في السير (وذلك من صفات
 الابل) . تهدمت عريكته العليا : انخفض سنامه وذاب من السفر والتعب . وانضم حالبه ،
 يقصد : انضم حالباه : قرب أحدهما من الآخر (كناية عن التحول والهبوط) . والحالب
 عرق في جانب البطن .
 (٤) رعته الفيافي : اهزله السفر في الفيافي (القفار والأراضي الخالية) فكأن الفيافي أكلت
 لحمه . الحقبية : المدة من الزمن . رعاها وماء الروض ينهل ساكه (يكثر فيه المطر) ،
 بعد أن كان قد رعى العشب في الأماكن المخصصة فسم .
 (٥) وقد جدت الصحارى (لطول هذا السفر) في تلويب نحض (لحم) هذا الجمل . يلاعب :
 يلعب فيه ويرتع (كان هذا الجمل من قبل يلاعب العشب في ذلك الروض لأنه كان شعبان
 لا يحتاج إلى أكل ذلك العشب ، ثم هو مرتاح لايسافر أحد عليه ، فكان يقضي وقته في ذلك
 الروض يلاعب عشب .
 (٦) جدع الوادي : منحطه ، طرفة . جب : قطع ، قص قطعة من الشيء . أتمك : أسمن . المذانب =

اليك جزءاً عنّا مغرباً الملك ، كلما
فلو أن سيراً رُمته فاستطعته
الى ملك لم يلق كل كل بأسه
الى سالب الجبار بيضة ملكه ،
وأي مرام عنه يعدلون ياطه
وقد قرب المرمى البعيد رجاؤه ،
وسطناً ملأ صلت عليك سباسبه .
- لصاحبنا شوقاً اليك - مغاربه .
على ملك ، إلا وللذل جانبه .
وآمله ، غادر عليه ، فسالبه .
عدا أو تقل الناعجات أخاشبه .
وسهل الأرض العزاز كتائبه .

= جمع مذنب (بكسر الميم وفتح النون) : سيل الماء . - رب سفر من طرف من
واد (غوف) الى طرف آخر يهزل جملاً كان بالامس قد سمن من غصب هذا الوادي .
ما يذهبط أن أبا تمام قد كرر معنى واحداً في بضعة أبيات .

(١) جزع : قطع . مغرب الملك : الاقطار الغربية من الخلافة العباسية ، بلاد الشام في الاكثر .
وسطناً : أصبحنا في وسط ، وصلنا الى . ملا : الارض الواسعة . السبب : الارض
القاحلة . صلت عليك سباسبه : شكرتك الاراضي التي كانت سباسب ثم أصبحت بفضلك عامرة .
(٢) لو كانت الاراضي تستطيع أن تسير لرافقتنا أراضي المغرب وجاءت معنا اليك الى المشرق
لما سبق من احسانك اليها (كان عبد الله بن طاهر والياً على الشام وعلى مصر أيضاً - راجع
مقدمة القصيدة) .

(٣) الكلكل : الصدر . بأسه : بطشه .

(٤) الجبار : الملك العظيم . بيضة ملكه : عاصمة بلاده . والبيضة كل شيء يدافع صاحبه عنه .
آمله : الشخص الذي يأتي اليه يطلب معونة . غادر : آت باكراً (اذا جاء باكراً) . سالبه :
مستول على أمواله . - انه بقوة وبطشه يسلب الملوك مالهم ، ثم هو حلیم كريم اذا
جاءه في الصباح الباكر شخص عادي يطلب منه معونة يسيرة أعطاه كل ما يملك (فكانه
سلبه كل شيء يملكه) .

(٥) المرام : المراد ، الغاية ، الهدف . يعدو بالشيء : يتجاوز به عن قصده ، يصرفه عن قصده .
النياط : العلائق . تقل : تقطع ، وهنا معناها : تذلل . الناعجات : النياق السراع .
الاخاشب جمع أششب : الارض الغليظة . - ليس (في الارض) مرام تقوم دونه الموائق ،
أو تهلك الايل قبل أن تصل اليه يمكن أن يصرفنا عن البلوغ اليه (جميع أنواع الموائق ،
بعد المكان ووهدة الطريق وسوى ذلك لا يمكن أن يصرفنا عن زيارة عبد الله بن طاهر لمده) .
(٦) العزاز : الصلب من الارض . الكتائب (هنا) : الجيوش . - رجاؤه (الثقة بكرمه)
قد قرب علينا كل بعيد ، كما أن جيوشه كانت قد ملكت جميع السبل وأمنها فأصبحت الاسفار
كلها سهلة على جميع الناس .

إذا أنت وجهت الركاب لقصده
جدير بأن يستحيي الله باديأ
سما للعلی، من جانبیها کلیتهما،
فتول حتى لم يجد من یسّله ،
وذو یقظّات مستمر مریرها
واین یوجه العزم عنه . وانما
أرى الناس منهاج الندی بعد ما عفت
ففي كل نجد في البلاد ، وغائر ،

تبینت طعم الماء ذو أنت شاربہ .
به ، ثم یستحيي الندی ویراقبه .
سمو عباب الماء جاشت غواربه ،
وحارب حتى لم يجد من یحاربہ .
إذا الخطب لاقاه اضمحلت نوائبه .
مرائی الأمور المشکلات تجاربہ .
مہایعہ المثلی ومحت لواحيہ .
مواهب منه ، وهي لیست مواهبہ .

- (١) ذو : الذي (بلهجة طیة ، وهي مبنية على السكون ، تلزمها الواو في جميع حالات الاعراب) . تبینت طعم الماء ذو أنت شاربہ : أدركت أن الماء الذي ستشربه عذب (قبل أن تصل الى عبد الله بن طاهر تعلم سلفاً أنك ستنال عنده حفوة وستنال منه خيراً كثيراً) .
- (٢) باديأ : مبتدأ . الندی : الكرم . يراقبه (يراقب الندی) : يخاف أن ينضب الندی . لم ينضب الفعل « يستحي » في المرة الثانية لضرورة الشعر . - يخطر في باله أن يدفع لسانه مبلغاً كبيراً جداً ثم يرى أن هذا إسراف قد ينضب الله . غير أنه يرى بعد ذلك أنه إذا دفع أقل من المبلغ الذي خطر له أساء إلى الكرم والمروءة .
- (٣) عباب الماء : الماء الكثير المتسع . جاشت : هاجت واضطربت . الغوارب : جمع غارب : ما علا من الموج .
- (٤) تول : أعطى .
- (٥) المريرة : الفتلة من الحبل إذا فتلت فتلاً شديداً . ذو يقظّات مستمر مریرها : هو دائم اليقظة . اضمحل : تلاشى .
- (٦) مرائی جمع مرآة . - ان الحزم یوجب ألا یذهب أحد إلا إلیه ، وذلك لأن تجاربه واسعة جداً تعرف حلول جميع المشاكل (كأن تجاربه مرآة تظهر فيها الأمور على حقيقتها) .
- (٧) عفا : احمى ، ذهب أثره . المهيع : الطريق الواسع المطروق (الذي يسير عليه الناس) . المثلی : الظاهرة المفضلة على كل شيء آخر . (مع الثوب : تهرأ وذهبت معالمه) . اللاحب : الطريق الواضح الظاهر . - أرى الناس منهاج الندی : دلهم على طريق الكرم .
- (٨) النجد : ما ارتفع من الأرض ، الهضبة . الغائر : ما انخفض من الأرض : الوادي (أي في كل مكان) . مواهب لیست منه وهي مواهبه : أنواع من الإحسان لم یفعلها هو ولكن فعلها أناس تعلموا فعلها منه ، فكأنها أصبحت من فعله هو .

لَتُحَدِّثْ لَهُ الْآيَامَ شُكْرَ خَنَاعَةٍ تَطْيِبُ صَبَاً نَجْدِيَّ بِهِ وَجَنَائِبَهُ ¹ .
فَوَاللَّهِ ، لَوْلَمْ يَلْبَسِ الدَّهْرَ فَعَلَّهِ لَأَفْسَدَتِ الْمَاءَ الْقَرَّاحَ مَعَائِبَهُ ² .
وَيَا أَيُّهَا السَّارِي فَسِرْ غَيْرَ حَازِرٍ جَنَّانَ ظَلَامٍ ، أَوْ رَدَى أَنْتَ هَائِبَهُ ³ ؛
فَقَدْ بَثَّ عَبْدُ اللَّهِ خَوْفَ انتِقَامِهِ عَلَى اللَّيْلِ ، حَتَّى مَا تَدِيبَ عَقَارِبَهُ ⁴ .
يَقُولُونَ : « إِنْ اللَّيْثُ لَيْثٌ خَفِيَّةٌ ، نَوَاجِذُهُ مُطَرَّرَةٌ » ، وَمُخَالِبُهُ ⁵ ؛
وَمَا اللَّيْثُ كُلُّ اللَّيْثِ إِلَّا ابْنُ عَمْرَةٍ يَعِيشُ فَوَاقٍ نَاقَةً ، وَهُوَ رَاهِبُهُ ⁶ .

• • •

وَبِیَوْمِ إِمَامِ الْمَوْتِ دَحْضٍ وَقَفَّتْهُ ، وَلَوْ خَرَّفِيهِ الدِّينُ لِأَنْهَالِ كَائِبِهِ ⁷ .
جَلَوْتَ بِهِ وَجْهَ الْخَلِيفَةِ ، وَالْقَنَا قَدْ اتَّسَعَتْ ، بَيْنَ الضُّلُوعِ ، مَذَاهِبُهُ ⁸ .

- (١) لتحدث له الأيام شكرًا : فلنشكره الأيام . شكر خناعة : أي وهي (الأيام) خناعة ، ذليلة ، مجبرة على هذا الشكر ، إذ لولاه لما كان كرم ولا كانت الأعمال المجيدة ، حتى أن فضله وإحسانه تعدى البشر إلى الموجودات كلها ؛ فطيب الصبا (الريح الشرقية) وطيب الجنوب (بفتح الجيم : الريح الجنوبية) من إحسانه هو أيضاً .
- (٢) القرّاح : الخالص الصافي . معايبه : معاييب الماء .
- (٣) الساري : المسافر في الليل . حاذر : هائب ، خائف . جنان ظلام : قلب الظلام ، شدته .
- (٤) لقد صارت العقارب تهاب سطوة عبادة بن طاهر فلا تخرج من أوكارها لا نهاراً ولا ليلاً .
- (٥) يزعمون أن الأسد (الحقيقي ، الصحيح) هو الأسد (الذي يسكن) خفية (غاية كفية الشجر) ، وتكون له أنياب ومخالب مطرورة (محذرة)
- (٦) والواقع أن الأسد الذي يستحق هذا الاسم هو الذي يذهب (وهو في ملك عبادة بن طاهر) ثم يستطيع أن يعيش بعد ذلك فواق ناقة (مدة ما بين حليتين) ، يقصد « مدة يسيرة » . أن الخوف من عبادة بن طاهر سيقتل ذلك المذهب من غير أن يتعرض عبادة بن طاهر له .
- (٧) دحض : زلق (بفتح الزاي وكسر اللام) تزلق فيه القدم ، يصعب الثبات فيه . أمام الملك : للدفاع عن الملك . الكائب : الكتيب (الرمل الكثير المجتمع) . - لو خرّ قيه الدين : لو انهزم فيه جند الخليفة . لأنهال كائبه : لزال الدين كله .
- (٨) جلوت : بيضت . اتسعت مذاهب القنا (الرماح) بين الضلوع : كثرت الجراح الكبيرة الواسعة (كثر القتل) .

شَفَيْتَ صَدَاهُ ، وَالصَفِيحُ مِنَ الطَّلِي
لِيَا لِي لَمْ يَقْعُدْ بِسَيْفِكَ أَنْ يُسْرَى
فَلَوْ نَطَقَتْ حَرْبٌ لَقَالَتْ ، مُحَقَّةٌ :
لِيُعْلَمَ أَنَّ الْغُرَّ مِنْ آلِ مُصْعَبٍ ،
كَوَاكِبُ مَجْدٍ ، يَعْلَمُ اللَّيْلُ أَنَّهَا
وَبَايَهَا السَّاعِي لِيُدْرِكَ شَاوَهُ ،
بِحَسَبِكَ مِنْ نِيلِ الْمَرَاتِبِ أَنْ تُسْرَى
إِذَا مَا امْرُؤٌ أَلْقَى بِرَبْعِكَ رَحْلَهُ

رَوَاءُ نَوَاحِيهِ عَذَابٌ مَشَارِبُهُ ١ ،
هُوَ الْمَوْتُ ، إِلَّا أَنْ عَفْوَكَ غَالِبُهُ ٢ .
وَالْأَهْكَذَا فَلْيَكْسِبِ الْمَجْدَ كَاسِبُهُ .
عِدَاةَ الْوَغَى ، أَهْلُ الْوَغَى وَأَقَارِبُهُ ٣ :
إِذَا نَجَحْتَ بَاءَتْ بِصُغْرِ كَوَاكِبِهِ ٤ .
تَرْحُزُ قَصِيئاً ، أَسْوَأَ الظَّنِّ كَاذِبُهُ ٥ .
عَلِيماً بِأَنْ لَيْسَتْ تُتَالِ مَنَاقِبُهُ ٦ .
فَقَدْ طَالَبْتَهُ بِالسَّنَجَاحِ مَطَالِبُهُ ٧ .

(١) شفيت صداه (عطشه) : شفيت ما في نفسه ، بلفته أمنيته . والصفيح جمع صفحة (السيف المريض) . رواء نواحيه (قد كثر الماء السائل على أطرافه : أكثرت القتل في الأعداء) عذاب مشاربه : حلوه ماؤه (أن انتصارك على يابك الحرمي أدخل السرور على النفس فكانها بعد العطش تشرب ماء عذبا حلوا) .

(٢) لم يقعد بسيفك أن يرى هو (أي سيفك) الموت : لم يكن يمنع سيفك مانع من قتل يابك الحرمي (وقد نسحت لك الفرصة إلا أن عفوك غلب سيفك) سوى أن عفوك تغلب في اللحظة الأخيرة على قدرتك . - يرى : فعل مضارع مبني للمجهول ، ونائب الفاعل ضمير مستتر يرجع إلى «سيفك» . هو : توكيد للضمير المستتر في «يرى» . الموت : مفعول به ثان حقه التعصب . ولكن الموجود في النسخة المطبوعة (خ ٤٦ ، ت ١ : ٢٣٩) الموت بالرفع . واطن أن الناشرين قد قدروا (بتشديد الدال) «هو» بمعنى «أنه» .
(٣) الفر جمع أغر : أبيض (ذو مجد وحسب) . آل مصعب : أسلاف عبيدة بن طاهر . غداة الوغى : يوم الحرب . آل الوغى وأقاربه : القادرون الأبطال في الحرب .

(٤) أن الليل نفسه يعلم أنه إذا برزت كواكب آل مصعب في المجد ، فإن نجومه هو تبدو صغيرة (مجد آل مصعب أبرز وأوضح وأشهر من نجوم الليل) .

(٥) الشأو : المضار ، الغاية . ترحز قضيئاً : ابتعد عن منافسته .

(٦) يكفيك من الفضل أن يعلم الناس عنك أنك تعرف أن فضائل عبيدة بن طاهر لا تتال (ليس بإمكان أحد أن يصل إليها) .

(٧) إذا نزل إنسان عندك فقد أصبح واثقا من فوزه بما يطلب .

رثاء محمد بن حميد الطوسي^١

في سنة ٢١٤ هـ (٨٢٩ م) : في أيام المأمون :

كذأفَلَيْبَجِلْ أَلْخَطْبُ ، وَلِيَفْدَحَ الْأَمْرُ . فليس لعينٍ لم يَفْقِصْ ماؤُها عُدْرُ^٢ !
تُوفِيَتِ الْأَمَالُ بعد مُحَمَّدٍ ، وأصبح في شُغْلٍ عن السَّفَرِ السَّفَرُ^٣ .
وما كان إلا مالٌ من قلٍّ ماله ، وذُخْرًا لمن أَمسى وليس له ذخرٌ^٤ .
وما كان يدري مُجْتَدِي جودِ كَفِّهِ ، إذا ما استهلَّتْ ، أنه خُلِقَ العُسرُ^٥ .

* * *

إلا في سبيل الله من عَطَلْتُ له فِجَاجُ سبيلِ اللهِ وانْثَغَرَ الثَّغَرُ^٦ .

(١) راجع فوق ص ١٢٥-١٢٦ .

(٢) جل : عظم . الخطب : الشأن ، الأمر (المصيبة) . الحادث ، الشأن . فدح :

ثقل حتى يعمز الإنسان عن حمله أو احتماله . — إذا لم تكن المصيبة عظيمة كقتل محمد بن حميد الطوسي فلا يقال لها : خطب جليل أو أمر فادح . لم يفص ماؤها : لم يكثر بكاؤها .

(٣) توفيت الآمال : فقد الناس الأمل في تحقيقها . وأضرب المسافرين عن سفرهم الذي كانوا قد عينوه في ذلك اليوم وفي ما بعده .

(٤) كان مالاً حاضراً للفقير ، وثروة مجموعة للذين سيحتاجون في المستقبل .

(٥) وكان إذا طلب أحد منه مالا أعطاه مبلغاً كبيراً ينسيه أن في الدنيا فقراً .

(٦) اننا نحتسب في سبيل الله (نرضى ما شاء الله من موت محمد بن حميد) رجلاً عطلت له

سبيل الله (توقف الجهاد بعد موته) . انْثَغَرَ الثَّغَرُ : أصبحت حدود البلاد الإسلامية مهددة

(غير محرومة) . الفج : الطريق الواسع . الثغر : المكان الذي يخشى منه هجوم العدو .

فَتَى ، كَلِمَا قَاضَتْ عَيُونَ قَبِيلَةَ
فَتَى دَهْرُهُ شَطْرَانِ فِيمَا يَنْوِبُهُ :
فَتَى مَاتَ ، بَيْنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ ، مَيِّتَةً
وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ
وَقَدْ كَانَ قَوْتُ الْمَوْتِ سَهْلًا : فَرَدَهُ
وَنَفْسٌ تَعَافُ الْعَارَ حَتَّى كَانَمَا
فَأُثْبِتَ فِي مُسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ :
غَدَا غُدُوَّةً وَالْحَمْدُ نَسَجَ رِدَائِهِ ،

دَمًا : ضَحِكْتَ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ ١ .
فَتَى بِأَسْمِهِ شَطْرٌ وَفِي جُودِهِ شَطْرٌ ٢ .
تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إِنْ فَاتَهُ النَّصْرُ ٣ .
مِنَ الضَّرْبِ ، وَاعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَا السُّمَرُ ٤ .
إِلَيْهِ الْحِفَاطُ الْمُرَّ وَالْخَلْقُ الْوَعْرُ ٥ .
هُوَ الْكَفْرُ يَوْمَ الرُّوعِ ، أَوْ دُونَهُ الْكَفْرُ ٦ .
وَقَالَ لَهَا : « مِنْ تَحْتِ أَحْمَصِيكِ الْحَشْرُ » ٧ .
فَلَمْ يَنْصَرَفْ إِلَّا وَأَكْفَأَتْهُ الْأَجْرُ ٨ .

- (١) قاضت عيون قبيلة دما : نزل بتلك القبيلة مصيبة . ضحككت عنه الأحاديث والذكر :
واسى تلك القبيلة بنفسه وماله حتى يتحدث الناس بحسن أخلاقه وبكثرة كرمه .
- (٢) ينوبه : يصيبه (يتعلق به) . - نصف أيامه في الحرب (الانتصار على الأعداء) ونصف
أيامه في الكرم والإحسان إلى الناس
- (٣) تقوم مقام النصر إن فاتته النصر : إن الميثة النبيلة التي ماتها تعد نصراً أكبر من النصر
العادي المألوف عند الناس .
- (٤) ذلك لأنه لم يسقط في المعركة قتيلًا إلا بعد أن تشقق حد سيفه وبعد أن تكسرت رماح
كثيرة وهو يقاتل بها .
- (٥) قد كان من أنسهل عليه أن ينجو من الموت (وكان هو قد انصرف فعلاً من المعركة ،
ولكنه عرف أن الحرمة يقاتلون جماعة من رجاله فرجع ليدافع عنهم ، وكان وحده) .
- الحفاظ : الدفاع عن المحارم (عما يدخل في واجب الإنسان أن يدافع عنه من الدين
والشرف) . الوعر : الصعب . الخلق الوعر : الخلق المستقيم الذي لا يتزحزح صاحبه
عن موقفه واعتقاده .
- (٦) ورده أيضاً إلى الموت نفس تخاف أن يلزمه العار (العيب طول حياته) إذا لم ينجو بني
قومه في القتال . وتخلف العربي عن نجدة أخيه في الحرب بعد كفرًا ، بل الكفر أقل منه .
- (٧) فأثبت في مستنقع الموت رجله : أدرك أنه مقتول لأنه وحده والأعداء كثيرون ، فصمم
على أن يموت وهو يقاتل . وقال ، يا رجلي ، الحشر (البعث من الموت ودخول الجنة)
تحت باطنك : قريب جداً .
- (٨) غدا غدوة (هجم هجمة واحدة) . والحمد نسج رداءه (لأنه كان مخلصاً في هجمته جاداً -

تردَى ثِيَابَ الموتِ حُمْرًا ؛ فما دجا
لها الليل إلا وهي من سُتُندسٍ خُضِرٍ ١ .

• • •

كَأَنَّ بَنِي نَبْهَانَ ، يَوْمَ وفاته .
يُعَزَّوْنَ عَنْ ثَاوٍ تُعَزَّى بِهِ الْعُلَا .
وَأَنَّى لَهُمْ صَبْرٌ عَلَيْهِ ؟ وَقَدْ مَضَى
فَتَى كَانَ عَذَابُ الرُّوحِ لَامِنَ غَضَاضَةٍ .
فَتَى سَلَبَتْهُ الْخَيْلُ ، وَهُوَ حِمَى لَهَا ؛
نَجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ ٢ .
وَيَبْكِي عَلَيْهِ الْبَاسُ وَالْجُودُ وَالشَّعْرُ ٣ .
إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى اسْتُشْهِدَا ، هُوَ وَالصَّبْرُ ٤ .
وَلَكِنْ كَبِيرًا أَنْ يُقَالَ بِهِ كِبَرٌ ٥ .
وَبَزَّتْهُ نَارُ الْحَرْبِ ، وَهُوَ لَهَا جَمْرٌ ٦ .

= فلم يتصرف (لم يتوقف عن هجمته) إلا واكفاهه الأجر (إلا لما مات ونال أجر شهيد في سبيل الله ، والشهادة في سبيل الله تدخل صاحبها إلى الجنة) .

(١) تردى ثياب الموت حمرًا : مات مقتولا (صبغ الدم الأحمر ثيابه) . دجا لها الليل : اسود الليل لها : جاء عليها الليل (لما صار الليل) . ألا وهي من سُتُندسٍ خُضِرٍ : إلا أصبحت من حرير أخضر (دخل الجنة لأنه مات شهيداً) . والثياب الستندس الأخضر من لباس أهل الجنة (سورة الكهف ١٨ : ٣١) .

(٢) بنو نبهان قومه . كأنهم نجوم فقدت بدرها (أشدها نوراً : أعظمها) . يحسن أن نفهم هذا البيت فهما بلاغياً لا فهماً فلكياً ، لأن البدر إذا غاب عن السماء كانت النجوم أشد لمعاناً .
(٣) ثار : مدفون (ميت) . البأس : القوة والشجاعة في الحرب . جعل الناس يعزّون به قومه . والصحيح أن الشجاعة والكرم والشعر (الذي فقد أعظم المدحوحين وأكرمهم) يجب أن تعزى به لأن موته كان مصيبة على هذه أكبر من المصيبة على أهله .

(٤) وكيف يستطیع أهله أن يصبروا عليه (يسلمونه ، ينون المصاب به) وقد مات الصبر معه في المعركة . قد مضى إلى الموت : ذهب وهو عازم على أن يموت .

(٥) عذب الروح : حسن المعاشرة متواضعاً . غضاضة : ذل وضعف في النفس . ولكن كبراً أن يقال به كبر : كانت نفسه تأبى عليه أن يقال عنه أنه متكبر فيتواضع قصداً ومن عند نفسه اختياراً .

(٦) سلبته الخيل : سلبته خيل العدو روحه (قتله) . وهو لها حمى : كانت الخيل في الحرب تحتمي به . بزته (غلبته) نار الحرب ، وهو لها جمر (هو الذي يسمر الحرب ، ولولاه لما كانت حرب) .

وقد كانت البيضُ المآثيرُ في الوغى
أمن بعد طيِّ الحادثات محمداً
إذا شجرات العُرف جذت أصولها ،
لئن أبغض الدهرُ الخوونُ لفَقَّده ،
لئن غدرت في الرّوع أيامه به
لئن ألبست فيه المصيبة طيِّء ،
كذلك ما ننفك نفقُده هالكاً
سقى الغيثُ غيثاً وارت الأرضُ شخصه ،
وكيف احتمالي للغيوثِ صنيعه
مضى طاهر الأثواب ، لم تبق روضة

بواتر ، فهي الآن من بعده بستر^١ .
يكونُ لأثواب الندى أبداً نشر^٢ .
ففي أيّ فرعٍ يوجد الورق النضر^٣ ؟
لعهدي به ممن يُحبّ له الدهر^٤ .
فما زالت الأيام شيمتها الغدر^٥ .
فما عريت منها تميمٌ ولا بكر .
يشاركنا في فقده البدو والحضر^٦ .
وإن لم يكن فيه سحابٌ ولا قطر^٧ .
يلسقاها قبراً وفي لحده البحر^٨ ؟
غداة ثوى إلا اشتهد أنها قبر .

- (١) البيض : السيوف . المآثير جمع مآثور : الذي في مثته علامة (دالة على جودة صنعه ، أو أنه ملك لقوم معينين فهم يتوارثونه بلودته) . بواتر : قاطعة ، ذات فعل في الأعداء (لأنه هو الذي كان يضرب بها في الحرب) . فهي الآن من بعده بتر (جمع أثير) : مقطوعة ، مفقولة (إذ ليس في الناس بعده من يحسن القتال بها مثله) .
(٢) الحادثات : الاحداث العظام ، المصائب . طي الحادثات محمداً : اخفاؤه ، قتله . أثواب الندى : الكرم . نشر : اظهر (ليس بعد محمد بن حميد من يدعى كريماً جواداً بحق) .
(٣) إذا قطعت الشجرة من كعبها يابس الورق في جميع أغصانها (محمد بن حميد كان شجرة الجود ، وجميع الاجواد كانوا فروعاً من تلك الشجرة ، فلما مات هودّهب الكرم منهم أيضاً) .
(٤) إذا كنا الآن نبغض الدهر لأنه خانه وغدر به وقتله ، فلقد طالما كنا نحب الدهر لأنه جاء به الى الدنيا .
(٥) الرّوع : الحرب .
(٦) يشاركنا في فقده : يشاركنا في الحزن عليه .
(٧) الغيث الاول : الماء الساقط من الغيم . والغيث الثانية : الرجل الكريم . وارت : سرت . شخصه : شبعه ، صورته المادية . وإن لم يكن فيه (في الغيث الثاني) سحاب (برق ورعد) ولا قطر (ماء حقيقي) .
(٨) الاحتمال : الامكان . صنيعه : فعله . - كيف يمكن للغيوم (الامطار الحقيقية) أن تسقي قبراً فيه بحر . البحر : الرجل الجواد الكريم .

ثوى في الثرى من كان يحيا به الثرى ،
عليك سلامُ الله وقفاً ، فلاني
ويغمرُ صرفَ الدهر فائلُهُ الغمرُ ١ .
رأيتُ الكريمَ الحُرَّ ليسَ له عُمرُ ٢ .

(١) ثوى في الثرى : مكث في التراب ، دفن . الثرى الثانية : التراب الذي ينبت فيه النبات .
صرف الدهر : مصائب الدهر . النائل العطاء . الغمر : الكثير الذي يفرق كل شيء في
نفسه . - كان عطاءه وأحسانه يفران الفقر والمصائب حتى تختفي المصائب ويختفي الفقر .
(٢) وقفاً : عليك وحدك .

مديح أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري الطائي الحميدي

كان أبو سعيد الثغري هذا من الشجعان والقواد في أيام المعتصم ، ومن قواد حميد الطوسي . وقيل له أيضاً المروزي لأنه كان من أهل مرو . غير أنه اشتهر بلقب الثغري لأنه لزم الحرب في الثغور ، في الشام وخراسان ، فيما أحسب . وهو عربي من طي .

أما هذه القصيدة التي مدحه أبو تمام بها فقد قيلت — فيما يبدو — بعد مقتل محمد بن حميد ، كما نلاحظ في البيت العاشر ، وقبل مقتل بابك الخرمي ، كما فرى في البيت الحادي والعشرين وفي الأبيات التي تليه .

غدت تستجيرُ الدمعَ خوفَ نوى غدٍ ،	وعاد قتادا عندها كلُّ مرقَدٍ ^١ .
وأنقذها من غمرةِ الموتِ أنه	صدودُ فراقٍ لا صدودُ تعمُّدٍ ^٢ .
فأجرى لها الإشفاقُ دمعاً مُورِّداً ،	من الدَّمِ ، يجري فوق خدِّ مورِّدٍ ^٣ .
هيَّ البدرُ يُغنيها تودِّدٌ وجهها	إلى كلِّ من لاقت ، وإن لم تودِّدٍ ^٤ .

(١) غدت (نهضت باكراً) تستجير الدمع (تستجد بالدمع : تبكي) خوف نوى غد : خوفاً مما سيجره عليها الفراق في اليوم التالي (في يوم قريب) . القتاد : شوك . وأصبح كل فراش لها شوكاً (امتنع عليها النوم من الحزن) .

(٢) ولكن الذي أنقذها من الموت (حزناً) أن صدود المحب (ابتعاده عنها وفراقه لها) كان اضطراراً ولوقت قصير ، لا هجراً مقصوداً دائماً .

(٣) أجرى الإشفاق (الخوف من الفراق) دمعاً مزوجاً بالدم (غزيراً مؤلماً) فوق خدِّها المورِد (الجليل) .

(٤) التودد : التحبب إلى الناس . وجهها جميل يحبها الناس لحسنة من غير أن تتكلف هي التحبب إليهم .

ولكنني لم أحرِ وفراً مجتمعا ، ولم تُعطني الأيامُ نوماً مُسكناً وطولُ مقامِ المرءِ في الحيّ مخلّق فاني رأيتُ الشمسَ زِيدتْ حبةً ، حللتُ برَبِّ البيضِ تدمي متولّوها ، لقد كفَّ سيفُ الصّامتيّ محمداً رمى الله منه بابكاً وولّاته باسمح من صوب الغمامِ سماحةً ، اذا ما دَعَوْنَاهُ بأجلحِ أيّمنِ

فَقُزْتُ به ، الا بِشَمَلِ مُبَدَّدٍ ١ .
 الدُّ به : الا بنومٍ مُشَرَّدٍ ٢ .
 لديّاجتيه : فأغربُ تستجدُّدٍ ٣ .
 الى الناس : ان ليست عليهم بِسَرمَدٍ ٤ .
 ورب القنا المنَادِ والمُتَقَصِّدِ ٥ :
 تباريحِ نأيرِ الصّامتيّ محمداً ٦ .
 بقاصمةِ الأَصْلَابِ في كلِّ مشهدٍ ٧ :
 وأشجع من صَرفِ الزمانِ وانجده ٨ .
 دعاه ، ولم يَظْلِمِ ٩ ، بأصلحِ أنكد ٩ .

(١) الوفّر : الغنى . المبدد : المفرق . - لا يستطيع الانسان ان يجمع ثروة الا اذا فارق أهله ووطنه .

(٢) ولا أستطيع أن أنام مرة نوماً هادئاً هانئاً مريحاً الا اذا كنت قد قضيت قبل ذلك ليالي (وقتاً طويلاً ، مراراً) لا أذوق فيها النوم (لسفري المتواصل الشاق) .

(٣) ان طول مكث المرء في بلده يجعل العيون تألفه فيبطل اهتمام الناس به ، فتغيب عن بلدك مدة ، فانك اذا رجعت بعد ذلك اهتم بك أهل بلدك (لأنك ستبدو لعيونهم كأنك شخص جديد عليهم) . الديباجتان : الخدان .

(٤) السرمَد : الدائم . - الناس يحبون الشمس لأنها تغيب وتطلع ، ولأن غيوم الشتاء تُسترها حيناً فيتشوق الناس إليها وإلى حرارتها .

(٥) البيض : السيوف . تدمي متولّوها : يجري الدم على جوانبها (لكثرة الضرب بها في الحرب) . القنا : الرماح . المنَاد : المنحني (لأن الرمح البعيد لين ، فاذا طعن به شيء قاس ، كالدرع مثلاً فإنه ينحني) . المتقصّد : المتكسر (اذا زاد انحناء الرمح من الطعن فإنه ينكسر) .

(٦) الصامتي محمد الاول : أبو سعيد محمد بن يوسف الثغري الطائي ، وهو من بني الصامت . الصامتي محمد الثاني : محمد بن حميد ، وهو منسوب الى بني الصامت أيضاً . - انتصر أبو سعيد الثغري على بابك الحرمي فأخذ بشار محمد بن حميد الذي كان قد قتل في حرب بابك .

(٧) الولاية : الانتصار والاتباع . قاصمة الظهر : المصيبة العظيمة . المشهد (هنا) : الموقعة ، المعركة .

(٨) الساحة الكرم . أشجع من صرف الزمان : لا يهاب شيئاً ولا يحزن عن خطر . أنجده : عظيم النجدة (الاسراع الى معونة الذين يطلبون معونته) .

(٩) الجلح : انحمار الشعر عن مقدم الرأس خلقة ، وكان محموداً عند العرب يتفادون به . والأصلح =

فَتَى يَوْمَ بَذَى الْحَرَمِيَّةَ لَمْ يَكُنْ بَهِيَابَةَ نِكْسٍ وَلَا بِمَعْرَدٍ ١ ،
 قَفَا سِنْدِيَايَا وَالرَّمَاخُ مُشْبِحةٌ تُهَدِّى إِلَى الرُّوحِ الْحَقِيقِي فَتَهْنَدِي ٢ ،
 عَدَا اللَّيْلُ فِيهَا عَنْ مَعَاوِيَةَ الرَّدَى ، وَمَا شَكَ رَبُّ الدَّهْرِ فِي أَنَّهُ رَدَى ٣ ،
 لَعَمْرِي ، لَقَدْ حَرَّرْتَ يَوْمَ لِقَائِهِ ، لَوْ أَنَّ الْقَضَاءَ وَحْدَهُ لَمْ يُسِيرِدِ ٤ ،
 فَإِنَّ يَكُنِ الْمَقْدَارُ فِيهِ مُفْتَدًا ، فَمَا كَانَ فِي أَشْيَاعِهِ بِمُسْفَنَدٍ ٥ !
 وَفِي أَرَشَقِ الْهَيْجَاءِ ، وَالْخَيْلُ تُرْتَمِي بِأَبْطَاطِهَا فِي جَاحِمٍ مُتَوَقَّدٍ ٦ ،

= سقوط الشعر من معظم الرأس ، وكان مذموماً ويتشامون به . - نحن كنا ندعو أبا سعيد الثغري « أجلىح » تيمناً بذلك (وكان على حق لأن أبا سعيد انتصر على بابك وأتباعه ورد عن المسلمين هزائم كثيرة) . وكان أعداؤه (أتباع بابك وأنصاره) يدعونه « أصلىح » تشالماً بصلحه ، وكانوا أيضاً على حق لأنه هزمهم وقضى على آمالهم .

(١) بَذَى : غلب . الحرمية : أصحاب بابك . البهياة : الكثير الهيبة (الخوف) لغيره .
 النكس : الضميف . المرد : الحارب (ليعتد عن الاخطار) .

(٢) قفا : خلف ، وراء (لعلها فعل ماضٍ) . سندبايا : موضع في أذربيجان بالهند .
 المشيح : المقبل عليك المانع لما وراء ظهره (كناية عن جرأة الهاجمين وكثرتهم) . تهدي (الرماح ، أي تصوب ، يشار بها) إلى الروح (إلى نفس المحارب حيث تقتله) .
 الحقي : الغائب ، المستور المختفي (وراء جدار أو في درع ، وبشجاعة صاحبه) . فتهدى : تصيب (المقتل) وتقتل (كناية عن بصر أولئك المقاتلين بالحرب وتمهرتهم عليها) .

(٣) عدا الليل فيه عن معاوية الردى : صرف الليل في سندبايا الموت عن معاوية (هرب معاوية من معركة سندبايا مستتراً بظلام الليل فنجوا من القتل) . معاوية (= بابك ٤) . وما شك ريب الدهر في أنه ردى : وما كان ريب الدهر (شدة تلك المعركة) يشك في أنه سيقتل في تلك المعركة .

(٤) لعمرى : أقسم بعمرى (بذنبي) . لقد حررت (في معركة سندبايا) أن تقتله وتجعل في قلوب أتباعه حراة ، أي حزناً عليه (يوم لقيته (في معركة سندبايا) . لو أن القضاء (علم الله السابق بطول حياة بابك) وحده (ولا شيء آخر غير القضاء والقدر) لم يبرد (لم يدخل البرد أو الاطمئنان على قلوب أتباعه لأنه نجوا من القتل المستنظر له في تلك المعركة) .
 (٥) فإذا كان حسابنا نحن للقضاء والقدر (في مقتل بابك) مفتداً (خاطئاً) ، فإن حسابنا في ذلك وفيما يتعلق بأشياء (بجنود) بابك لم يكن مفتداً .

(٦) أَرَشَقِ : حصن للمسلمين خرج إليه بابك ليطور على مال كان الخليفة المعتصم قد أرسله إلى الأفشين (أن معرفة بابك بجميع ذلك المال من الأدلة على أن الأفشين كان يمانه بابك ، وذلك ما دعا

عَطَّطَتْ عَلَى رَغْمِ الْعِدَا عِزْمَ بَابِكَ بعزمتك عطاء الأتحمي المعضد^١ .
فَالَا يَكْسَنُ وَلَّى بِشَلْوٍ مَقْدَدَ هناك ، فقد ولَّى بعزم مقدد^٢ .
وَقَدْ كَانَتْ الْأَرْمَاحُ أَبْصَرْنَ قَلْبَهُ ، وأرملها سترُ القضاء الممدد^٣ .
وَمَوْقَانُ كَانَتْ دَارَ هِجْرَتِهِ ، فَقَدْ توردتها بالخليل كل تورث^٤ .
حَطَّطَتْ بِهَا . يَوْمَ الْعُرُوبَةِ ، عِزَّهُ ؛ وكان مُقيماً بين نسر وفرقد^٥ .
رَأَى سَدِيدَ الرَّأْيِ وَالرَّمْحِ فِي الْوُغَى ، تَأَزَّرُ بِالْإِقْدَامِ (فِيهَا) وَتَرْتَدِي^٦ .

— المتعصم الى أن يرسل أيا سعيد الثغري الى حرب بابك عوناً للأفشين في الظاهر ورقبياً عليه في الحقيقة . أرشق الهيجاء على الانفاضة المبالغة في شدة المعركة التي دارت حول أرشق . الجاحم : الجحيم (النار العظيمة اذا كانت في مهواة أو مكان منخفض ، المكان الشديد الحر) . المتوقد : الشديد الاشتعال مع خروج لهب منه .

(١) عطاء : شق . الاتحمي : الثوب المخطط (المنسوج بخيوط تختلف قوة) . المعضد : الملموح أنه الثوب الذي فيه خطوط نافرة في أصل نسجه . — يقول أبو تمام : « وفي معركة أرشق شققت عزم بابك (كسرت قوته المعنوية) بعزمتك أنت ، على رغم العدا (على كثرة أتباعه) شق الاتحمي المعضد (كما يشق الثوب المخطط في أصل نسجه ، أي بسهولة) .

(٢) الشلو : كل جسم قطع منه شيء وبقيت منه بقية . مقدد . مقطع . هناك (أي في معركة أرشق) . — فالأ (أن لا) يكن ولي (مات ، قتل) بشلو مقدد (بجسم مقطع في المعركة) فقد ولي (انهزم) بعزم مقدد (بهمة مكسورة لا يفكر أن يعود بعدها الى قتالك) .

(٣) وكانت رماح المسلمين قد أبصرت قلب بابك (صوبت الى مقتله) ، ولكن القضاء (طول عمر بابك المكتوب له في سابق علم الله) أرمده عيون تلك الرماح (جعلها مريضة ومداة لا تبصر ، اذ حال قضاء الله بين تلك الرماح وبين قلب بابك كأنه ستر حاجز) .

(٤) موقان : مكان في أرمينية . دار هجرته : المكان الذي هاجر (ابتعد اليه) حتى لا يصل اليه أحد . توردتها بالخليل : دخلت اليها بخيل كثيرة من كل جانب .

(٥) حططت عزه : خفضت عزه ، أنزلته من أعلى الى أسفل . يوم العروبة : يوم الجمعة . وكان (عزه من قبل) بين نسر وفرقد (النسر والفرقد نجمان في السماء) ، أي في مكان مرتفع لا يصل اليه أحد .

(٦) سديد الرمح : بارع في الاصابة بالرمح . تأزرو بالاقدام وترتدي : تلبس الاقدام ازارا ورداء (كناية عن اقدامه وجرائته في كل موقف من مواقف الحرب) .

وليس يُجَلِّي الكربَ رَمَحٌ مُسَدَّدٌ
فسرَ مُطِيعاً للمعواني : مَعَوْداً
وكان هو الجِلْدُ الثَّمَوِي : فسأبته ،
لعمري ، لقد غادرت حِسِّي فؤاده
وكان بعيداً القَعْرِ من كلِّ مَاتَحٍ ،
وللكذَجِ العُلْيَا سميت بك هِمةٌ
إذا هو لم يُؤنس برأي مسدَّدٌ ١ .
من الخوف والإحجام ما لم يعود ٢ .
بحسن الجِلْد المحض ، حُسْن التجلُّد ٣ .
قريبَ رِشاءٍ للقنا سهلَ مَوْرِدٍ ٤ .
فغادرتَه يُسْقَى وَيُشْرَبُ باليد ٥ .
طَموحُ بروح النصرُ فيها ويغتدي ٦ .

(١) يجلي : يجلو ، يكتشفه . الكرب : الغم ، الشدة . رأي مسدد (مصيب) - إذا كان هذا الرأي المصيب لا يصحبه رمح مصيب (معرفة بالحرب) - .

(٢) مر : جاز وذهب (فر ، هرب على وجهه) مطيعاً للمعواني (الرماح) : كأن الرماح حينما أشارت إلى قتله (ولم يكن عمره قد نفذ بعد) قد أسرتَه بالفرار قفر . ثم إن هذه المعركة قد علمته الخوف من الحرب والإحجام (التأخر في مجال الحرب) وعودته ذلك كله ، ولم يكن من قبل يعرف شيئاً من ذلك .

(٣) الجِلْد : الشديد ، الصبور . الجِلْد : القتال والنبات فيه . التجلد : التصير ، الصير على المكروه . سلبته حسن التجلد : جعلته لا يكتُم خوفه وذعره .

(٤) الحسي : الماء القليل في منخفض يسير من الرمل . حسي فؤاده : ماء فؤاده (دم قلبه ، روحه) . قريب رِشاء : يستقي منه برِشاء (حبل) نصير . سهل مَوْرِد : سهل على جميع الناس أن يستقوا منه (أن يفتلوا بابل) . - أصبح بابل ما أدخلت على قلبه من الخوف عاجزاً من صد كل هاجم عليه .

(٥) بعيد القمر : عميق . الماتح : الذي يمتح (يسحب الماء من البئر بالحبل) . كان بابل من قبل منيعاً لا يصل أحد إليه ، كما لا يستطيع أحد أن يسحب الماء بالدلو من البئر العميقة جداً . فجعلته أنت قريباً هيناً على كل هاجم كأنه ماء على ظاهر الأرض يشرب الناس منه بأكفهم (من غير حاجة إلى دلو وحبل) .

(٦) الكذَج تعريب كده (من الفارسية) . كده (بفتح الكاف والذال) : البيت المنزل ، الكهف القرية . وقد تضاف إلى اسم فيقال آتش كده : بيت النيران (معبد الفرس القديم) . وقياساً على ذلك نقول بابل كده : بيت بابل ، قلعة بابل ، عاصمة بابل ، الخ . ويفهم من البيت « والكذَج العليا ... » أن بابل كان له عدد من الحصون ، وأن أبا سعيد الثوري استولى على القلعة العليا أيضاً .

وقد حَزَمْتُ بِالذُّلِّ أَنْفَ ابْنِ خَازِمٍ ، وَأُعَيَّتُ صِيَاصِيهَا يَزِيدَ بْنَ مَزِيدٍ ؛
فَقِيدَتْ بِالْإِقْدَامِ مُطْلَقَ بِأَسِيهِمْ ، وَأَطْلَقْتُ فِيهِمْ كُلَّ حَتَفٍ مَقِيدٍ ؛
وَبِالْهَضْبِ مِنْ أَيْرُشْتَوِيمَ وَدِرُوزِ سَمِتْ بِكَ اطْرَافَ الْقَنَا ، فَاسْمُ وَازْدَدِ .
أَفَادَتْكَ مِنْهَا الْمُرْهَفَاتُ مَكَارِمًا تَعُمَّرُ عُمَرَ الدَّهْرِ ، إِنْ لَمْ تَحْلَدْ .
وَلَيْلَةُ أَهْلِيَّتِ الْبَيَاتِ بَلَاءٌ مِنْ الصَّبْرِ فِي وَقْتِ الصَّبْرِ مُجْتَدٍ .
فِي جَوْلَةٍ ، لَا تَجْعُدِيهِ وَقَارَهُ ؛
وَبِأَسِيفٍ ، لَا تَكْفُرِي ، وَيَا ظُلْمَةً ، أَشْهَدِي .

(١) خزيمة بن خازم وي زيد بن مزيد : قائدان عباسيان كانا في المشرق أيضاً . الصياصي جمع صيصة : الحصن . خزم : علق الخزامى (بكسر الخاء : حلقة من الحديد أو الجلد أو الشعر تعلق في أنف البعير أو غيره من الحيوان لجره بها اذا كان شموساً) . - لم يستطع خزيمة بن خازم ولا يزيد بن مزيد أن يفتحوا الكنج ، وقصدها خزيمة بن خازم فرجع عنها مقهوراً .

(٢) جرأتك عليهم (في عقر دارهم) قيمت قوتهم وأبطلتها ، ثم انك بثت بها أنواع الختوف (جمع حتف : الموت) .

(٣) الهضب : ما ارتفع من الأرض ، الأراضي المنبسطة في الجبال . دروز : اسم جبل . إيرشتويم جبل باليه من أرض موقان من نواحي أذربيجان كان بابلك يأوي اليه (ياقوت - طيبة القاهرة - ١ : ٧٤) .

سمت بك أطراف القنا : صعدت الى تلك الاماكن عنوة بالسلاح .

(٤) المرهفات : السيوف الرقيقة . المأثرة (بضم الميم) : الفضل الجليل العظيم .

(٥) البيات : رسم خطة (سرّاً) لمهاجمة العدو في اليوم التالي . أهليت البيات بلاءه من الصبر : أعطيت رسم تلك الخطة حقه من الدرس والعناية والدقة ، ثم نفذت (في اليوم التالي) تلك الخطة بصبر على الحرب (بمشقة وتضحيات) . في وقت من الصبر بمحمد : في وقت لا ينفع الصبر فيه . ومحمد صيغة ليست في القاموس .

(٦) الجولة : المبارزة ، الهجمة (في الحرب) . لا تجعديه وقاره : لا تندي انه كان وقوراً (ثقيلًا : ثابتًا ، هادئًا) جداً على الرغم من الاحوال التي كانت في تلك المعركة والتي كانت تنمي الانسان وقاره (فيجزع أو يحزن أو يستسلم أو يهرب) . يا سيف لا تكفر : لا تنكر فضله ، وأنه لولا شجاعة أبي يوسف الثغري ومعرفته بأصول القتال لما كان لك فضل . الظلمة : الليل أو المعركة الشديدة القاسية كأنها ظلمة الليل . أشهدي : أشهدك بالمقدرة والثبات الخ .

ويا ليلُ ، لو أني مكانك بعدها
وقائعُ أصلُ النصرِ فيها وفرعُه
فمهما تكن من وقعةٍ بعدُ لا تكن
محاسنُ اصنافِ المغنينِ جمَّةُ ،
جلوتُ الدجى عن أذرييجانَ بعدَ ما
وكانتُ ، وليس الصبحُ فيها بأبيضٍ ؛
رأى بابك منك التي طلعت له
هزرت له سيفاً من الكيد ، إنما
يسرّ الذي يسطو به وهو مُغمَدُ ،

لَمَّا باتَ في الدنيا بنومٍ مُسَهَّدُ .
إذا عُدَّدَ الاحسانُ أو لم يُعَدَّدُ ٢ .
سوى حَسَنَ ، مما فعلت ، مردَّدُ ٣ ،
وما قَصَبَاتُ السِّبْقِ إلا لمُعَبَّدُ ٤ .
تردَّتْ بلونُ ، كالغمامة ، أربَدُ ٥ .
فأُمسَتْ ، وليس الليلُ فيها بأسودُ ٦ .
بنحسُ ، وللدِّينِ الحنيفِ بأسعدُ ٧ .
تُجَدُّ به الاعتاقُ ما لم يُجَرَّدُ ٨ .
ويفضحُ من يسطو به غيرُ مغمَدُ ٩ .

(١) يا ليل ، لو أني كنت مكانك لكافأت أبا سعيد الثغري على ظفري في هذه المعركة بأن أسحه
نوماً عادياً طبيعياً لا يسهر سهرأ فيه قلق أو تعب ثم جعلت ذلك له طول حياته الباقية .
(٢) ان جميع الوقائع التالية ، اذا كان فيها نصر فيكون من أثر هذه المعركة ، سواء أكان
النصر يحدث بخطوة واحدة (هي التي رتبها أبو سعيد الثغري) أو بخطوط متعددة مختلفة .
(٣) وكل معركة بعد معركتك هذه سيكون النصر فيها بتكرار خطتك الحكيمة التي ابتدعتها في
هذه المعركة .

(٤) للمغنين المختلفين حسنات كثيرة ، ولكن معبد بن وهب المضي الاموي المشهور قد فاز في
الفناء عليهم كلهم (وكذلك القواد لهم حسنات وانتصارات كثيرة في المعارك ، ولكن أبا
سعيد الثغري أفضلهم كلهم) .

(٥) جلوت الدجى : كشفت الليل (أبعدت الخطر) . تردت بلون كالغمامة أربد (كلون الغراب) ؛
ليست ثوباً (من الخوف والخطر) عمها كلها كما تعم الغمامة وجه السماء .

(٦) وكانت أذرييجان تخاف بابك وأتباعه في وقت السلم ، فأصبحت بفضلك لانتخافه في زمن الحرب
(٧) أدرك بابك الآن أن خطتك قد جاءت له بالنصر ، وأنها قد جاءت للإسلام بالسعد .

(٨) حارب بابك بالمكيدة التي تجد (تقطع) اعتاق الأعداء وهي مكتومة غير ظاهرة ، لأنها
لو ظهرت وعرفت لاحترس العدو منها فبطل فعلها .

(٩) هذا السيف (أي المكيدة) يسر صاحبه الذي يستعمله وهو مغمَد (كناية عن ايقاء المكيدة
سراً) ، وهو يفضح صاحبه وينزل به الحية والضرر ، اذا ضرب به فيرمغه : (اذا
كان يملن خطته في الحرب) .

واني لأرجو ان تقلد جیده
منظمة بالموت ؛ يحظى بحلتها
اليك هتكنا جُنح ليل كأنسه
تُقلقلُ بي أدمُ المهاري وشومها
تقلب في الآفاق صيلاً كأنما
تلافي جذاك المجتدين ، فأصبحوا
إذا ما رحي دارت أدرت ، سماحة ،
قِلادة مصقول الذباب مُهند
مقلدها في الناس ، دون المقلسد .
قد اكتحلت منه البلاد بإمجد .
على كل فشنر مُتَلثب وقد قد .
يقلب في فكته شقة مبرد .
ولم يبق مذخور ، ولم يبق مجتدي .
رحى كل إنجاز على كل موعد .

(١) اني آمل أن تلبس بابلك الحرمي قلادة (عقدأ) في جیده (عنقه) من سيفك (أن تقطع في
المركة المقبلة عنقه بسيفك) . الذباب : حد السيف .

(٢) قلادة منظمة بالموت (جعلت حياتها من أسباب الموت) ، والذي يسر بها هو الذي يقلدها
(يعلقها في عنق غيره) لا الذي يتقلدها (يلبسها في عنقه) .

(٣) جئنا اليك مسافرين في قلب ليل شديد الظلمة حقيقة أو مجازاً (من حاجة الى المال الذي في
يديك) . الأمد : الكحل .

(٤) تقلقل (تتقلقل) بي : تحملني متقلبة بي في أطراف الأرض . أدم المهاري وشومها : السمر
والسود من المهاري ، كما في القاموس (٢ : ١٣٧ ، السطر الخامس) . والمهار
جمع مهر (بضم الميم) وهو ولد الفرس أو أول ما ينتج منه ومن غيره (كالابل مثلاً) ،
والمقصود هنا الابل لا الخيل . النثر : المرتفع من الأرض . المتلثب : المستقيم (صعوداً ؟) .
القدقد : القلاة (الأرض الواسعة الحالية) الغليظة .

(٥) تقلب في الآفاق (تحمل من مكان الى مكان في أطراف الأرض) صلاً (داهية ، يعني أبو
تمام بالصل نفسه) . يقلب في فكته شقة مبرد (يجيل في فمه لساناً كأحد حدي المبرد ،
أي لساناً قديراً حاداً) .

(٦) تلافي (تدارك ، أعان ، ساعد) جذاك (كرمك) المجتدين (طالبي الجدوى : العطاء) ،
حتى لم يبق (لك مال) مذخور ولم يبق مجتد (محتاج يطلب مالا) .

(٧) إذا ما رحي دارت : كلما دارت طاحون لطحن القمح وغيره (أو حرب) . ادورت سماحة :
وزعت المال كرماء منك في الناس (وكما أن الطاحون لا تتوقف عن طحن الحبوب ، فأنت أيضاً
لا تتوقف عن بذل المال . ثم أنك تعد كثيراً وتفي بجميع ما تعد ، كأنك تطحن الوعود
بانجازها حالا ، كما تفعل الطاحون بالحب الذي يلتقي فيها) .

اثبتك لم أفزعُ الى غير مَفزَعٍ ، ولم أنشدُ الحاجاتِ في غير مَنشدٍ^١ .
ومن يرجُ معروفَ البعيد ، فانما يدي عولت - في الناثبات - على يدي^٢ .

-
- (١) أفزع : ألقأ . المَفزَع : المكان يصلح لأن يلجأ الناس اليه . أنشد : أطلب . المنشد :
المكان الذي يمكن فيه تحقيق الحاجات .
(٢) وإذا كان الانسان يطلب المعروف من شخص بعيد (ليس بينه وبين ذلك الشخص قرابة
أو معرفة) ، فان احدى يدي قد عولت (اعتمدت) على يدي (الاخرى) فطلبت منها
(أنت طائي وأنا طائي مثلك ، فأنا اذن لا أطلب من أحد غريب) .

مديح أبي دُلف القاسم بن عيسى العجلي

هو من قُوَاد المأمون والمعتصم . كان كريماً وشجاعاً ، وكان أديباً
مُولِفاً (ت ٢٢٥ هـ = ٨٤٠ م) .

على مثلها : من أربُعٍ وملاعبٍ ،
أقول لقُرْحانٍ من البَيْنِ ، لم يُضِيفْ
« أعينِي أفرقْ شملَ دمعِي » فأنني
فما صار ، في ذا اليوم ، عدلُك كله
وما بك إركابي من الرشدِ مركباً
أذيلتُ مصوناتِ الدموعِ السواكِبِ ١ .
رئيسَ الهوى بين الحشا والترائبِ ٢ :
أرى الشملَ منهم ليس بالمتقاربِ ٣ .
عدويَّ ، حتى صار جهلك صاحبي ٤ .
ألا إنما حاولتَ رُشدَ الركائبِ ٥ .

(١) الريع : المنزل . الملعب : المكان تدرج فيه الريح تمر عليه وتتركه . أذيلت : أهينت .
- على مثل هذه الربوع (المجيدة) يحسن أن تذرف الدموع الكثيرة التي قد خزنت في
الجفون مدة طويلة .

(٢) القرحان : الذي لم يصبه مرض . قرحان من البين : لم يذق البين (البعاد) . الرئيس :
أول الحب . لم يضيف رئيس الهوى : لم يتزل الحب بعد ضيفاً عليه (لم يعرف الحب بعد) .
الحشا : الجوف . الترائب : عظام الصدر .

(٣) أفرق شمل دمعِي : أنثر دموعي المجنمة (أبكي) . منهم : من الاحباب .
(٤) العذل : اللوم . - لما أكثرت عدلي على حبي غلظتلك عدوي حتى تبين لي أنك جاهل بأمرِي
وأمر الحب فعدرتك (كان جهلك صاحباً لي فشفع بك الي) .

(٥) الركائب : الحيوانات المستعملة في الركوب . - إن لومك لي ليس حياً بي ومحاولة لودي
عن النفي (في مثل هذا الحب) إلى الرشاد (إلى الرجوع إلى العقل والمنطق) ، ولكنك
أشفقت على الركائب التي طال وقوفها في هذه البادية ، فأنت قائد أبل ولست هادي
بشر !

فكِلثي اَنِ شوقِي، وَسِرُّ بِسِرِّ الهوى الى حُرْقَاتِي بالدموع السوارب ١ .
 أَمِيدَانْ لهوي . من أُنَاح لك البلى فأصبحت ميدانَ الصَّبَا والجَنَائِبِ ٢ ؟
 أصابتك أبكارُ الحُطُوبِ ، قَشَتَتْ هَوَايَ بِأَبْكَارِ الظِّبَاءِ الكَوَاعِبِ ٣ :

• • •

وركب يُسَاقُونَ الرِّكَابَ زُجَاجَةً من السير ، لم نَقْصِدْ لها كَفَّ قَاطِبِ ٤ .
 فقد أَكَلُوا مِنْهَا الغَوَارِبَ بِالسُّرَى ، وصارت لها أَشْبَاحُهُمْ كَالغَوَارِبِ ٥ .
 يُصَرِّفُ مَسْرَاهَا جُذَيْلٌ مُشَارِقٍ — إِذَا آيَهُ هَمٌّ — عَذِيقُ مَغَارِبِ ٦ .

(١) أتركني وشوقي وسر أنت بالابل ، فان الهوى حيثن يحملي على اليكاه الكثير فتسقط
 الدموع على حرارة حبي فتخففها (ان الحب الذي هو سبب حرقاتي سيكون أيضاً سبب
 الدموع التي ستطفىء تلك الحرقات) .

(٢) ميدان لهوى : مسكني في أيام شبابي . أناح : سبب . البلى : الخراب والهم . الصبا :
 الريح الشرقية . الجنائب جمع جنوب (بفتح الجيم) : ربيع الجنوب .

(٣) أبكار الحطوب : المصائب البكر (التي لم يوجد مثلها في الأرض بعد) . شتت : أبعثت ،
 نفرت عنى ، أبكار جمع بكر : العذراء . الظباء : الفزلان (كناية عن النساء الجميلات) .
 الكواعب : الفتاة اذا كعبت (اذا نهد ثدياها واستدارا) .

(٤) ركب : جماعة يركبون الابل ويسافرون معاً . يساقون الركاب (الابل) زجاجة من
 السير : يسقونها مرة بعد مرة (يسوقونها باستمرار ويجهدون لها) حتى كأنها من الجهد
 والتعب مكرى . لم تقصد لها كف قاطب : لم تمزج تلك الحمر بالماء (لم يرح اولئك
 المسافرون ابلهم في أثناء تلك الرحلة) .

(٥) الغارب : سنام الجمل . السرى : السفر في الليل . الشبح : الخيال ، صورة الشخص (اذا
 رؤى الشخص من بعيد فانه يظهر صغيراً غير واضح) . — أكلوا منها الغوارب بالسرى :
 أجهدوها بكثرة السفر والسير حتى ذابت أسنمتها (فكأنهم قطعوا أسنمتها وأكلوها) .
 وصارت لها أشباحهم (لأنهم هم أيضاً نخلوا من كثرة السفر وشدة التعب) كالغوارب :
 أصبحوا كأنهم أسنة الابل .

(٦) يصرف مسراها : يقودها في طرق الاسفار الطويلة الصعبة المضللة . جذيل (رجل كثير
 الاسفار استك بالبلادان وغير طرقاتها وعاداتها) (والتعصير في « جذيل » تنظيم) مشارق
 (من السفر في المشرق) . عذيق : رجل نحيل من كثرة الاسفار يشبه العلق (النخلة

يرى بالكعب الرود طلعة نائري
 كأن به ضغناً على كل جانب
 إذا العيس لاقى بي أبا دلف، فقد
 هنالك تلقى المجد حيث تقطعت
 تكاد عطاياه يُجَنُّ جنونها،
 إذا حرَّكته هزة المجد غيرت
 تكاد مغايه تهش عيراصها،
 وبالعيرميس الوجناء غرة آيب^١
 من الأرض، أو شوقاً إلى كل جانب^٢
 تقطع ما بيني وبين النواث^٣
 تامة، والحد مرخي الذواث^٤
 إذا لم يعوذها بنعمة طالب^٥
 عطاياه اسماء الأمانى الكواذب^٦
 فتركب، من شوق، إلى كل راكب^٧

- بحملها : هو نحيل كالنخلة ولكن له رأياً جميلاً مفيداً كشمس النخلة (. إذا آبه هم : إذا
 حزبه أمر ، إذا فاجأه أمر ثم اشتد وصعب المخرج منه .
 (١) الكعاب : الكعاب (الحاشية ٣ من ص ١٦٧) . الرود : اللينة الناعمة . طلعه نائري :
 هجوم رجل نائري عليه (هو يكره الحناء كما يكره الذي يهجم عليه ليفانله ، لأن
 حب المرأة الحناء يغري الإنسان بالبقاء في الوطن وترك السفر) . العيرميس : الناقة
 الصلبة . الوجناء : الشديدة . غرة آيب : قدوم رجل من سفر (يحب رؤية الناقة الشديدة
 لأنها وسيلة السفر ، يحب السفر كثيراً) .
 (٢) كأن به ضغناً (حقداً) على كل مكان هو فيه فيريد أن يتركه ؛ وكأن به شوقاً (حباً)
 إلى كل مكان فهو يريد أن يذهب إليه .
 (٣) العيس : النياق . النواث : المصائب . - إذا وصلت إلى أبي دلف فاني أنخلص من
 المصائب (لا يبقى للمصائب علي طريق : انه يزيل المصائب عني بكرمه) .
 (٤) تقطعت تامة : أصبح ناشئاً قد تجاوز حد الطفولة (لأن العادة كانت أن تعلق الصائم
 - الاحجية - في رقاب (الأطفال) . مرخي الذواث : شاب وأني الشباب . - يقصد أن
 الممدوح كان كثير الجود أثيل (قديم) المجد .
 (٥) لا يكون مسروراً إلا إذا جاء من يطلب رفده ، ولا ترضى عطاياه (أو لا يرضى عطاياه)
 إلا وهو يرجو من السائل قبولها .
 (٦) إذا طرب عنه مدحه بمجده القديم أعطى المادح مبالغ جسيمة (قد يمني المادح نفسه أمنية :
 نصف مليون ، مليون ... ، ثم يرى أن ذلك من كذب الأمانى : غير معقول) . بعدله
 يجد أن الممدوح قد أعطاه أكثر مما كان قد تمنى ، فكان الممدوح قد بدل اسم الأمانى الكاذبة
 باسم الأمانى الصادقة .
 (٧) المغنى : الدار ، المنزل . هش : ظهر البشر (السرور) على وجهه . العرصة : ساحة

اذا ما غدا أغدى كريمة ماله
 يرى اقبح الاشياء اوبة آميل
 واحسن من نور ، تفتحة الصبا ،
 اذا ألحمت يوماً لجيتم ، وحولتها
 فان المنايا والصوارم والقنا
 جحافل لا يتركن ذا جبرية
 يمدون من ابد عواصم
 اذا الخيل جابت قسطل الحرب صدعوا
 هدياً ، ولوزفت للألم خاطب^١
 كسته يد المأمول حلة خائب^٢
 بياض العطايا في سواد المطالب^٣
 بنو الحصن نجل المحصنات النجائب^٤
 اقاربهم ، في الروع ، دون الأقارب^٥
 سليما ، ولا بحر بن من لم يحارب^٦
 تصول بأسياف قواض قواضب^٧
 صدور العوالي في صدور الكتائب^٨

- (١) غدا : خرج من بيته باكراً . أغدى : أخرج . كريمة ماله : أفضل ماله . هدي : عروس .
 - يبكر في كل يوم بالخروج من بيته ويهدي (يزوج ، يعطي) أفضل ماله لأي طالب يسأله ،
 ولو كان ذلك الطالب ثيباً وليس كفوئاً لماله (شبه المال ببنت الممدوح والسائل بالمطالب
 الطالب الزواج) - ألزم نفسه الجود في كل يوم لكل انسان اتفق .
- (٢) أقبح شيء لديه أن يرجع قاصده خائباً .
- (٣) وأن الذي هو أحسن وأجمل من تفتح الزهر في أيام الريح الشرقية العيلة اعطاء المال
 الكثير لصاحب الحاجة الشديدة .
- (٤) اذا ألحمت : اذا ألحمت غيولها (استعدت للحرب) . لجيم : بنو لجيم بن صعب بن علي
 ابن بكر بن وائل (قوم أبي دلف العجلي الممدوح بهذه القصيدة) . بنو الحصن نجل المحصنات :
 ولد المحصنات (العفيفات) . النجائب جمع نجبة : الكريمة الأصل الحسنية (ذات
 الاعمال الكريمة) والتي تنجب (بضم التاء) : تلك الأولاد النجباء .
- (٥) المنايا (جمع منية : الموت) والصوارم (جمع صارم : السيف) والقنا (جمع قنأ :
 الرمح) ، ان هذه الاسلحة تكون مع بني لجيم يوم الروع (في الحرب) أو أن هذه
 هي اقارب بني لجيم في الحرب دون اقاربهم في النسب .
- (٦) الجحافل : الجيش العظيم . الجبرية : الكبر (بكسر الكاف) والتجبر . سليماً : معافى .
 بحر بن من لا يحارب : لا يسلن (يأخذن) مال من لا يحاربهم .
- (٧) عواصم : منعة (تدافع عن نفسها) . عواصم : موانع (تحمي غيرها) . قواض :
 قاتلة . قواضب : قاطمة (ومعنى قواض ومعنى قواضب متقاربان) . صال : هجم .
- (٨) جابت : جالت ، شقت . قسطل الحرب : غبار الحرب . صدعوا : كسروا . صدور
 العوالي : رؤوس الرماح . صدور الكتائب : صفوف الجيوش .

إذا افتخرت ، يوماً ، تميم بقوسها ،
فأنتم ، بلدي قاري ، أمالت سيوفكم
محاسن من مجد ، متى ثَقَرْتُمُوهَا
معان تَمَادَتْ فِي الْعُلُوكَانِمَا
وقد عَلِمَ الْإَفْشِينُ ، وهو الذي به
بأنك لما استخذل النصر واكتسى
تَجَلَّلْتَهُ بِالرَّأْيِ حَتَّى أَرَيْتَهُ

وزادت على ما وطدت من مناقب^١ ،
عروش الذين استرهنوا قوس حاجب^٢ .
محاسن اقوام تكن كالمعائب .
نحاول ثأراً عند بعض الكواكب .
يُصَانُ رِداءُ الملك عن كل جاذب^٣ ،
أهَابِي تَسْفِي فِي وجوه التجارب^٤ .
به ، مِلءَ عَيْنِهِ ، مكان العواقب^٥ ؛

(١ و ٢) ولطد : ثبت . المناقب : الخصال الحسنة . ذو قار موقع في أدنى العراق وقعت فيه معركة بين العرب والفرس فانتصر العرب على الفرس عام ٦١٠ م (أول سنة من بعثة محمد رسول الله) . أمالت عروشهم : قضت على ملكهم .
قصة تميم وعجل في البيتين :

كان حاجب بن زرارة بن عدس (يضم العين والذال) قد نزل بقومه في أرض الحيرة . فاستدعى كسرى وفداً من بني تميم وشرط عليهم في سبيل بقائهم حيث نزلوا ألا يعتنوا على أحد من جيرانهم ، وطلب منهم على ذلك رهناً . فدفع حاجب بن زرارة قوسه رهناً على ذلك . وقد قبل كسرى القوس رهناً ، ووفى بنو تميم لكسرى بما كان قد شرطه عليهم ، وصار ذلك معهوداً في مناقب بني تميم .

ولما اجتمع العرب في ذي قار لمحاربة الفرس خاف بعض العرب من خوض معركة مع الفرس وأرادوا أن يفروا . غير أن حنظلة بن ثعلبة العجلي نصب خيمة وجلس قربها ثم قال : لا أفر حتى تفر هذه الخيمة . فعاد الناس كلهم وحاربوا الفرس وانتصروا عليهم . ثم جاء الإسلام وقضي على ملك الفرس .

(٣) الإفشين هو حيدر بن كاوس أحد قواد الخليفة المعتصم . به يصان رداء الملك عن كل جاذب : به يدفع الثائرون على الدولة (هو الذي يحمي الدولة من كل نافر عليها) .

(٤) استخذل النصر : فقد جرأته (بدأ المسلمون بالانهزام في حرب بابل الخرمي في جبال البذ في خراسان) . اكتسى (لبس) أهابي (جمع أهباء ، بكسر الهمزة : غبار) تسفي (تشود ، تهب) في وجوه التجارب (تمنع الحكيم المجرّب من رؤية وجه الصواب) .
— لما خان الحظ الإفشين ولم تنفعه شهرته الماضية وتجاربه الكثيرة في الحروب في أحرار النصر —

(٥) تجلّلت بالرأي (الخطاب لأبي دلف المدحوح في هذه القصيدة) : علونه بالرأي ، بصرته —

بأرشق . اذ سالت عليهم غمامة^١
سللت لهم سيفين : رأياً ومنصلاً .
وكتت ، متى تهزّر لخطب نخشيه
فذكرك في قلب الخليفة . بعدها .
فان تنس يذكرك . أو يقل فيك حاسد
فأنت لديه حاضر ، غير حاضر .
اليك أرحنا عازب الشعر ، بعدما
جرت بالعوالي والعناق الشواذب^٢ .
وكل كنجم في الدجنة ثاقب^٣ .
ضرائب أمضى من رفاق المضارب^٤ .
خليفتك المقنى بأعلى المرائب^٥ :
يغل قوله ، أو تنأ دار يصاقب^٦ ؛
بذكر ؛ وعنه غائب ، غير غائب^٧ .
تمهل في روض المعاني العجائب^٨ .

به ، دلته على الخطة الصحيحة للثغاب على بابك الحرمي . حتى أريت به (بذلك الرأي)
ملء عيتيه (بكل وضوح ، حتى أفتنته) . مكان العواقب (نتيجة استمرار الانهزام وأنها
ستكون سيئة ، لا حل الاقشين وعلى جيشه فقط ، بل على العرب والاسلام أيضاً) .

يحسن أن نعلم هنا أن الاقشين كان متهماً بمائة بابك الحرمي ، وأن الخليفة المعتصم
أدرك ذلك فأرسل أبا دلف العجلي في جيش كبير لنجدة الاقشين في الظاهر ولمراقبة الاقشين
ولمنعه من المائة مع بابك الحرمي في الحقيقة .

(١) أرشق : حصن للمسلمين في موقان (كورة في أرمينية) . اذ سالت عليهم غمامة : لما قام
بابك الحرمي بهجوم على الحامية الاسلامية فكاد يبيدها . العوالي . الرماح . العناق : التحول
الاصلي . الشواذب : الضامر .

(٢) سللت له سيفين رأياً ومنصلاً (أعطته برأيك وبسيفك) . الدجنة : الظلام . ثاقب :
يثقب ، يخترق . النجم الثاقب : النجم الشديد البهتان الذي يضيء ما حوله .

(٣) تهزّر الخطب : تسأل رأيك في أمر مشكل أو عظيم . تنشيه : تلبه ، تبدي فيه (رأياً) .
ضرائب جمع ضريبة : خليفة ، طيبة ، رأي . أمضى : أشد قطعاً ، أصبح رأياً .
رفاق المضارب : السيوف الخاضية (القاطعة) .

(٤) بعدها : بعد هذه المعركة . خليفتك المقنى : يقوم مقامك أو مقام حضورك في مجالس
الخليفة المعتصم . المقنى : المخصوص بالتقرب والتفضيل .

(٥) فان تنس يذكرك : اذا نسيك أحد ذكرك الخليفة المعتصم . يغل قوله : يبطل قوله ،
لا يقبل فيك رأيه . أو تنأ دار يصاقب : واذا اتفق أن كنت بعيداً عنه (تقوم له مهمة

أو تحارب في معركة) فانه يصاقب (يقترب منك بذكرك ومدحه اياك والاحسان اليك) .
(٦) فأنت دائماً حاضر عنده بذكرك وان كنت غائباً عن مجلسه بمجلسك (غير منصوبة على الحال) .

وكثيراً ما تكون غائباً عن مجلسه بمجلسك ولكنك حاضر في قلبه بذكرك ، اياك .

(٧) أراح الراعي النعم : ردها في المساء الى المبيت بعد أن رعت طول النهار . عازب الشعر :

غرائبُ لاقت في فينائك أنسها
ولو كان يفنى الشعرُ أفناه ما قررت
ولكنه صوبُ العقول ؛ إذا انجلت
اقول لأصحابي : ه هو القاسمُ الذي
واني لأرجو ، عاجلاً ، ان تردني

من المجدد ، فهي الآن غيرُ غرائب ١ .
حياضكُ منه في العصور الذواهب ٢ .
سحائبُ منه أعقبتْ بسحائب ٣ .
به شرح الجودُ التباسَ المذاهب ٤ .
مواهبه بجرأ تُرجى مواهي ٥ .

= الشعر البعيد عن مألوف الشعراء الآخرين . تمهل في روض المعاني العجائب : بقي مدة طويلة في حدائق الأدب تنتقى له المعاني الغريبة الجميلة (يقول الشاعر الممدوح : مدحتك بشعر. قد تألفت فيه وصرفت في انتقاء معانيه وقتاً طويلاً) .

(١) كانت هذه المعاني غريبة لم يفهمها الناس ، فلما وصلت إليك وجدت عندك مجداً غريباً أيضاً (ثم يألوه الناس من قبل) فأنست معاني الغريبة بمجدهك الغريب فهي الآن عندك غير غريبة .
(٢) قرى : جمع . الحياض جمع حوض : حفرة في الأرض يجمع فيها الماء (شبه الشاعر بمدوحه بالخوض وشبه الشعر الذي مدح به الممدوح وقومه بالماء ثم قال) : لو كان الشعر ماء (شيئاً محدوداً) لفني (لنفد من جميع الأرض) لكثرة ما اجتمع به في حياضك (لكثرة مدحت أنت وقومك من قبل بالشعر) .

(٣) الصوب : انصباب (أثمار) المطر من السماء . انجلت : انكشفت ، ذهبت . أعقبت بسحائب : خلفتها (جاءت بعدها بلا نهاية) سحب جديدة . - الشعر نبع يجري من العقول ، فكلما صدرت منه سحائب (سلاسل من المعاني) تبعثها سحائب جديدة ، بلا نهاية .

(٤) القاسم اسم أبي دلف العجل . - للناس الأجواد مذاهب (طرق) مختلفة ومتناقضة أحياناً في بذل المال . - وأبو دلف يبذل ماله في جميع الوجوه وبطرق مختلفة ، حتى لكان مذهباً في الجود يفسر جميع المذاهب الأخرى ويوفق بين طرقها المختلفة .

(٥) اني آمل أن يعطيني أبو دلف (على شعري هذا) ، في وقت قريب جداً ، عطاء كثيراً يجعلني غنياً جداً بما يجعل الناس يأتون الي ويرجون مني أن أعطيهم عطايا كثيرة .

فتح عمورية

خرج توفيل (ثيوفيلوس) امبراطور الروم الى زِبَطْرَة ، وهي بلدة وُلد فيها المعتصم ، وقيل : بل ولدت أمه فيها ، وسي من أهلها وارتكب فظائع هائلة على ما نخبرنا المؤرخون . ورووا ان امرأة هاشمية صرخت ، لما وقعت في السبي : وامعتصماه ! فلما اتصل خبر ذلك كله بالمعتصم تجهز أعظم جهاز وقصد عين عيون مدن الروم ، عمورية (منشأ الاسرة الرومية المالكة) الاسرة العمورية^١ التي يتسبب اليها توفيل ، في ٦ رمضان ٢٢٣ (صيف ٧٣٨ م) ، فتركها قاعاً صفصفا . وكان أبو تمام مع المعتصم ، فلما عاد المعتصم الى عاصمته سامرا ، سنة ٢٢٤^٢ أنشده أبو تمام هذه القصيدة :

السيفُ اصدقُ إنباءٍ من الكتبِ ؛ في حدة الحدّ بين الحديدِ واللّعبِ^٣ .
بيضُ الصفائحِ ، لا سود الصفائحِ في مُنُونٍ جلاءُ الشكِّ والريبِ^٤ .

(١) Amorian Dynasty .

(٢) راجع الفخري ١٧١ .

(٣) في حد السيف (الحرب) فاصل بين الرصاة والمزلة (الحق والباطل) : كان المنجمون في البلاط الرومي قد ذكروا للامبراطور أن العرب لن يستطيعوا فتح عمورية قبل نضج التين والعنب ، على ما تقول النجوم .

(٤) الحديد المصقول (السيوف : الحرب ، القتال) لا الصفائح السود (المكتوبة بالحبر الأسود : الرسائل) تزيل الشك من النفوس في انتصار العرب .

العلمُ في شُهْبِ الأَرمَاحِ ، لامعةٌ
 ابنُ الروايةُ ، بل ابنُ النجومُ ، وما
 تَخَرَّصاً ، واحادِثاً مُلَفَّقَةً ،
 عَجائِباً ، زَعَمُوا الأَيَّامَ مُجْفِلَةً
 وخَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءَ مَظْلَمَةٍ
 وصَيَّرُوا الأَبْرُجَ العُلْيَا مَرْتَبَةً
 يَقْضُونَ بالأَمْرِعْنَا ، وَهِيَ غَافِلَةٌ ؛
 لو بَيَّنَّتْ قَطُّ أَمْرًا قَبْلَ مَوْقِعِهِ
 فَتَحُ الفُتُوحَ ، تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ
 فَتَحُ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ ؛
 يَا يَوْمَ وَقَعَةِ عَمُورِيَّةَ انْصَرَفَتْ
 أَبْقِيَّتُ جَدِّي بِالنِّسْبَةِ فِي صُعُدِ ،

بين الحَمِيسَيْنِ . لافي السبعةِ الشُّهْبِ^١
 صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ
 لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرَبِ^٢
 عَنْهُمْ ، فِي صَفَرِ الأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ
 إِذَا بَدَأَ الكَوَكَبُ الغَرِبِي ذُو الذَّنْبِ^٣
 مَا كَانَ مُنْقَلِبًا أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبِ
 مَا دَارَ فِي فَلَكٍ مِنْهَا وَفِي قُطْبِ
 لَمْ تُخَفِ مَا حَلَّ بِالْأَوْتَانِ وَالصُّلْبِ
 نَظَمٌ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الحُطْبِ
 وَتَبَرُّزُ الأَرْضِ فِي اثْوَابِهَا القُشْبِ
 مِنْكَ المُنَى حُفْلًا مَعْسُولَةَ الحَلْبِ
 وَالْمُشْرِكِينَ وَدَارَ الشِّرْكِ فِي صَبَبِ^٤

(١) المعرفة بانتصار أحد الجيشين على الآخر تأتي من العلم باستعمال الرماح (بالحرب) إذا
 التلَّى الحَمِيسَانِ (الجيشَانِ) لَا مِنَ العِلْمِ الْمَزْهُومِ بِحَرَكَاتِ الشُّهْبِ السَّبْعَةِ (الكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ
 السَّيَّارَةِ) ، أَيْ مِنْ فَنِّ التَّنْجِيمِ الْفَرَاقِي .

(٢) التَّخَرُّصُ : الكَذِبُ . النِّج : شَجَرٌ تَصْنَعُ مِنْ أَغْصَانِهِ الرَّمَاحَ . وَالْغَرَبُ : شَجَرٌ آخَرُ .
 أَنَّ الَّذِي زَعَمَهُ مُنْجَمُو الرُّومِ لَا أَصْلَ لَهُ وَلَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ (لَا هُوَ خَشَبٌ تَصْنَعُ مِنْهُ الرَّمَاحَ
 وَلَا خَشَبٌ يَسْتَمِيلُ لِأُمُورٍ أُخْرَى) .

(٣) دَهْيَاءُ : مَعْصِيَةٌ . الكَوَكَبُ الْغَرِبِيُّ ذُو الذَّنْبِ . قَالَ ابْنُ الْاَثِيرِ (٦ : ١٩٤) : وَفِيهَا
 (فِي سَنَةِ ٢٢٢ هـ (٨٢٧ م)) ظَهَرَ عَنْ يَسَارِ الْقُبْلَةِ كَوَكَبٌ لَهُ شَبُهَ الذَّنْبِ ، وَكَانَ طَوِيلًا
 جَدًّا فَهَالَ النَّاسَ ذَلِكَ . هَذَا الكَوَكَبُ الْمَذْنُبُ الْمَعْرُوفُ بِاسْمِ مَذْنُبِ هَالِي ، وَهُوَ يَظْهَرُ فِي
 سِدَائِنَا مَرَّةً كُلَّ ٧٩ سَنَةً ؛ وَكَانَتْ آخِرُ مَرَّةٍ ظَهَرَ فِيهَا فِي الْخَامِسِ مِنْ أَيَّارِ (مَآيُو) مِنْ
 حَافِلِ ١٩١٠ .

(٤) حَفْلٌ : حَافِلَةٌ ، مَزْدَحَّةٌ ، مَلُوءَةٌ . مَعْسُولَةُ الحَلْبِ : لَيْتِنَا حَلَوُ الطَّعْمِ . — رَجَعَ الْجَيْشُ
 الْإِسْلَامِيُّ مِنْ مَعْرَكَةِ عَمُورِيَّةَ مُنْصُورًا مُحَقَّقَةً أَمَانِيَةً (شَبَّ الأَمَانِي بِضُرُوعِ النَّاقَةِ الْمَلُوءَةِ
 بِاللَّبَنِ الْحَلَوِ الطَّعْمِ) .

(٥) دَارُ الشِّرْكِ : الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ (عَاصِمَةُ الْإِمْبِرَاطُورِيَّةِ الرُّومِيَّةِ) . فِي صَعْدِ : فِي ارْتِفَاعِ (مَرُورِ) .
 فِي صَبَبٍ : فِي انْخِدَادِ (حَزْنِ) .

أَمْ لَهُمْ ، لو رَجَوْا ان تُفْتدى جعلوا
وَبَرَزَهُ الوجه قد أُمِيتَ رياضتها
من عهد إسكندر ، او قبل ذلك ؛ قد
يَكْرَهُ فما افترعتها كف حادثة ؛
حتى اذا مخض الله السنين لها
أَتَتْهُمْ الكَرْبَةُ السوداء سادرة
جرى لها النملُ بَرَحاً يوم أنقَرَة
لما رأت اختها بالأمس قد خربت

فِداءها كلَّ أُمِّ بَرَّةٍ وأب .
كيسرى ، وصدت صلوداً عن أبي كَرْب
شابت نواصي الليالي ، وهي لم تشب .
ولا تَرَقَّتْ إليها همة النُوب ٢ .
مخض البخيلة ، كانت زُبدة الحَقَب ٣ .
منها ، وكان اسمها فَرَاة الكَرْب ٤ .
اذ غودرت وحشة الساحات والرحب ٥ .
كان الخراب لها اعدى من الحرب .

(١) البرزة : المرأة الخلية تبرز للناس تعادتهم . شبه عمورية بالمرأة البرزة التي لم تستطع
كسرى (يقصد : ملوك الفرس) ولا أبو كرب (بن حسان ملك اليمن) يقصد : ملوك
اليمن) على كثرة حروب الفرس واليمن وانتصارهم ، أن يسيطروا عليها (وسيطر
عليها العرب) - لم يقدر على فتح عمورية لا الفرس ولا اليمن (ولا غيرهم) وفتحها
العرب بسهولة .

(٢) يكر : عذراء . افترع الجارية : دخل بها . - ان الاحداث الكبرى لم تستطع أن تؤثر
في عمورية ؛ والمصائب الشديدة لم تستطع الرقي الى عمورية .

(٣) مخض اللبن : خضه حتى ينفصل الزبد منه . مخض البخيلة : أي بالفت في الخفض حتى لم
تدع في ماء اللبن شيئاً من الزبد . كانت زبدة الحَقَب : اجتمعت فيها (في عمورية) كنوز
الدهور (ثم جاء المسلمون فظفروا بتلك الكنوز كلها) . والاستعارة في هذا البيت من
اختراع أبي تمام .

(٤) سادرة : حائرة . و (سادرة) حال ، وصاحب الحال هنا (عمورية) (المعنى :
وعمورية حائرة متعجبة كيف استطاع المعتصم أن يفتحها) . كان اسمها فَرَاة الكَرْب :
كان الروم اذا خافوا خطراً من شيء احتموا بها لأنهم كانوا قد أعدوها لمثل ذلك ، فجاءهم
الآن الخطر منها نفسها .

(٥) القال : الأمل الحسن . البرج : الشؤم والنحس . الساحة والرحبة (بكسر الراء وسكون
الحاء ، أو بفتح الراء والحاء) : الأرض الواسعة المكنونة . وحشة الساحات والرحب :
خالية ، مهجورة . يوم أنقرة : يوم معركة أنقرة وفتحها . غودرت : غادرها أهلها ،
هجروها ، فروا منها . - لما سمع أهل عمورية بتخرب المعتصم لأنقرة أيقنوا أنه سيحل
ببلدتهم ما حل بأنقرة فهربوا من بلدتهم .

كم بين حيطانها من فارس بطل
بسنة السيف والخطي من دمه ،
لقد تركت ، امير المؤمنين ، بها
غادرت فيها بهم الليل وهو ضحي
حتى كأن جلايب الدجى رغبت
ضوء من النار ، والظلماء عاكفة ؛
وظلثة من دُخان ، في ضحي شحب .
فالشمس طالعة من ذا ، وقد أفلت ؛
تصرّح الدهر تصرّح الغمام لها
عن يوم هيجاء منها طاهر جنب : ٨ .

- (١) قان : شديد الحرارة . آن : حار . سرب : سائل جار . كثر فيها الفوارس القتل من الروم ، وكثرت الدماء حتى بليت ذوائب الفرسان (وكان الفرسان يرغبون ذوائبهم) .
(٢) عل ان هذا القتل الذريع في الروم لم يكن بالقانون الاسلامي (لاختلاف الدين بين انتحاريين) بل بالقانون الطبيعي : قانون السيف والرمح (لأن الروم اعتدوا على بلد اسلامي) .
(٣) نقد كثرت النار التي أوقدها العرب لاحتراق البلد واشتدت تلك النار حتى احترقت الصخور فيها بعد أن احترق الخشب .
(٤) يشله : يطرده . — كان ضوء النار يبدد ظلام الليل في عمورية المحترقة حتى كأن الصبح كان يطلع فيها في ذلك الحين .
(٥) جلايب جمع جلاب : ثوب . رغب عن الشيء : تركه ، كرهه . — كأن السواد لم يبق لونها لليل .
(٦) عاكفة : نازله ، دائمة (الوقت ليل) . شحب : متغير اللون ، قليل اللون (يخالطه بيضاء أو صفرة) .
(٧) أفلت : غربت . واجبة : غاربة . — ان اشتعال النار في الليل يوهمنا أن الشمس طالعة ، وان كثرة الدخان في النهار توهمنا أن الشمس غائبة .
(٨) بوغنت عمورية بالحراب ، كما ينفق النيم عن صفحة الساء (فجأة) . يوم هيجاء : حرب . طاهر لأن المسلمين خرجوا غازين في سبيل الله ، فالقتال في عمورية كان حلالاً لأنه رد على اعتداء الروم عليهم . جنب : لأن الدم سال فيه . والشرح يفسرون « جنباً » على الحقيقة فيقولون : ان المسلمين أسروا نساء وقتلوهن .

- لم تطلّع الشمس فيه يومَ ذاك على
- ما رجع مَيَّةَ ، معموراً يُطيفُ به
- ولا الحدودُ وقد أدمينَ ، من خجل ،
- سماجةٌ غَنِيَتْ منا العيونُ بها ،
- وحُسنٌ مُنْقَلَبٍ تبدو عواقبه
- لو يعلمُ الكفرُكم من أعصرِ كَمَشَتْ
- تدبيرُ مُعْتَصِمٍ بالله ، منتقمٍ
- ومُطْعَمٍ النصرِ لم تكنهمُ أسِنَّةُ
- لم يغز قوماً ، ولم ينهض الى بلد ،
- بان بأهلٍ ، ولم تغربُ على عزَبٍ ١ .
- غَيْلَانُ ، أبهى رُبَى من ربيعها الحربُ ٢ .
- اشهى الى ناظري من خدّها التَّربُ ٣ .
- عن كلِّ حُسنٍ بدا أو منظر عَجَبٍ ٤ .
- جاءت بِشَاشَتُهُ من سوء منقلبٍ ٥ .
- له المَنِيَّةُ بين السُّمرِ والقُضْبِ ٦ .
- لله ، مرتقبٍ في الله ، مرتغبٍ ٧ .
- يوماً ، ولا حُجبت عن رُوحٍ مُحْتَجِبٍ ٨ .
- الا تقدمه جيشٌ من الرُّعْبِ ٩ .

- (١) بان : متزوج . الأهل : الزوجة . العزب : من لم يتزوج بعد . - لما دخل المسلمون المعركة (مع طلوع الشمس) لم يكن فيهم أحد متزوجاً ، ولما انتهوا عن المعركة (قبل غروب الشمس) لم يكن قد بقي أحد منهم بلا زوجة (كناية عن كثرة السبي من النساء خاصة) .
- (٢) غيلان بن عتبة الشاعر المعروف بذي الرمة شغل بية بنت طلحة وظل يهيم في ديارها أملاً في رؤيتها عشرين سنة . - ما كان منزل مية ، ومية فيه ، أحب الى غيلان من عورية الخربة (بعد تلك الحرب) في نظر المسلمين .
- (٣) كانت نتيجة المعركة ظفراً للمسلمين وسروراً لهم ، سرور المسلمين جاء من انهزام الروم ونكبتهم .
- (٤) السمر : الرماح . القضب : جميع قضيب : السيف . - ان العرب كانوا قد صبروا طويلاً على اعتداءات الروم .
- (٥) ان الخليفة المعتصم بالله (متكل في ما يعمل على الله) ، منتقم لله (قد غزا الروم لأنهم تكثروا عهد الله بالسلام) ، مرتقب في الله (يعمل كل ما يعمل وهو حريص على ألا يخالف أوامر الله في شيء) ، مرتغب : راغب (في هذه الحرب) في ما يرغى الله وفي ما يقربه الى الله .
- (٦) النصل السيف . كهـم : كل فلم يقطع . - قاتل بسيفه كثيراً وقتل كثيرين ، ولم يكل سيفه ولا استطاع أحد أن يستتر عنه فلا يقتل .
- (٧) يدخل الرعب من المعتصم على الاعداء قبل أن يصل المعتصم اليهم . في هذا البيت نظر الى الحديث الشريف : أعطيت خمسا لم يعطهن أحد ... ونصرت بالرعب مسيرة شهر (أو ما معناه) .

لولا لم يقُدْ جحفلًا يوم الوَغَى ؛ لغدا -
رمى بك الله بُرجيَّها فهدمها ؛
من بعد ما اشتبوها ، واثقين بها ؛
وقال ذو امرهم : « لا مرتعٌ صدَدٌ »
امانيا سلبتهم نُجَحَّحَ هاجسها
ان الحمامين : من بيض ومن سمر
لبيت صوتًا زبطريًا هَرَقَتْ له
عداك حرَّ الثغور المُستضامة عن

من نفسه وحدَّها - في جحفلٍ لجيب ١ .
ولو رمى بك غيرُ الله لم تُصب ٢ .
والله فتَّاحُ بابِ المعقِلِ الأشيب ٣ .
للسارحين ، وليس الوردُ من كُتِّب ٤ .
ظبي السبوفِ واطرافُ القنا السلب ٥ .
دَثُوا الحياتين : من ماء ومن عشب ٦ .
كأس الكرى ورضابُ الخردِ العُرب ٧ .
برَدِ الثغور ، وعن سلسالها الحَصيب ٨ .

- (١) الجحفل : الجيش العظيم . اللجب : الصغب الكثير الأصوات (لكثرة الرجال والخيال فيه) .
(٢) ان الله سخر لك تهديمها فاستطعت تهديمها ، ولو أنك أردت من غزو عمورية عرضاً من
أعراض الدنيا أو انتقاماً من عند نفسك لما استطعت ذلك ؛ راجع الآية الكريمة : « وما
رمىته اذ رميت ، ولكن الله رمى » (سورة الانفال : ١٧) .
(٣) أشيب البلد : بالغ في تحصينها . واثقين بها : مطمئنين الى أنها لا تفتح . وهذا صحيح ،
ولكن في هذه المرة لم يفتحها انسان مثلم ولكن الله هو الذي أراد فتحها على يد المعتصم .
(٤) ذو أمرهم : رئيسهم . لا مرتع صدَد : لا عشب قريب (لخيلهم) . وليس الورد
(استقاء الماء) من كُتِّب (في مكان قريب) .
(٥) الهاجس : الفكر الذي يدور في النفس . الظبي جمع ظبية (بضم الظاء وفتح الباء) : حد
السيف . طرف القناة : فصل الريع . السلب جمع سلب (بفتح السين وكسر اللام) :
الطويل ، أو جمع سلوب : يطلب الناس أموالهم وأرواحهم . - ان ظفر المسلمين في القتال
أفسد على الروم أموالهم وأمانتهم .
(٦) ان الحمامين (الموثبين ، القائلين) من بيض (سيوف) ومن سمر (رماح) هما الدلوان
(الوصيلتان) للحياتين (سببا الحياة) من الماء والعشب .
(٧) لبيت صوتًا زبطريًا (راجع مقدمة القصيدة) . هرق : سكب (نخل عن) . الكرى :
النوم . الرضاب : الريق . الخرد : جمع خريفة : المرأة الجميلة . العرب جمع عريب
(بفتح العين) : المرأة المتحبة الى زوجها . - تركت راحتك ونعيمك في سبيل نصرة
المظلومين .
(٨) عداك : تعلى بك ، تجاوزت ، تركت . الثغور الاولى : البلدان التي يخشى منها مجيء
العدو ؛ حر الثغور : الحرب . المستضامة : المهضومة الحق ، المظلومة . الثغور الثانية -

اجبتَه مُعلناً بالسيف ، مُنصلتاً ،
حتى تركتَ عَمودَ الشُّركِ متقعِراً ،
لما رأى الحربَ رأيَ العينِ ثُوْفيليسُ .
غداً يَصْرَفُ بالأموالِ جِريئُها ؛
هيهاتِ ! زُعِزَتِ الأرضُ الوَقُورُ به
لم يَنْفَقِ الذهبَ المُربِّي بِكثْرته
ان الاسودَ ، اسودَّ الغاب ، همتُها
ولى وقد أنجَمَ الحَطِييُّ مَنطِقَه

ولو اجبئتَ بغيرِ السيفِ لم تُجِيب
ولم تعرَّجِ على الأوتادِ والطُنُوبِ
والحربُ مشتقةُ المعنى من الحربِ
فعرَّه البحرُ ذو التيارِ والحدَبِ
عن غزو مُحْتَسِبٍ لا غزوٍ مكتسبٍ
على الحصى ، وبه فقرُ الى الذهبِ
يوم الكريهةِ في المسلوبِ لا السَلَبِ
بمِكنةٍ خلقها الاحشاءُ في صَحَبِ

= جمع ثغر الذي هو فم الانسان . برد الثغور : ريق الثغور البارد (كناية عن النعيم مع النساء) . السلال الحصب : الماء الصافي الذي يكون في المجاري الصخرية التي يكثر فيها . الحصى (كناية أيضاً عن اللهب مع النساء) .

(١) منصلتنا : مجرداً من غمده (للقتال) . لو لم تحارب لما أخذت بحق أهل زبطرة .
(٢) همود الشُّرك : قاعدة الروم في آسية الصغرى (عمورية) . - منعقر : مهدم . لم تعرَّج : لم تمل الى (لم تحفل) . الاوتاد والطنب : قطع صغيرة من الخشب تشد بها أطراف الخيمة الى الأرض (كناية عن القرى التي كانت حول عمورية) .

(٣) الحرب (بفتح الحاء والراء) : السلب .

(٤) جريئُها : مجراها (مجرى الحرب) بطلب الصلح . عزه : غلبه . البحر (كناية عن جيش العرب الكبير) . ذو التيار : المتدافع المتوالي . الحدب : ذو الأمواج العالية (كان هجوم العرب وانتصارهم سريعين جداً حتى أنهما لم يتركاً مجالاً أمام ثيوفيلوس يطلب فيه الصلح) . ذكر غزاهي (ص ١٤٧) أن ثيوفيلوس عارض على المنتصم ٢٤٠٠ ليبرة من الذهب (نحو ١١٠٠ كيلو) .

(٥) هيهات : ما أبعد ذلك ! زُعِزَتِ الأرض الوَقُورُ به : ان الأرض الثقيلة الثابتة قد ارتجعت بعنف تحت أقدام ثيوفيلوس لأن غزو المنتصم لبلاد الروم كان احتساباً في سبيل الله لا تكسباً للبال .

(٦) لو كان محتاجاً الى المال لما أنفق في سبيل هذه الفزوة مالا أكثر عدداً من حجارة بلاد الروم .

(٧) ان أسود الحرب (الابطال الحقيقيين) يقصدون قتل الابطال من أعدائهم لا سبي المتاع .

(٨) ول : هرب . ألجم الحطِييَّ منطقة : أصبحت الرماح يلجأ في فيه (منعتة الهزيمة من الحق في الكلام) . تحمَّها الاحشاء في صَحَب : كان قلبه مضطرباً بكلام يريد أن يقوله فلا يستطيع

أَحْذَى قَرَابِينَهُ صَرْفَ الرَّدَى وَمَضَى
 مَوْكِلًا بِيَفَاعِ الْأَرْضِ يُشْرِفُهُ
 أَنْ يَعْدُ مِنْ حَرِّهَا عَدُوَ الظَّلِيمِ فَقَدْ
 تَسْعُونَ أَلْفًا كَأَسَادِ الشَّرَى تَضِجَتْ
 يَا رَبِّ حَوْبَاءَ لَمَّا اجْتُنْتُ دَابِرُهُمْ
 وَمُغْضَبُ رَجَعَتْ بِيضُ السُّيُوفِ بِهِ
 وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ فِي مَازِقٍ لَتَجِيجُ
 كَمْ نَيْلٍ تَحْتَ سَنَاهَا ، مِنْ سِنَى قَمَرٍ ؛
 بَحْتَتْ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ الْحَرْبِ ١ ،
 مِنْ خِيفَةِ الْخُوفِ لَا مِنْ خِيفَةِ الطُّرْبِ ٢ .
 أَوْسَعَتْ جَاحِمَهَا مِنْ كَثْرَةِ الْحَطْبِ ٣ .
 جَلُودَهُمْ قَبْلَ نُضْجِ الثَّيْنِ وَالْعَنْبِ ٤ .
 طَابَتْ ، وَلَوْ ضُمُتْ بِالْمَسْكَ لَمْ تَطِيبْ ٥ .
 حَتَّى الرُّضَى مِنْ رَدَاهُمْ مَيَّتَ الْغَضَبِ ٦ .
 تَجْتَوِ الْكُمَاةُ بِهِ ، صُعْرًا ، عَلَى الرُّكْبِ ٧ .
 وَتَحْتَ عَارِضِهَا ، مِنْ عَارِضِ شَيْبِ ٨ .

- (١) ترك خاصته الإبطال المقربين إليه للموت ثم ركب أسرع خيوله ليهرب عليه .
 (٢) موكلًا بيفاع الأرض ؛ كأنه وكيل على يفاع (مرتفعات) الأرض يقفز من واحد إلى واحد منها (في أثناء هربه) ، ثم يشرفه (يعلو على اليفاع = المرتفع من الأرض) ليرى هل يتبعه أحد . أن الخوف قد جعله سريعاً في ركضه لا الفرح والمرح .
 (٣) عدا يعدو عدواً ؛ ركض يركض ركضاً . الظليم : ذكر النعام (وهو معروف بسرعة الجري) أن ثيوفيلوس معذور في هربه من ميدان المعركة بهذه السرعة لأنك أكثر (أيها الخليفة المعتصم) النار فيها (أثرت عليه حرباً شديدة لا قبل له باحتمالها) .
 (٤) تسعون ألفاً من الروم كأسود الشرى (الجبال) المعروفة ببأسها . فضجت جلودهم : ماتوا حرقاً في عمورية . راجع قوله تعالى « كلما فضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ... » قبل نضج الثين والعنب ؛ قبل الصيف (الوقت الذي حدده منجمو امبرطور الروم وكهنته لامكان فتح عمورية) . عظم أبو تمام شأن الروم حتى يبين مدى شجاعة العرب . وقد ذكر فتلاي (ص ١٤٧) أن القتل الروم كانوا ثلاثين ألفاً سوى الاسرى .
 (٥) الحوباء : النفس . لما اجتث دابرهم : لما قتل المحاربون الروم عن بكرة أبيهم . طابت : سرت . ضممت بالطيب : طليت بمادة زكية الرائحة . - كم من نفس قد سر صاحبها هلاك هؤلاء الأعداء من الروم أكثر مما كانت تسر لو أن صاحبها دهن نفسه بالطيب .
 (٦) غضب المعتصم لما بلغت إليه استغاثة الهاشمية وما نال المسلمين في زبطرة (راجع مقدمة القصيدة) ، فلما قتل أولئك المعتدين عاد إليه رضاه وذهب غضبه .
 (٧) مازق بلج : مكان ضيق (بمساحته وبازدحام المتقاتلين فيه) . جنا : ركع (على ركبتيه) صمراً : مائلين بأجسامهم إلى الامام (من شدة القتال) . الكماة جمع كمي : البطل .
 (٨) سناها : سنى الحرب (نيرانها) . سنى قمر : جمال امرأة (امرأة جميلة) . عارضها : عارض =

كم كان، في قطع اسباب الرقاب بها، الى المخدرة العذراء من سبب^١
 كم احرزت قصب الهندي، مُصلَته تَهَزّ، من قُصْب تَهَزّ في كُثْب
 بيض اذا انتضيت من حُجبها رجعت احق بالبيض، ابدانا، من الحجب .

خليفة الله، جازى الله سعيك عن جرثومه الدين والاسلام والחסب^٢ .
 بصُرت بالراحة الكبرى فلم ترها تُنالُ إلا على جسر من التعب .
 ان كان بين صُروف الدهر من رحيم موصولة، او ذِمَام غير منقُص^٣ .

= الحرب (اشتدادها . شبه اشتداد الحرب بالعارض من المطر المتلاحق) . عارض شنب :
 ناب أو ضر من بارد الريق (كناية عن المرأة الجميلة) . - أسر العرب في تلك الحرب عدد
 كبيراً من الروميات الجميلات .

(١) أسباب الرقاب : عروق الرقبة . المخدرة العذراء : المرأة الموصولة البكر . سبب : وسيلة .
 لم يكن الوصول الى تلك النساء الروميات ممكناً الا بقتل الابطال اليونانيين الذين اعتدوا على
 زبطرة التي كانت في حكم العرب .

(٢) انقُص جمع قُصِب : السيف الرقيق . الهندي : صنع الهند . مُصلَته : مجردة من اغمارها .
 تَهَزّ : يلوح بها المجاهدون العرب . قُصْب هنا جمع قُصيب : الفصن المستقيم من الشجر
 (كناية عن المرأة ذات القوام الطويل الجميل) . تَهَزّ : تنأيل من الجمال والدلال . الكُثْب
 جمع كُثيب وهو الرمل الملتف (كناية عن المرأة الفخمة الجسم) . - سبت سيوف العرب
 نساء جميلات (من الروم) .

(٣) بيض الاول جمع أبيض : سيف . حُجبها الاول جمع حجاب : غده السيف . انتضيت
 (السيوف) : سلت (اخرجت من اغمارها) . البيض الثانية بيضاء جمع : المرأة الجميلة .
 الحجب الثانية جمع حجاب : سُر المرأة (بينها) . - ان السيوف التي انتصرت في موقعة
 عمورية أصبحت أحق بالنساء الروميات من بيوت الروميات (أصبح العرب أحق بنساء
 الروم من الروم أنفسهم) .

(٤) الجرثومة الاصل . الحسب : العمل الجميل الكريم .

(٥) صُروف الدهر : أحداثه الكبرى . رحم : قرابة . ذِمَام : عهد . منقُص : منقطع .

فبين أيامك اللاتي نُصرتَ بها وبين أيام بدرٍ اقربُ النسبِ
أبقتُ بني الاصفرِ المُصفرَ كاسيهمُ صُفراً الوجوهَ ، وجلتُ أوجهَ العربِ

(١) أيامك اللاتي نُصرتَ بها (معركة عمورية) . بدر : معركة بدر (رمضان سنة ٥٢ = ٦٢٤ م)
أول معارك الاسلام ضد المشركين والتي فتحت باب النصر أمام المسلمين .
(٢) بنو الاصفر : الروم . المصفر : المعتل ، المريض . كاسيهم : كاسم أبيهم ، كأيهم .
صفر الوجوه : معتلين (مرضى على الحقيقة) مثل أبيهم الذي اكتسب اسمه من لون وجهه .
جلت : بيضت ، كرمت . - هذه الموقعة (موقعة عمورية) جعلت أوجه الروم تصفر
(تسود) وأوجه العرب تبيض . هذا البيت معقد وقاصر في التعبير قليلا ، ويمكن أن
يقرا هكذا :

أبقتُ بني الاصفر المصفر ، كاسيهم صفر الوجوه ، وجلت أوجه العرب .
ثم ان كلمة «أوجه» يمكن أن تكون منصوبة بالفعل «جلت» (وفاعل الفعل ضمير مشترك يرجع
الى معركة عمورية) ، ويمكن أن تكون مرفوعة على الاستثناف : جلّت أوجه العرب !

المصادر والمراجع

- أبو تمام ، تأليف جميل سلطان ، دمشق ١٩٥٠ .
أبو تمام الطائي : حياته وحياة شعره ، تأليف نجيب محمد البهييتي ، القاهرة ١٩٤٥ .
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي ، لندن ١٨٧٧ م .
أخبار أبي تمام للصولي ، نشره وحققه وعلق عليه خليل محمود عساكر ، محمد عبده عزّام ونظير الاسلام الهندي ، القاهرة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .
أخبار البحري للصولي ، حققها وعلق عليها صالح الاشتر (مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق) ، دمشق ١٩٥٨ .
الأدب العربي في آثار الدارسين ، اشرفت على اخراجه هيئة الدراسات العربية في الجامعة الاميركية في بيروت ، بيروت ١٩٦١ .
الأدب في ظل التشيع : تأليف عبدالله نعمة ، صيداء ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م .
أسرار البلاغة لابي بكر عبدالقادر الجرجاني (تحقيق هـ . ريتّر) ، استانبول ١٩٥٤ .

الاسود = شرح ابي تمام بشرح ملحم الاسود .

أعيان الشيعة (الجزء ١٩ : أبو تمام) ، تأليف محسن الأمين ، دمشق

(١) طال الزمن على هذه الدراسة في التنقيح والاعداد للطبع . ويبدو انني في بعض الأحيان قد رجعت الى مصدر في طبعين مختلفين . ولقد اشرت الى ذلك في مواضعه . ولكن يمكن ان أكون قد سهوت عن مثل هذه الإشارة عدداً من المرات .

١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م

الاعاني (بولاق)

أمراء دمشق في الاسلام لصلاح الدين ائصفندي ، تحقيق صلاح الدين المنجد ،
(مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق) ، دمشق ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .
أمراء الشعر العربي ، تأليف أنيس المقدسي ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٣٦ م
بدر التمام في شرح ديوان أبي تمام ، شرح ملحم الاسود ، الجزء الأول ،
بيروت ١٩٣٨ .

ت = ديوان أبي تمام بشرح التبريزي .

ناج العروس

تاريخ آداب اللغة العربية ، تأليف جرجي زيدان ، طبعة جديدة ، القاهرة
١٩٥٧ .

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي

تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ليدن) .
تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس ، تأليف أبي الوليد عبدالله بن محمد بن
يوسف الازدي المعروف بأبن الفرضي ، مصر ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .
تاريخ الكامل لابن الاثير ، مصر ، المطبعة الازهرية ، ١٣٠١ هـ .
التحف والهدايا لأبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم الخالدين ، مصر
١٩٥٦ م .

تهذيب التاريخ الكبير لابن عساكر .

حركة التأليف عند العرب ، تأليف الدكتور أمجد الطرابلسي ، الجزء الأول ،
دمشق ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

خزانة الأدب لعبدالقادر البغدادي ، مصر ١٣٤٧ هـ .

دراسة في حماسة أبي تمام ، تأليف علي النجدي ناصف ، القاهرة ١٩٥٥ م .
دراسات فنية في الأدب العربي ، تأليف الدكتور عبدالكريم اليافي ، دمشق

١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .

- ديوان أبي نواس ، المطبعة العمومية بمصر ١٨٩٨ م .
- ديوان أبي تمام ، بيروت المطبعة الأدبية ١٨٨٩ م .
- ديوان أبي تمام ، بيروت (شرح محيي الدين الخياط) ١٣٢٣ هـ .
- ديوان أبي تمام (نشره أحمد عثمان عبدالمجيد) القاهرة ١٩٤١ .
- ديوان أبي تمام (مطبعة صبيح) القاهرة ١٩٤٢ م .
- ديوان أبي تمام (مطبعة حجازي) القاهرة ١٩٤٢ م .
- ديوان الرصافي ، الطبعة الرابعة ، مصر ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م .
- ديوان علي بن الجهم (عني بتحقيقه خليل مردم) ، نشره المجمع العلمي العربي بدمشق ، دمشق ١٩٤٩ .
- ديوان مسلم بن الوليد الشهير بصريع الغواني (استخرجه دهخويه ، ليدن ١٨٧٥ م .
- ديوان المعاني لابني هلال العسكري ، القاهرة ١٩٥٢
- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي (تحقيق محمد عبده عزّام) ، ظهر منه ثلاثة أجزاء ، القاهرة ١٩٥١ م - ١٩٥٧ م .
- الرثاء بين أبي تمام والبحري والمتني ، تأليف أدية فارس ، الاسكندرية ١٩٣٢ م .
- الزهرة - النصف الأول من كتاب الزهرة ، تأليف أبي بكر محمد بن أبي سليمان الاصفهاني ، اعتنى بنشره لأول مرة لويس نيكول البوهيمي وابراهيم طوقان ، بيروت ١٩٣٢ م - ١٣٥١ هـ .
- س = ديوان أبي تمام شرح ملحم الاسود .
- سر الفصاحة ، تأليف الأمير أبي محمد عبدالله بن سنان الخفاجي الحلبي .
- شرح العيون لابن نباتة مكتبة صبيح ، القاهرة
- شرح ديوان اشعار الحماسة التي اختارها من اشعار العرب أبو تمام ، بولاق ١٢٩٦ هـ .
- شرح ديوان الحماسة ، بون ١٨٢٢ .

شرح ديوان الحماسة (لأبي تمام ، والشرح) لأبي علي أحمد بن محمد
المرزوقي (نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون) القاهرة ١٩٥١ -
١٩٥٣ م .

شعراء الشام في القرن الثالث . تأليف خليل مردم ، دمشق ١٣٤٣ هـ -
١٩٢٥ م .

شعراء النصرانية بعد الاسلام ، تأليف الأب لويس شيخو ، بيروت ١٩٢٤ -
١٩٢٧ م .

الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، تأليف أحمد عبدالستار
الحواري ، بيروت ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .

الصبح المنبي عن حيشية المتنبي ، تأليف يوسف البديعي ، دمشق ١٣٥٠ هـ .
الصناعتين : كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، الاستانة ١٣١٩ هـ .

عقوبة أبي تمام ، تأليف عبدالعزيز سيد الامل ، بيروت ١٩٥٣ م .
العمدة في صناعة الشعر ونقده لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ، مصر ،
مطبعة السعادة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م .

الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية لمحمد بن علي بن طباطبا
(ابن الطقطقي) ، مصر ، المطبعة الرحمانية .

الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، تأليف الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة الثانية ،
بيروت ١٩٥٦ م .

فنلاي = Finlay .

الفهرست لمحمد بن اسحق النديم ، ليزغ ١٨٧١ - ١٨٧٢ م . ومصر
(المطبعة الرحمانية) ١٣٤٨ هـ .

القاموس - القاموس المحيط للفيروزابادي ، مصر ، المطبعة الحسينية
المصرية ، ١٣٣٢ هـ - ١٩١٣ م .

قراصة الذهب في نقد أشعار العرب ، لأبي علي الحسن بن رشيق الازدي

كنوز الاجداد ، تأليف محمد كرد علي (مطبوعات المجمع العلمي العربي
بدمشق) . دمشق ١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م .

الكلام في شعر البحري وأبي تمام ، تأليف محمد طاهر الجبلاوي ، القاهرة
١٩٤٨ م .

ليال خمس مع أبي تمام ، تأليف محمد عبده عزّام ، القاهرة ١٩٤٨ م .
المثل السائر

مجلة الكلية (بيروت) المجلد الخامس ١٩١٤ م . - سلسلة مقالات للاستاذ
جبر ضومط .

مختارات البارودي (من الشعر العباسي) لمحمد سامي البارودي ، بيروت
١٣٢٧ - ١٣٢٩ هـ .

مروج الذهب

معجم الادباء - ارشاد الارب الى معرفة الاديب (أو طبقات الادباء) ،
لياقوت الحموي ، مصر (الطبعة الأولى) ، مطبعة هندية .

معجم البلدان لياقوت الحموي ، ليبرغ ١٨٨٦ - ١٨٧٣ م ، مصر
١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م .

مقدمة ابن خلدون ، بيروت ١٩٠٠ م .

مقدمة لدراسة النقد في الادب العربي ، دحي محاضرات. ألقاها بدعوة من
كلية المعقول والمنقول في جامعة طهران الاستاذ أنيس المقدسي (منشورات
جامعة طهران ، رقم ٤٤٠) ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٥٨ م - ١٣٣٦
فارسى - ١٣٧٣ هـ .

الموازنة بين أبي تمام والبحري لأبي القاسم بن بشر الأمدي ، الاستاذة ١٢٨٧ .

نزهة الالباء في طبقات الأدباء لعبد الرحمن بن محمد الانباري ، مصر ١٢٩٤ .

الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء للمرزباني ، القاهرة ١٩٤٣ م .

هبة الايام فيما يتعلق بأبي تمام ليوسف البديعي ، القاهرة ١٩٤٥ م .
همزيات أبي تمام (تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون) ، القاهرة
١٩٤٢ م .

الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني ، الطبعة
الأولى (دار احياء الكتب العربية) ، القاهرة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م .
وفيات الاعيان لابن خلكان ، بولاق ١٢٩٩ م .

Absan at - Taqàsin ... , par Al - Mudaddisi ... Traduction partielle ,
annotée par André Miquel (Institut Français de Damas) , Damas
1963 .

La critique poétique des arabes . par Dr, Amjad Trabulsi , Damas
1956 .

Encyclopaedia of Islam (New edition) I 153 - 155 .

GAL = Geschichte der arabischen Litteratur , von Carl Brockelmann,
Bd. I, Leiden 1943 .

GAL , Suppl. = Supplementband zu GAL I , Leiden 1937 ,

Histoire de la Litterature arabe , par C. Huart , Paris 1902 .

History of the Byzantine Empire , By George Finlay (Everyman's
Library) .

JRAS , 1905 , pp. 763 - 782 .

A Literary History of the Arabs , by R. A. Nicholson , London 1930.

فهرست أبجدي لأعلام الاشخاص

مع عدد من أسماء الجماعات

ح - في الحاشية

م - مكرر في المتن أو في الحاشية أو فيهما معاً .

٢

آل حميد - بنو حميد

آل أبي عبد الكريم

آل طوق ١٢٠، ١٢٢، ١٣١.

آل عبد الكريم ١٢٢ .

آل عبد الكريم الطائي ٣٨ .

آل مصعب ١٥١ م .

آل وهب ١٢٢ .

الأمدي ٥٤-٥٥، ٥٨، ٥٩، ٦٠ م. ٦٧.

٦٨، ٨٠، ٨١ م، ٨٤، ٨٦ م

٩٧، ٩٩، ١٠٠-١٠١، ١١٠

١٣٩ .

ابراهيم بن مالك النخعي ٨٣ ح .

ابن الاثير ٦٣، ١٢٧، ١٧٤.

ابن الاعرابي ١٠٠ .

ابن بسام = نصر بن منصور بن بسام

ابن جني ١٠٧ .

ابن خازم = خزيمه بن خازم

ابن خلكان ٢٣، ٢٦، ٣٦، ١٠٩ ح .

ابن رشيق ٣٦، ٥٣-٥٤، ٥٥، ٦٠ م،

٦٢-٦٣، ٦٤، ٦٩، ٧٨ م، ٨٠

١٢٩، ١٤٠ .

ابن رغبان = ديك الجن .

ابن الرومي ١٨، ٦٣ م، ٩١، ١١٢ .

ابن الزيات = محمد بن عبد الملك الزيات

ابو سعيد خالد بن هاشم = الخالديان

ابن سيني ١٦ .

ابن شبابة، شبانة = محمد بن الهيثم بن شبابة

ابن الشجري ١٠٨ .

ابن عساكر ٢٣ .

ابن فارس = أحمد بن فارس

ابن الفارض ١١٢، ٥٦ .

ابن لهيعة = عياش بن لهيعة

ابن المدبر - ابراهيم ١٠٠ م .

ابن المدبر - أحمد ١٠٣ .

ابن المستوفى الاربلي ١١١ .

ابن المعذل ١٠٢ .

ابن مهرويه ١٠٢ م .

ابن النديم ١٠١، ١٠٣، ١١٢، ١١٣ م .

ابن هرمة ١٠٧ .

ابو البركات المبارك بن أحمد = ابن

المستوفى .

أبوبكر بن داود الاصفهاني ١١٣ -

١١٤ .

أبو بكر عثمان بن هاشم = الخالديان .

أبو تمام

أبو الحجاج بن محمد = البياسي

أبو دلف العجلي ٣١-٣٢، ٦٧، ١١٦،

١١٩، ١٢٢، ١٢٥ م، ١٣٠،

١٦٦-١٧٢ .

أبو زيد (كاتب عبيد الله بن طاهر) ١٢١

أبو السعادات هبة الله = ابن الشجري

أبو سعيد الثوري ٣١ م، ٣٢ م، ٥٢، ٦٦ م،

٧٥، ٧٦، ١١٦، ١١٧-١١٨

١٢٢، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٥٧

- ١٦٥ .

أبو ضياء النصيبي = النصيبي

أبو الطيب (ابن عم ديك الجن) ٢٦ م

أبو الطيب = المتنبي

أبو العباس نصر بن منصور = نصر بن

بن بسام

أبو العباس أحمد بن عبدالله = القطريلي

أبو عبد الرحمن يحيى بن اسماعيل =

يحيى بن اسماعيل .

أبو العتاهية ٤٧، ١٠٥ .

أبو العلاء = المعري

أبو علي (ابن أبي تمام) ٣٧ م، راجع

١٢٥ .

أبو فراس ٩١، ٩٨ م .

أبو الفرج الاصفهاني ٢١-٢٢، ٤٦،

٦٣، ٦٧، ٦٩، ٨٠، ٨١، ٨٤،

٩٩، ١٠١-١٠٢ .

أبو القاسم الآمدي = الآمدي

أبو كرب بن حسان ١٧٥ م .

أبو المغيث الرافقي ٣٣ م، ١٢٠ م، ١٢٢،

١٣١ م .

أبو مكنف المزني ٧٠-٧٢ .

أبو نصر محمد بن حميد = محمد بن

حميد الطوسي

ابو نسهل بن حميد الطوسي ٣٥ .

ابو نواس ١٥، ١٩، ٢٦، ٣٨، ٩٣ م .

٤٠، ٤٣ م، ٤٧، ٦٢، ٦٩، ٨١ م

٩١، ٩٦ م، ٩٧ ح، ٩٩، ١١٢ ،

١٢٠ ح، ١٢٩، ١٤٢ .

ابو هلال العسكري ٧٨، ١٠٧، ١٠٨ .

ابو الوفاء بن سلمة ١٠٤ م .

ابو يزيد (والد خالد بن يزيد الشيباني)

١١٧ م .

أحمد بن أبي دؤاد ٣٢، ٤٥ ح، ٦١ م،

١٢٢، ١٢٣، ١٣٠ .

أحمد شوقي ١٦، ٤٩ .

أحمد بن عبد الكريم الطائي ١٢٢ .

أحمد بن عبيد الله = القطريلي

أحمد بن فارس ١٠٨ .

أحمد بن المعتصم ١٢٢ .

أحمد بن يحيى = البلاذري

الأنطال ٩٨، ١٠٥ .

اسحق بن ربيعي ١٢٨ .

اسحق بن إبراهيم المصعبي ٧٥، ١٢٢ ،

١٣١ .

اسكندر ١٧٥ م .

الأسود (الدكتور ملحم) ١١٢، ١٢٧ م،

١٣٣ ح .

الاشتر النخعي : راجع ٨٣ ح .

الاشتران : راجع ٨٣ ح .

الاصفهاني = أبو الفرج الاصفهاني

الاصفهاني = علي بن حمزة الاصفهاني

الاصفهاني = أبو بكر بن داود الاصفهاني

الأعلم الشتمري ١٠٨ م .

الأفشين ٣١ م، ٣٢، ٥٠، ٥١، ٥٦، ١١٨

١٢٢، ١٥٩، ١٦٠ ح، ١٧٠

— ١٧١ .

أقليدس ١١ م .

الآله ٧٦ .

أم المعتصم ٥١، ١٧٣، ١٧٥ م، ١٨٠ .

أمرؤ القيس ٥٦، ٨٨، ٩٨ .

أمين — أحمد ١٠٦ ح .

الأمين — محسن ٣٣، ٤١، ٤٣، ١٠٣ —

١٠٤، ١٠٦، ١٠٧ م، ١٣٩ .

الأنباري ٢٣، ٣٦، ٨٤ .

أوس (والد أبي تمام) ٢٥ (راجع

ندوس) .

أوس بن حجر ٦٩ .

أيوب بن سليمان بن عبد الملك ٤٥ ح .

ب

بابك الحرمي ٣١ م، ٥٠ م، ٥١ م، ٥٦ م،

٧٥، ٧٦، ١١٦، ١١٧، ١١٨ ،

١٤٥م، ١٥١م، ١٥٨م، ١٥٩ح، بنو نيهان ٧١، ١٥٤م.

١٦٠-١٦٤، ١٧٠-١٧١. بنو المهجيم ٧٩ ح.

البخري ٢٢، ٣٣-٣٤، ٣٥، ٥٥، ٥٨م، البهيتي - نجيب ٢٢-٢٣، ٢٤ح، ٨٦،

٦٨م، ٨٤م، ٨٥م، ٨٦م الطائيان

١٠٠م، ١٠٣، ١٠٨م، ١٠٩، الياسي - ابو الحجاج بن محمد ١٠٩.

١١٢.

ت

تأبط شرآ ١٠٥

التبريزي ٦٢، ٧٠، ١٠٦، ١١٠-١١١

تمام الشاعر هو ابو تمام ٣٥.

تمام (بن ابي تمام) ٢٣، ٣٧.

تميم ١٧٠ م.

توفيل بن ميخائيل ٥٠-٥١ = توفلس

١٧٣، ١٧٩، ١٨٠.

ث

ثادوس = ثدوس

ثدوس العطار ٢٢م، ٢٤.

ثديوس ٢٢ ح (= ثدوس)

ثعلب - ابو العباس ٦٤ ح.

ثيو = ثيودوسيوس ٢٢ ح.

ثيودوسيوس = ثدوس

ثيوفيلوس : توفيل بن ميخائيل

ج

الجاحظ ٦٠.

الجبار (الله) ٧٦.

بندر (بن يزيد بن الحكم) ١٠٥.

البرامكة ٩١، ١١٤.

بروكمين ٨٥ م.

بشار ٢٦، ٣٩، ٤٧، ٦٢، ٩١.

بشر بن المعتز ١٠٣.

بكر بن التطاح ١٠٥.

البلاذري ١٠٣.

بلحارث = بنو الحارث

بلعنبر = بنو العنبر

بلهجيم = بنو المهجيم

بنو الاصفر ١٨٢ م.

بنو الحارث ٨٩ ح.

بنو الحصن ١٦٩ م.

بنو حميد ٧٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥-

١٢٧، ١٢٨م.

بنو خشين ٦٥ م.

بنو صالح ١٥٧.

بنو العنبر ٧٩ ح.

بنو القعقاع ٧١.

بنو لجيم = لجيم

الخرجاني ٥٧، ٥٨، ٥٩ م، ٦١ م، ٦٢،
٦٦، ٧٨، ٨٠، ٨١-٨٢ م،
٩٢، ١٤٢.

جرير ٥٦، ٩٨.

جشم بن بكر ١٢١.

جعفر الحياط ٣٢، ١٢٢، ١٢٧-١٢٨.

جعفر بن دينار الطائي ٣١.

جمال - محمد ١١٣ ح.

جميل بن معمر ١٠٥.

ح

حاتم الطائي ١٠٦.

حاجب بن زُرارة ١١٦، ١٧٠ م.

الحارث بن همام الشيباني ٧٠.

الحبال - حسين ١١٣ ح.

حبيب، حبيب بن أوس = أبو تمام

حبيش المعافى ١٢٢.

حسان بن ثابت ١٠٥.

الحسن بن بشر = الأمدى

الحسن بن هاني = أبو نواس

الحسن بن سهل ١٢٢.

الحسن بن علي بن مرة ١٢٢.

الحسن بن وهب ٣٤ م، ٣٥، ١٢٢، ١٢٩

حفص (بن عمر الأزدي) ٤٦، ٧٤.

حنظلة بن ثعلبة ١٧٠ م.

حيدر بن كاوس = الافشين

خ

الخارزنجي ١١٠.

خالد الكاتب ١٠٢.

خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ٤٥ م،

١١٧، ١٢٢، ١٢٨، ١٢٩.

خالد بن يزيد بن المهلب ٤٥ م.

الخالد بن ١١٠، ١٠٨.

الخطيب التبريزي = التبريزي

خزيمة بن خازم ١٦٢ م.

الخفاجي ٨٠.

الخنساء ١٠٥.

خوفو ١٦.

الخياط - جعفر = جعفر الخياط

الخياط - الشيخ محيي الدين ٢٤ ح،

١١٣ م، ١٢٢، ١٣٢ م، ١٤٢.

خيزر = حيدر بن كاوس الافشين

د - ذ

داني ٥٦.

داوود بن داوود الطائي ١٢٢.

دعبل ٦٩-٧١، ٩٩-١٠٠، ١٠٢، ٣١

ديك الجن ٢٥ م، ٣٦، ٣٥، ٣٨، ٣٩ م،

٦٩، ٨٥ م، ٩١.

ذقافة العبيسي ٧٠-٧١.

ذو الرمة = غيلان مية

سليمان بن وهب ١٠٣، ١٢٢.

السموأل ١٠٥ .

السميطائي ١٠٠ .

سهم بن أوس ٣٧ .

سيد الأهل - عبدالعزيز ٨٦ .

سيف الدولة ١٠٨ .

ش

شاكر - محمد محمود ٣٨ .

الشجري = ابن الشجري

الشريف الرضي ٩١ .

الشريف المرتضى ١٠١ .

شكبير ٥٦ .

شميم الحلبي ١٠٩ .

شوقي = احمد شوقي

شيخو - لويس ٢٣، ٢٦ .

ص

صاحب الاغانى = ابو الفرج الاصفهاني

صالح بن عبدالله الهاشمي ١٣١ .

صدر الدين البصري ١٠٨ .

صريع الغواني = مسلم بن الوليد

صهيب بن أبي صهباء ٤٠ ، راجع

الحاشية ٢ .

الصولي - أبو بكر ٢٧-٢٨، ٤٠، ٥٨

٧١، ٧٢-٧٣، ١٠١، ١٠٦ ح

رب الثار ٧٦ .

رتنر ٢٢ ح .

الرسول = محمد رسول الله .

الرصافي - معروف ٩٦ ح .

رعميس الثاني = ابن سبي

رقاش بنت جذيمة ١٢٣ .

روفائيل ١٥ .

ز

الزيات - أحمد حسن ٨٥ .

زهير بن أبي سلمى ٥٦، ٦٤، ٨٩، ٩٨ .

زياد بن حمل ١٠٥ .

زيدان - جرجي ٨٥ .

س

سدوس ٢٢ ح .

السري الرفاء ١٠٣ .

سعاد ٦١ .

السفاح العباسي ١١٦ .

السكري ٦٤ ح .

سلام - عبدالرحمن ١١٣ ح .

سلامة بن جابر النهدي ٤٠ .

سليمان بن نصر ٢٦ .

١٠٩-١١٠، ١١١.

الصولي (لعله هو أو آخر) ١٠٦ ح .
١١٣ .

ض

ضومط - جبر ٦٠ .

ضيف - شوقي ٨٦ .

الطائي = أبو تمام

الطائيان = أبو تمام والبحري ٨٦ م .

طاهر بن الحسين ٣١ م .

طرفة ١٠٥ .

الطرماح بن حكيم ٥٦ .

طوقان - ابراهيم ١١٤ ح .

ع

العباس بن الاحنف ١٠٥ ، ١١٢ .

عبد السلام بن رغبان = ديك الجحش .

عبد الصمد بن المعذل = ابن المعذل

عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ٤٥ م

عبد الكريم ١٠٠ .

عبد الكريم الطائي ٢٥ م .

عبد الله الدامغاني ٣١ .

عبد الله بن طاهر ٣٠ م ، ٣٢ ، ٤٦ م ، ٩٤

٥١ م ، ٥٢ م ، ٥٥ م ، ٦٦ ، ١٠٤

١١٨-١١٩، ١٢١، ١٢٢

١٤٥-١٥١ .

— (ابنان له) ١٢٨ .

عبد الله الكاتب ١٠٢ ، ١٣٢ ح .

عتبة بن أبي عاصم ١٠٢ ، ١٣٢ .

عتبة بن أبي عبد الكريم الطائي ٢٥ م .

عثمان بن المثنى القرطبي ١١٢ .

عدى العديين = عدى بن نصر بن ربيعة

١٢٣ م .

العديل بن القرخ ١٠٥ .

عروة بن الورد ١٠٦ .

عزام - محمد عبده ١٠١ ح ، ١٠٩ ح .

عساكر - خليل محمود ١٠١ ح .

العطاف بن هرون ٤٠ .

عطية - شاهين ٢٤ ح .

علي بن أبي طالب ٤١-٤٢، ٨٣ ح ،

١٢٢، ١٣٣ ح .

علي بن أبي الفرج = صدر الدين البصري

علي بن الجهم ٣٥، ٧١، ٨٤، ١١٩ .

علي بن حمدان = سيف الدولة

علي بن حمزة الاصفهاني ١٠٩ ، ١١٣

علي بن محمد بن بسام ١١٩ .

علي بن مرة ١٢٢ .

عمارة بن عقيل ٦٥ .

عمر بن أبي ربيعة ١٩ ، ٩٠ م .

عمر بن طوق ١٢٢ .

عمر بن عبد العزيز الطائي ١٢٢ .

ق

القاسم = أبو دلف العجلي

قسطنطين ٢٢ ح .

قسطة = قسطنطين

القطربلي ١٠٠ .

قلاية الجرمي ٤٠ .

القلمس ١٢٣ م .

ك

كرامة بن أبان ٤٠ .

كسرى ١٧٠ م ، ١٧٥ م .

كعب بن زهير ٦٤ م .

لجيم ١٦٩ م .

م

مازيار ٥١ م .

مالك بن الحارث النخعي ٨٣ ح .

مالك بن دهم ٤٠ .

مالك بن طوق ٣٣ ، راجع ١٢٠-١٢١

المأمون ٣٠ ح ، ٣١ ، ٣٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ،

٤٩ ، ٥٠ م ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢١ ،

١٢٢ م ، ١٢٧ ح ، ١٤٥ م ، ١٥٢ ،

١٦٦ .

المبارك بن أحمد = ابن المستوفى

المتني ٩١ م ، ٩٨ م ، ١٣٩ م .

عمرو بن عدى ٢٩ ، ١٢٣ م .

عمرو بن العاص ٢٧ م .

عمرو بن كلثوم ٨٨ ، ١٠٥ .

عمرو بن مسعدة ١٠٣ .

عمرو بن هاشم السروي ٤٠ .

عمير بن الوليد ٣٠ .

عشرة ٦٤ ، ٧١ ، ٨٨ ، ١٠٥ .

عياش بن هبة ٢٧-٢٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ،

١٣١ ، ١٣٢ .

عيسى بن مريم ٣٦ .

غ

غالب بن عبد الحميد الصغدني ١٢٢ ،

١٢٨ .

غوثه ٥٦ .

غيلان ١٧٧ م .

ف

فاطمة ٤١ ح .

الفتح (غلام أبي تمام) ٣٦ .

الفرزدق ٩٨ ، ١٠٥ .

الفضل بن صالح ١٢٢ .

فتلاي ١٧٩ ح ، ١٨٠ .

فيرجيل ٥٦ .

المهلل ١٠٥ .

موسى ٤١-٤٢ ، راجع ١٢٠ ح .

موسى بن ابراهيم الرافقي = ابوالمغيث
الرافقي

موسى بن جابر الحنفي ١٠٦ .

ميكالانجلو ١٥ .

مينا ١٥ .

مية بنت طلبة ١٧٧ م .

ن

النابة الذبياني ٦٨ ، ٩٨ ، ١٠٥ .

النبي = محمد رسول الله .

نصر بن منصور بن بسام ١٢٢ ،

النصيبي ١٠٠ .

نظير الاسلام ١٠١ ح .

نيكل - ع . ر . ١١٤ ح .

هـ

هالي ١٧٤ ح .

هارون - عبد السلام محمد ١٠٦ ح .

هرون (بن عمران) ٤١ - ٤٢ .

هرون الرشيد ٤٧ ، ٩١ .

هرون بن عبد الله المهلي ٦٩ .

و

الواثق ٣٤ ، ٥٢ ، ١١٥ - ١١٦ ، ١٢٢ .

١٢٨ .

وحيد المغنية ١٨ .

الوليد (شاعر) ١٠٢ .

الوليد بن عبد الملك ٤٥ ح .

وهب (من أسلاف طي) ٢٩ .

ي

ياقوت ٢١ م ، ١٠١ م .

يحيى بن اسماعيل الاموي ٤٠ .

يحيى بن ثابت ١٢٢ .

يحيى بن عبد الله ٨٣ م .

يزيد بن الحكم ١٠٥ .

يزيد بن مزيد الشيباني ١٦٢ م .

يوسف السراج ٣٠ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ١٠٢ .

يوسف (بن يعقوب) ١٤٥ م .

دراسات وكتب للمؤلف

دراسات قصيرة

الشمع بالقروش اللباني

٤٠	(الطبعة الثانية)	١ — الحجاج بن يوسف
٧٥	(الطبعة الثانية)	٢ — عمر ابن ابي ربيعة
٤٠	(الطبعة الثانية)	٣ — عبد الله بن المقفع
١٠٠	(الطبعة الثانية)	٤ — الرسائل والمقامات
٥٠	(الطبعة الثانية)	٥ — ابن الرومي
٦٠	(الطبعة الثانية)	٦ — احمد شوقي
٥٠	(الطبعة الثانية)	٧ — ابن خلدون
٧٥	(الطبعة الثانية)	٨ — أثر الفلسفة الاسلامية في الفلسفة الاوروبية
١٢٥	(الطبعة الثانية)	٩ — شعراء البلاط الأموي
١٠٠	(الطبعة الثانية)	١٠ — الفارابيان : الفارابي وابن سينا
١٠٠	(الطبعة الثانية)	١١ — اربعة ادباء معاصرون
١٥٠	(الطبعة الثانية)	١٢ — خمسة شعراء جاهليون
١٢٥	(الطبعة الثانية)	١٣ — بشار بن برد
٥٠	(الطبعة الثانية)	١٤ — نهج البلاغة
١٥٠	(الطبعة الثانية)	١٥ — اخوان الصفا
١٠٠	(الطبعة الثانية)	١٦ — ابن باجه
١٠٠	(الطبعة الثانية)	١٧ — ابن طفيل
٢٠٠		١٨ — التصوف في الاسلام
١٥٠		١٩ — الفلسفة اليونانية في طريقها الى العرب
١٠٠		٢٠ — موضوعات محللة في تاريخ الفلسفة الاسلامية
١٥٠		٢١ — ابو فراس
١٥٠		أبو فواس
٢٥٠		العرب والفلسفة اليونانية
٢٠٠	(الطبعة الثانية)	حكيم المعرة (نقل الى الفارسية)
٥٠٠		وثبة المغرب
٢٠٠		ابو العلاء المعري

- ٣٠٠ عبقرية العرب في العلم والفلسفة (نقل الى اللغة الانكليزية)
- ١٥٠ الاسلام على مفترق الطرق (الطبعة الرابعة)
- ١٠٠ نحو التعاون العربي
- (نقد) دفاعاً عن العلم
- ٥٠ دفاعاً عن الوطن
- ٤٠٠ الأسرة في الشرع الاسلامي
- 1000 -- Das Bild des Frühislam in der arabischen Dichtung von der Hira bis zum Tode Umars, 1 - 23 d. H.
(600 - 644 n. C. Leipzig 1937.
- ٢٥ الاسئلة الثلاثة (مشهد شعري تمثيلي للمدارس الابتدائية)
- (نقد) باكستان دولة ستعيش
- التبشير والاستعمار في البلاد العربية وبالاشراف مع الدكتور مصطفى
- ٣٠٠ خالدي (نقل الى اللغة الروسية) (الطبعة الثالثة)
- ١٥٠ الثقافة الغربية في رعاية الشرق الاوسط
- ٣٠٠ شاعران معاصران : ابراهيم طوقان وابو القاسم الشابي
- ٣٠٠ العرب والاسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط
- ٤٠٠ العرب والاسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط
- ٢٠٠ المنهاج في الادب العربي وتاريخه (للسنة الرابعة الثانوية)
- ٣٥٠ المنهاج في الادب العربي وتاريخه (للسنة الخامسة الثانوية)
- ٥٠٠ المنهاج في الادب العربي وتاريخه (للسنة السادسة الثانوية)

(الكتب الثلاثة الأخيرة موضوعة حسب المنهاج الرسمي اللبناني)

- ٢٥٠ الشابي شاعر الحب والحياة
- ٣٠٠ القومية القصحى
- ١٠٠٠ تاريخ الفكر العربي
- ١٥٠ صفحات من حياة الكندي
- ٣٥٠ ابو تمام

